الجمهورية العربية السورية
وزارة التعليم العالي
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

شعوب البحر وغزواتهم في شرقي البحر المتوسط ١٢٧٥- ١١٨٠ ق.م

دراسة أُعدت لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ القديم

إعداد

تمام خالد الهواش

إشراف

أ.د. جهاد عبود

العام الدراسي: ٢٠٢٠

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	١
الفصل الأول: الأوضاع السياسية والحضارية في الشرق الأدنى القديم خلال القرن(١٣ق.م)	٦
أولاً: الأوضاع في بلاد الرافدين – الدولة البابلية– الدولة الآشورية الوسطى	٧
ثانياً: الأوضاع في سورية	٨
ثالثاً: مصر والدولة الحثية وسياسة التوازن في الشرق الأدنى القديم	١٠
رابعاً: حضارات بحر إيجه – الحضارة المينوية في كريت	٢٩
الحضارة المسينية	٣٢
قبرص (ألاشيا)	٣٥
خامساً: جزر غرب البحر المتوسط وليبيا	٣٩
سردينيا وكورسيكا	٣٩
صقلية	٤١
ليبيا	٤٣
الفصل الثاني: شعوب البحر أصلها وتحركاتها في حوض البحر الأبيض المتوسط في نهاية القرن (١٣ق.م) وبداية القرن (١٢ق.م)	
أولاً: شعوب البحر	٥٣
١– البلست (الفلسطينيون)	٥٥
٢– الثيكر	٦٣
٣– الدانونا	٦٦
٤– الشيكلش– تيرش	٧٠

٥- وشوش ٧٥

٦- الإقواش ٧٦

٧- اللوكا ٧٨

٨- الشردان ٨٠

ثانياً: قضية التعبير المصري القديم (الجزر التي في وسط الأخضر العظيم) وعلاقته بشعوب البحر ٨٦

ثالثاً: مسار تحركات شعوب البحر **٩٩**

الفصل الثالث: غزو شعوب البحر للامبراطورية الحثية وبلاد الشام والامبراطورية المصرية **١٠٢**

أولاً: غزو الامبراطورية الحثية ١٠٣

- غزو طروادة ١٠٣
- سقوط العاصمة الحثية خاتوشا ١٠٤

ثانياً: غزو بلاد الشام ١٠٧

- غزو كركميش ١٠٧
- غزو مملكة أمورو ١٠٨
- غزو مملكة ألالاخ ١١٠
- غزو مملكة أوغاريت ١١١

ثالثاُ: غزو الامبراطورية المصرية ١١٣

أولاً: الاحتياطات في عهد رعمسيس الثاني(١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق.م) ١١٣

ثانياً: الغزو في عهد مرنبتاح (١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م) ١١٧

ثالثاً: الغزو في عهد رعمسيس الثالث (١١٩٤ – ١١٦٢ ق.م) ١٢٧

١- حرب السنة الخامسة (١١٨٩ ق.م) ١٢٧

٢- حرب السنة الثامنة (١١٨٦ ق.م) ١٣٢

الفصل الرابع: بعض المظاهر الحضارية لشعوب البحر ١٤٤

أولاً: الملبس ١٤٦

١- الشردان ١٤٦

٢- المجموعة الفلسطينية ١٤٨

٣- مجموعة شيكلش – تيرش ١٥٠

ثانياً: التسليح وتنظيم الجيش ١٥١

ثالثاً: بعض المظاهر الحضارية الأخرى ١٥٤

النتائج ١٥٧

خاتمة ١٥٩

الملاحق ١٦٢

قائمة المصادر والمراجع ١٧٩

مقدمة

لقد كان اختيار موضوع البحث لنيل درجة الدكتوراه الموسوم بـ " شعوب البحر وغزواتهم في شرقي البحر المتوسط (١٢٧٥– ١١٨٠ ق.م)" نابعاً أساساً من أهميته بالنسبة لتاريخ منطقة الشرق الأدنى القديم كلها، لأنه خلال هذه الفترة الممتدة من ١٢٧٥ إلى ١١٨٠ ق.م حدثت في آسيا الصغرى ومنطقة بحر إيجه وبلاد اليونان تغيرات خطيرة، نتيجة تحركات وهجرات شعوب مختلفة سواء من الشعوب التي يُطلق عليها عادةً " الهندو – أوروبية "، التي تنتمي أصلاً إلى وسط آسيا، أو من الشعوب التي طردها هؤلاء من مناطقهم، وقد قدمت هذه الشعوب المهاجرة من شمال البحر الأسود ومن شرق أوروبا، ثم انتشرت بعد ذلك في بلاد اليونان وبحر إيجه والشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى مخلَّفةً الدمار والخراب في هذه المناطق، ويُعدُّ هذا الأمر بداية ظهور الإغريق القدماء الذين بدأ التاريخ يتحدث عنهم، وقد التقوا لأول مرة بحضارة الإيجيين المتقدمة، وكانوا في التقائهم بأهلها على جانب كبير من الوحشية والقسوة حيث كانت هذه المناطق بمثابة ميادين لقتال مرير بين السكان الأصليين والمُغيرين، ونتيجة لذلك اضطرت القبائل العديدة التي كانت تسكن هذه المناطق إلى الهرب والبحث عن وطن جديد آمن وأكثر استقراراً، فركب البعض منهم السفن واتجه إلى الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط وبالتحديد إلى شواطئ شمال إفريقيا، أما البعض الآخر فقد هاجروا ومعهم نساؤهم وأطفالهم في عربات ثقيلة تجرها ثيران ذات سنام، وقد سلكوا في هجرتهم الطريق المحاذي للسواحل الجنوبية لآسيا الصغرى، ثم شمال سورية، حيث انعطفوا متجهين إلى مصر على طول الساحل السوري الفلسطيني، حتى حدود مصر، حيث استطاع رعمسيس الثالث أن يصد هجومهم، وقد أطلق المصريون القدماء على هذه الشعوب تسميات مختلفة منها " الشماليون الذين في جزرهم "، أو " الذين من البحر "، أما علماء المصريات فقط أطلقوا عليهم تسمية : " شعوب البحر ".

لقد خلقت هذه الشعوب خلال هذه الفترة توتراً شديداً واضطرابات خطيرة، بدأت في منطقة بحر إيجه حيث دُمرت الحضارة الميسينية، ثم أدت الأحداث في أسيا الصغرى إلى سقوط الامبراطورية الحثية، أما في سورية فقد اختفت ممالك ومدن عدة أشهرها مدينة أوغاريت، وأضعفت الامبراطورية المصرية لكنها تمكنت من الوقوف في وجهها.

تكمن أهمية البحث من خلال إلقائه الضوء على فترة مهمة من تاريخ الشرق الأدنى القديم، هي فترة القرن الثالث عشر قبل الميلاد وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، ففي هذه الفترة شهد الشرق الأدنى القديم أهم حدث في تاريخه، ألا وهو غزو شعوب البحر لممالك الشرق القديم حتى الوصول إلى مصر.

إن البحث في موضوع شعوب البحر وغزواتهم في شرقي البحر المتوسط ١٢٧٥- ١١٨٠ ق.م يطرح تساؤلات عدة من أهمها:

- ما الموطن الأصلي الذي هاجرت منه تلك الشعوب؟

- ما الأسباب التي أدت إلى تحرك شعوب البحر وغزوهم لممالك الشرق الأدنى القديم؟

- هل كان ظهور شعوب البحر على مسرح الأحداث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد أم كان ظهورهم قبل ذلك؟

- ما مدى تأثير حركة هذه الشعوب على العلاقات والتحالفات في الشرق الأدنى القديم؟

- كيف أسهمت سياسة التوازن بين الامبراطوريتين المصرية والحثية في استقرار المنطقة بعد معاهدة السلام بينهما عام ١٢٦٩ ق.م؟

- كيف كانت علاقة شعوب البحر مع مصر؟

- ما المناطق التي انتشرت بها شعوب البحر بعد هزيمتها أمام المصريين؟

من هنا فإن هدف البحث هو معرفة أسماء وأصول شعوب البحر، بالإضافة إلى أسباب تحركاتها ونتائج هذه التحركات.

رغم أن هناك العديد من البحوث والدراسات حول هذا الموضوع إلا أن معظمها دراسات أجنبية، أما الدراسات العربية فهي نادرة وكل ما وجد كان عبارة عن مقتطفات من كتب عامة، والملاحظ أن الموضوع في حد ذاته قابل للجدل والمناقشة، خاصةً إذا علمنا بأن كل ما كُتب عنه عبارة عن آراء ووجهات نظر مختلفة بل ومتناقضة أحياناً، ومن هذا المنطلق فقد كان هناك صعوبات وعقبات كبيرة في التوفيق بين هذه الآراء، أضف إلى ذلك غياب الدراسات الجادة، ونقص المراجع التي تحدثت عن تلك الفترة الزمنية، وعدم وجود اتفاق حول التسميات الخاصة بتلك الشعوب، وتواريخ حكم قادة الدول التي عاصرت تلك

الأحداث، فهي تختلف من مصدر وآخر، وكانت الطريقة في معالجة البحث تقسيمه إلى أربعة فصولٍ رئيسة على النحو الآتي:

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والحضارية في الشرق الأدنى القديم وجزر البحر المتوسط خلال القرن (١٣ ق.م). وقد ناقشت في هذا الفصل خمسة مواضيع رئيسة:

تناول الموضوع الأول: أوضاع بلاد الرافدين خلال تلك الفترة، حيث بيّنْتُ الوضع السياسي في الدولة البابلية إبان قوتها في عهد ملكها حمورابي (١٧٩٢– ١٧٥٠ ق.م)، وبسبب وصول حكام ضعفاء إلى الحكم سقطت بيد الحثّيين الذين سلموا الحكم فيها للكاشيين، ومن ثم كان سقوطها الأخير بيد العيلاميين عام ١١٥٧ ق.م، ثم أشرت إلى الدور الذي أدته الدولة الآشورية الوسطى في التصدي لتحركات بعض شعوب البحر من خلال استعراض أوضاع هذه الدولة عشية تحركات هذه الشعوب.

وتحدثت في الموضوع الثاني عن أوضاع سورية التي شهدت صراعاً بين الامبراطوريتين المصرية والحثية بهدف السيطرة عليها، وبرز هذا الصراع من خلال معركة قادش(١٢٨٥ ق.م)، كما ظهرت في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد مملكة أمورو التي لعب ملوكها دوراً بارزاً في الصراع بين المصريين والحثيين، كما سلّطْتُ الضوء على أوضاع مملكة أوغاريت التي كانت قوية اقتصادياً لكنها ضعيفة عسكرياً، الأمر الذي دفعها إلى عقد عدة معاهدات مع الممالك المجاورة، واستمرت أوغاريت في ولائها للحثيين حتى سقوطها على يد شعوب البحر، وكذلك كان لأوغاريت علاقات مع جزيرة قبرص القريبة منها.

أما الموضوع الثالث: مصر والدولة الحثية وسياسة التوازن في الشرق الأدنى القديم: فقد تحدثْتُ فيه عن تلك السياسة التي كان لها أثر كبير في استقرار وازدهار المنطقة خاصة عقب عقد معاهدة السلام بين البلدين وبمجرد اختلال هذا التوازن دخلت المنطقة في دوامة الاضطرابات.

وخصصتُ الموضوع الرابع لتقديم نبذة مختصرة عن أهم الحضارات التي ظهرت في منطقة بحر إيجه وبلاد اليونان الداخلية، التي أصبحت تعرف بالحضارات الإيجية، كالحضارة المينوية بكريت، والحضارة الميسينية، كما تطرقت للوضع الحضاري الذي كان سائداً في جزيرة قبرص خلال هذه الفترة.

أما الموضوع الخامس والأخير: فقد تناولت فيه الوضع الحضاري في جزر غرب البحر المتوسط، كسردينيا وكورسيكا وصقلية، وفي النهاية حاولت تقديم لمحة مختصرة عن أهم القبائل التي كانت تقطن

في ليبيا مع تنظيمها السياسي، خاصةً أن هذه القبائل قد قدمت مساعدات لشعوب البحر من أجل الهجوم على مصر.

الفصل الثاني: شعوب البحر أصلها وتحركاتها في حوض البحر الأبيض المتوسط في نهاية القرن (١٣ ق.م) وبداية القرن (١٢ ق.م). ناقشت في هذا الفصل ثلاثة مواضيع وهي:

الموضوع الأول: قضية التعبير المصري القديم (الجزر التي في وسط الأخضر العظيم) وعلاقته بشعوب البحر. وقد تناولت في هذا الموضوع تعبيراً مصرياً قديماً في غاية الأهمية ارتبط بهذه الشعوب هو:" الجزر التي في وسط الأخضر العظيم "، وقد أثار هذا التعبير جدلاً كبيراً في أوساط علماء المصريات، وحاولت أن أقدم بعض الآراء التي تدور حول مدلول هذا التعبير.

أما الموضوع الثاني:" شعوب البحر": فقد ناقشت فيه بالتحليل والتفصيل أصل كل شعب من هذه الشعوب؛ وهم " البلست، الثيكر، دانونا، شيكلش– تيرش، وشوش، إقواش، لوكا، الشردان"، كما ناقشت تحركاتها في البحر المتوسط أثناء هجرتها والمناطق التي استقروا فيها بعد هزيمتهم أمام مصر.

أما الموضوع الثالث: " مسار تحركات شعوب البحر" : فقد اختلفت الآراء حول تحديد المحاور التي سلكتها تلك الشعوب؛ لذلك قمنا باستعراض أبرز الطرق التي من المحتمل أن شعوب البحر كانت قد سلكتها في طريقها إلى الشرق الأدنى.

الفصل الثالث: غزوات شعوب البحر للامبراطورية الحثية وبلاد الشام والامبراطورية المصرية

ناقشت في هذا الفصل غزو شعوب البحر للامبراطورية الحثية، الذي كان من مقدماته حرب طروادة، التي كان سقوطها بوابة لسقوط العاصمة الحثية خاتوشا، ثم تطرقت إلى غزو هذه الشعوب لمدن وممالك بلاد الشام؛ ومنها كركميش، وأمورو، وألالاخ، وأوغاريت، وأشرت في نهاية هذا الفصل إلى دور المملكة الآشورية الوسطى في مواجهة شعوب البحر.

كذلك تم التطرق إلى العلاقة بين مصر وشعوب البحر، التي كانت في الغالب علاقة عدائية تميزت بمحاولة شعوب البحر دخول أراضي الدلتا الخصبة للاستقرار فيها وتصدي مصر لهم. وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاث موضوعات، تناولت في البداية الاحتياطات التي اتخذها رعمسيس الثاني (١٢٩٠– ١٢٢٤ ق.م)، خصوصاً من الناحية الغربية، ثم ناقشت الغزو الذي وقع في السنة الخامسة من عهد

مرنبتاح (١٢٢٤– ١٢١٤ ق.م) من جهة الغرب، وفي النهاية ناقشت الغزو الذي تعرضت له مصر في عهد رعمسيس الثالث (١١٩٤– ١١٦٢ ق.م)، الذي كان من الجهة الشمالية والشرقية، وفي هذه المرة عن طريق البر والبحر، ومن الممكن أن يكون هذا الغزو قد حدث على مرحلتين، الأولى في السنة الخامسة (١١٨٩ ق.م)، والثانية في السنة الثامنة (١١٨٦ ق.م).

الفصل الرابع: بعض المظاهر الحضارية لشعوب البحر

وقد تحدثت في هذا الفصل الأخير عن بعض المظاهر الحضارية التي اشتهر بها شعوب البحر كالملبس والتسليح وتنظيم الجيش، وبعض المظاهر الأخرى كصناعة الفخار والحديد.

ثم أوردت أبرز النتائج التي تم التوصل لها في نهاية البحث، ثم الخاتمة وجملة من الملاحق التي تضم عدداً من الخرائط والصور المتعلقة بموضوع البحث.

الفصل الأول

الأوضاع السياسية والحضارية في الشرق الأدنى القديم وجزر البحر المتوسط خلال القرن (١٣ ق.م)

أولا: الأوضاع في بلاد الرافدين

- الدولة البابلية
- الدولة الآشورية الوسطى

ثانيا: الأوضاع في سورية

ثالثا: مصر والدولة الحثية وسياسية التوازن في الشرق الأدنى القديم

رابعا: حضارات بحر إيجه

- الحضارات المينوية في كريت
- الحضارة المسينية (الموكينية)
- قبرص (ألاشيا)

خامسا: جزر غرب البحر المتوسط وليبيا

- سردينيا وكورسيكا
- صقلية
- ليبيا

أولا: الأوضاع في بلاد الرافدين

- **الدولة البابلية**

بعد أن بلغت الدولة البابلية أوج قوتها وازدهارها في عهد ملكها الشهير حمورابي (١٧٩٢- ١٧٥٠ ق.م)، ما لبثت أن دخلت في مرحلة الضعف؛ نتيجة وصول عدد من الملوك الضعفاء إلى سدة الحكم، الأمر الذي أدى إلى سقوطها بيد الحثيين بقيادة ملكهم مورشيلي الأول عام ١٥٩٥ ق.م، الذين غادروا بابل مباشرة بعد سقوطها مسلّمين الحكم فيها للكاشيين[١] القادمين من الشرق[٢].

وقد حكم الكاشيون بابل نحو أربعة قرون، ما بين ١٥٩٥ – ١١٥٧ ق.م، وتميزت بداية حكمهم بالقوة، ولكن سرعان ما دبَّ بها الضعف والتراجع منذ عام ١٢٧٠ ق.م؛ نتيجة تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والصراعات الداخلية، بسبب وصول حكام ضعفاء بدءاً من كودور إنليل الأول ١٢٦٤- ١٢٥٥ ق.م، وتعرض بابل لهجوم عيلامي في عهد الملك كاشتلياش الرابع ١٢٤٢- ١٢٣٥ ق.م، بالإضافة للأعمال العدائية التي قام بها الملك الآشوري توكوليتي نينورتا الأول ١٢٤٤- ١٢٠٨ ق.م، إلى حين سقوطها الأخير على يد العيلاميين عام ١١٥٧ ق.م بقيادة ملكهم كودور ناخونتي، الذي أنهى الحكم الكاشي على بابل وبسط سيطرته عليها[٣].

- **الدولة الآشورية الوسطى**

بعد عصر القوة الذي ساد في آشور تحت حكم ملكها شمشي أدد الأول ١٨١٥ – ١٧٨٢ ق.م، دخلت الدولة الآشورية القديمة في فترة الضعف، وخضعت للحكم البابلي إلى أن سقطت بيد الحثيين في القرن السادس عشر قبل الميلاد، ولما تراجع الحثيون عنها احتلها الكاشيون ، كما تعرض الآشوريون إلى

---

[١] الكاشيون : شعب هندو أوربي ، كانوا يعيشون في بابل بعد فترات طويلة من التغلغل السلمي، وبعد أن سيطر الحثيون على بابل استفادوا من ضعفهم واغتصبوا السلطة منهم واحتفظوا بها إلى غاية ١١٥٧ ق.م، انظر: كوتريل، ليونارد، الموسوعة الأثرية العالمية، تر: محمد عبد القادر محمد، زكي اسكندر، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٧، ص ٣٢٤.

[٢] موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٧، ص ٤٥.

[٣] مهران، محمد بيومي، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠، ص ٣١٢ .

أخطار أتتهم من دولة أخرى تكونت في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد هي دولة الميتانيين[١] التي سيطرت على بلاد آشور في القرن الخامس عشر ق.م.[٢]

ثم أعاد آشور أوباليط الأول ١٣٦٥- ١٣٣٠ ق.م وخلفاؤه عصر القوة الآشورية، فيما عرف فيما بعد بـ الدولة الآشورية الوسطى، حيث برز فيها ملوك كبار تمكنوا من تخليص البلاد من السيطرة الميتانية من أمثال: شلمانصّر الأول١٢٧٤- ١٢٤٥ ق.م، وتوكوليتي نينورتا الأول ١٢٤٤- ١٢٠٨ ق.م، الذي توسع حتى وصل إلى نهر الزاب الأسفل في الشرق، وحتى الفرات في الغرب وأورارتو في الشمال، ولكن ما لبثت أن مرت آشور بمرحلة من الضعف نتيجة اغتيال توكوليتي نينورتا الأول، ودامت هذه الفترة نحو قرن من الزمن برز خلالها دور بابل في السيطرة والقوة إلى أن عادت آشور للظهور ثانية بعد دمار بابل عام ١١٥٧ ق.م واستلام آشور ريش إشي العرش ما بين ١١٣٣- ١١١٧ ق.م[٣]، خاصة مع وصول أشهر وأقوى ملوك آشور في الدولة الوسطى تجلات بليصر الأول ١١١٧- ١٠٧٧ ق.م الذي كان له دور كبير في التصدي لبعض تحركات ما تبقى من قبائل شعوب البحر عن بلاد الرافدين، كما سنرى لاحقاً.

ثانياً: الأوضاع في سورية

شهدت سورية صراعاً مريراً بين الامبراطورية المصرية والامبراطورية الحثية، من أجل السيطرة عليها، خاصة بعد قضاء شوبيلوليوما الأول ١٣٧٥- ١٣٣٥ ق.م امبراطور الحثيين على الدولة الميتانية عام ١٣٥٠ ق.م، وكانت ذروة هذا الصراع في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م مع المصريين، وفي هذه الفترة شهدت سورية، خاصة في أطراف البادية السورية، انتشار قبائل الأخلامو، وهم القسم الأكبر والأقوى من القبائل الآرامية، التي انتشرت ما بين مناطق الفرات الأوسط وحتى كركميش (جرابلس حالياً) بدءاً من القرن السابع عشر قبل الميلاد[٤].

---

[١] دولة ميتاني: اسم سياسي لمملكة أنشأها الحوريون في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وقد غزا ملكهم المسمى "سوشنار" ، المعاصر للفرعون المصري تحوتمس الثالث، بلاد آشور، انظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، دار المعلمين العالمية، بغداد، ١٩٥٥، ص ١٦٧ .

[٢] المرجع نفسه، ص ١٧٣.

[٣] السعدي، حسن محمد محي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم " العراق- إيران-آسيا الصغرى، ج٢، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥، ص ١٦٧، ١٦٨.

[٤] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠- ٣٠٠ ق.م، ترجمة: سيف الدين دياب، دار المتنبي، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

كما نشأت في هذه الفترة من النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، مملكة أمورو نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وقد امتدت من ساحل البحر المتوسط في الغرب إلى سهول حمص في الشرق، ومن أوغاريت في الشمال إلى جبيل في الجنوب، وقد لعبت هذه المملكة دوراً بارزاً في الصراع بين الحثيين في الشمال، والمصريين في الجنوب، فقد لعب ملوكها ومن أبرزهم عبدي عشيرتا ١٣٨٠– ١٣٤٥ ق.م وابنه عزيرو ١٣٤٥– ١٣١٥ ق.م دوراُ بارزاً في ذلك الصراع، حيث كانوا يجيدون اللعب على السياسة الدولية، ما بين موالين للسلطة في العاصمة الحثية خاتوشا من جهة، وفي الوقت نفسه إرضاء السلطة الامبراطورية في مصر من جهة أخرى، كما أنهم شكلوا خطراً على معظم ممالك وإمارات سورية الجنوبية الموالية لمصر، وقد وقف ملوك أمورو إلى جانب الحثيين في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م[١].

أما عن بقية إمارات وممالك سورية (قادش– جبيل– قطنة– ....إلخ) فقد تراوحت في ولائها ما بين الحثيين والمصريين، إلى حين توقيع معاهدة السلام الشهيرة بين الحثيين والمصريين عام ١٢٦٩ ق.م، التي عمَّ السلام على أثرها في سورية لأكثر من ٦٠ سنة، إلى حين قدوم جحافل شعوب البحر، هذه المعاهدة التي قسمت سورية على الخط الوهمي الممتد من جبيل على الساحل السوري إلى دمشق في الداخل، فكانت المناطق التي تقع شمال هذا الخط تابعة للحثيين، والمناطق التي تقع جنوبه تابعة للمصريين.

أما مملكة أوغاريت فقد حكمها في عصر ازدهارها في أواخر عصر البرونز الحديث ١٤٠٠– ١٢٠٠ ق.م، سبعة أو ثمانية ملوك، كان أولهم نيقمادو الثاني ١٣٧٠– ١٣٣٥ ق.م وقد عاصر الامبراطور الحثي شوبيلوليوما الأول وعزيرو ملك أمورو، وقد كانت مملكة أوغاريت قوية اقتصادياً لكنها ضعيفة عسكرياً، وهو السبب الذي جعلها تعقد معاهدة صداقة مع عزيرو ملك أمورو، ومعاهدة أخرى مع الامبراطور الحثي شوبيلوليوما الأول، نصت المعاهدة على تقديم أوغاريت جزية سنوية للملك الحثي مؤلفة من كمية محددة من الذهب وملابس وأصواف أرجوانية للملك والملكة الحثيّين، مقابل قيام الملك الحثي بحماية أوغاريت من اعتداءات جيرانها عليها، وعلى رأسهم مملكة موكيش (آلالاخ) في الشمال[٢].

وقد استمرت أوغاريت في ولائها للحثيين إلى حين سقوطها على يد شعوب البحر في عهد آخر ملوكها عمورابي ١٢١٠– ١١٩٠ ق.م، وقد عاصر هذا الملك آخر الملوك الحثيين شوبيوليوما الثاني ١٢٠٠– ١١٩١ ق.م، ونائبه في كركميش تالمي تيشوب.

---

[١] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠– ٣٠٠ ق.م ، ص ١٧٥.

[٢] المرجع نفسه، ص١٧٦.

لقد غدت أوغاريت خاصة بعد معاهدة الصلح الحثية المصرية، أكبر ميناء لتصدير البضائع في الساحل السوري الشمالي، وهي بوابة منطقة العمق وسورية الشمالية إلى العالم الإيجي كريت– ميكيني) وجزيرة قبرص، وقد كانت لأوغاريت علاقات جيدة مع كيليكية الواقعة تحت السيطرة الحثية، كما أنها وقفت إلى جانب الحثيين في معركة قادش، وقد بقيت علاقاتها مع مصر ودية في عهد حور محب ورعمسيس الثاني ومرنبتاح إلى حين سقوطها.

ثالثاً: مصر والدولة الحثية وسياسة التوازن في الشرق الأدنى القديم

من الواضح أن حركة شعوب البحر والاضطرابات التي خلفتها لم تكن فجائية، إذ إن هناك العديد من الإشارات والتلميحات في الحوليات الحثية والمصرية لهذه الشعوب التي كانت معروفة منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبالضبط في عهد أمنحوتب الرابع (أو أخناتون ١٣٦٧–١٣٥٠ ق.م) من الأسرة الثامنة عشرة[١]. كما يجب أن نشير في البداية إلى أن هناك ثلاث قوى سياسية وحضارية كانت تسيطر على المنطقة خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد هي :

١– الامبراطورية المصرية من الجنوب والشرق.

٢– الامبراطورية الحثية من الشمال الشرقي.

٣– الحضارة الميسينية من الشمال الغربي.

ولقد تميز القرن الثالث عشر قبل الميلاد بتوازن سياسي دقيق بين القوتين الكبيرتين: (مصر والدولة الحثية)، لكن بمجرد فشل هذا التوازن وقعت المنطقة كلها بحالة من الفوضى والاضطرابات دامت فترة طويلة، وبداية هذا التوازن كانت مع بداية القرن نفسه، الذي شهد أهم حدث عسكري في تاريخ العلاقات المصرية الحثية، ونقصد به معركة قادش (١٢٨٥ ق.م) بين مصر بقيادة رعمسيس الثاني، ووالدولة الحثية بقيادة الملك " مواتالي MUWATALLIS"، بهدف السيطرة على سورية المتنازع عليها، وتعتبر هذه المواجهة هي الأولى والأخيرة لهاتين القوتين بعد أن سيطرتا على منطقة الشرق الأدنى لأكثر من ثلاثمائة سنة[٢]. فبالنسبة لمصر كانت تحاول استرجاع قوتها ونفوذها الذي حققته في القرن الخامس عشر قبل الميلاد[٣]، لكن هذه المكاسب فُقدت في عهد الفرعون أمنحوتب الرابع (أخناتون). أما الدولة الحثية فقد استغلت ضعف هذا الفرعون وتوسعت جنوباً نحو سورية حتى بلغت أوج قوتها في عهد الملك "

---

[١] PAUL MERTENS, Les Peuples de la Mer, Chronique d'Egypte, Tome ٣٥, ١٩٦٠. P.٧١.

[٢] N.K.SANDARS, The Sea Peoples Warriors Of the Ancient Mediterranean ١٢٥٠-١١٥٠ B.C. Thames and Hudson, London ١٩٧٨, p.٣٠.

[٣] N.K.SANDARS,OP. CIT, p.٣١.

شوبيلوليوما الأول" (١٣٧٥-١٣٣٥ ق.م)، حيث كان الحثيون يعتبرون قادش وأمورو من ممتلكاتهم الجنوبية[١]، ومن ناحية أخرى بدأت الدولة الحثية في هذه الفترة الاهتمام بالبحر وأخذت تنشط علاقاتها التجارية مع شعوب سواحل وجزر بحر إيجه[٢] مما ساعدها على منافسة مصر في السيطرة على البحر المتوسط.[٣]

في حقيقة الأمر كانت المواجهة بين مصر والدولة الحثية تبدو كأنها شيء حتمي، إذْ بدأ الحاكمان في التحضير لها منذ توليهما الحكم، خاصة رعمسيس الثاني (١٢٩٠-١٢٢٤ ق.م) الذي استهل بداية حكمه بعدة نشاطات عسكرية، إذ نقرأ على لوحة بأسوان من السنة الثانية أنه: "**هزم الآسيويين وسلب بلادهم ووطئ بأقدامه أجانب الشمال، وأفنى التمحو، وحرم النوبيين من نسمات الحياة** "[٤]، والواضح من النص أن نشاطه العسكري كان على جبهات عدة ربما بهدف السيطرة على هذه المناطق للتفرغ بشكل تام لحربه ضد الحثيين. وأول حملة قام بها رعمسيس الثاني كانت في السنة الرابعة من حكمه، حيث عبر فلسطين ووصل حتى نهر الكلب[٥] شمال بيروت، ويبدو أن هذا كله كان بمثابة مقدمة لما ينوي فعله في العام التالي، من أجل ذلك عزز جيشه ونظمه إلى أربعة فيالق " فيلق آمون ، ورع ، وبتاح ، وست " وكل فيلق يضم نحو ٥٠٠٠ رجل، كما جمع فرقاً عسكرية استقدمها من النوبة، واستعان بمرتزقة من الشردان، ويضيف "جدكه" إلى ذلك أن التجنيد الإجباري قد فرض على رعايا الفرعون في فلسطين، وفي ملحمة "بنتاؤور"[٦] يخبرنا رعمسيس الثاني عن تحضيره " **أن جلالته قد جهز مشاته وعجلاته والشردان أسرى جلالته الذين أحضرهم بانتصار ذراعه القوية** "[٧].

وعلى الجانب الآخر، لم يكن الملك الحثي " مواتالي " أقل استعداداً من عدوه، إذ قام بتجنيد كل ما استطاع من رجال دولته، كما شكل تحالفاً كبيراً مع أمراء آسيا الصغرى وسورية الشمالية، وكان المصريون لا يرون فيهم حلفاء أو تابعين للحثيين ضدهم، إنما مرتزقة لا يهمهم سوى ما يقدمه الملك

---

[١] A.GOETZE, The Hittites and Syria (١٣٠٠- ١٢٠٠ B.C), Cambridge Ancient History, II, ١٩٧٥, p. ٢٥٢.

[٢] بحر إيجه بحر يقع بين اليونان وكريت وأسيا الصغرى، مليء بالجزر ويعرف أيضاً بالأرخبيل.

[٣] CLAJRE LALOUETTE, L, Empire des Ramses, Fayard, ١٩٨٥, p.١١٤.

[٤] Ibid, p.١١٥.

[٥] نهر الكلب ينبع من مغارة جعيتا في لبنان ويصب في البحر المتوسط.

[٦] ملحمة بنتاؤور: ملحمة شعرية كتبها الناسخ بنتاؤور حيث يتناول فيها تفاصيل معركة قادش من بدايتها إلى نهايتها، والملحمة عبارة عن تمجيد لشخص رعمسيس الثاني وشجاعته، حيث نسبت له الانتصار في المعركة.

[٧] H.GOEDJCKE, Considerations on the Battle of Kadesh, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٥٢, ١٩٦٦, p.٧٢-٧٩.

الحثي " **فهو لم يترك فضة في بلده فقد سلبها كل ممتلكاتها وأعطاها لكل البلاد الأجنبية ليأتي بهم معه إلى القتال** "[١].

ومهما كان الأمر فقد استطاع الملك الحثي أن يجمع الكثير من الشعوب، خاصة من رجال القبائل المتجولة المعروفة بـ " الخابيرو"، حتى بلغ عدد الرجال ما يزيد على ٢٠ ألفاً، وعدد العربات يزيد على ٣٥٠٠ عربة[٢].

والواقع أن هذه الشعوب التي جمعها الملك الحثي كانت من المناطق البعيدة في آسيا الصغرى، وتذكر النصوص المصرية أن " **مواتالي جمع كل البلدان من أطراف البحر إلى أرض خاتي** "[٣]. وقد لعبت هذه الشعوب التي ذُكرت في معركة قادش دوراً كبيراً في الاضطرابات التي شهدتها الامبراطورية الحثية ومنطقة الشرق الأدنى القديم في الفترة التالية، بل إن بعض هذه الشعوب كانت ضمن شعوب البحر التي هاجمت مصر وشرقي البحر المتوسط مع نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

من هنا نجد أنه من الضروري أن نقدم عرضاً موجزاً عن البلاد التي كانت تقطنها هذه الشعوب، لأنها تقدم لنا صورة واضحة عن جغرافية الامبراطورية الحثية في عهد الملك "مواتالي" وهي كما يلي:

أ- نهرن NHRN أو " نهارينا"[٤] : وهي مملكة تقع شرق نهر الفرات كانت حدودها الغربية قد وصلت في هذه الفترة حتى حلب، لكن لم تلبث أن سقطت في أيدي الآشوريين.[٥]

ب – إرثو: وهي " أرزاوا " " ARZAWA " بالبابلية، يتفق أغلب المؤرخين على أنها تقع على ساحل البحر المتوسط في الجهة الغربية من الجنوب الغربي من بلاد الحثيين.[٦] ولقد كانت أرزاوا في اتصال

---

[١] دريوتون، إيتين، وفانديبه، جاك، مصر، ترجمة: عباس بيومي، القاهرة، ١٩٥٠م ، ص٤٧٠،٤٧٢.

[٢] ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم " وادي الرافدين، بلاد الحثيين، فارس"، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر،١٩٦٣م، ص ٤٨٢ .

[٣] A.GOETZE, OP.CIT,P.٢٥٣.

[٤] يرى بعض المؤرخين بأن المقصود بـ " نهارينا " هي مملكة ميتاني رغم أن النصوص المصرية تذكر الاسمين (Mtn Nhrn) معاً، وفي نصوص الرعامسة اختفت كلمة " ميتاني " نتيجة القضاء عليها من قبل الآشوريين، بينما استمرت كلمة " نهارينا " في الاستعمال، وترى كلار لا لوات أن سبب هذا التطابق يرجع ربما إلى موقع المملكتين المتجاورتين على ضفتي الفرات (ميتاني على الضفة اليسرى، ونهارينا على الضفة اليمنى).انظر:

CLAJRE LALOUETTE, OP.CIT, P.٤٨٢.

[٥] N.K.SANDARS, OP.CIT, P.٣٦.

[٦] A.H.GARDINER, Ancient Egyptian Onomastica, I , Oxford, ١٩٤٧, P.١٢٩.

سياسي دائم مع الحثيين، لكن الاضطرابات التي كانت تحدث في أرض أرزاوا لعبت دوراً كبيراً في انهيار الامبراطورية الحثية[١].

ج – ماسا : التي تطابق " ماشا " الحثية، ويرى بعض العلماء أنها تطابق الاسم القديم لمنطقة " ليديا "[٢] ، أما " جاردنر " فيرى أن " ماسا " وقرقش التي تطابق " كاركيشا " عند الحثيين – التي كانت ضمن حلف قادش أيضاً – تقعان في المنطقة التي عرفت بـ " كاريا " في جنوب المنعطف عند ساحل الجنوب الغربي لآسيا الصغرى.[٣]

د – بيداسا : المعروفة عند الحثيين بـ " بيداشا "، يرى " جاردنر " أنها لا بد أن تكون جنوب غرب خاتوشا وشمال أرض أرزاوا .[٤]

هـ – كشكش: تسمى أحياناً بـ " كاشكا "، وهي معروفة عند الحثيين بـ " الجاسجا "، تقع هذه البلاد في الشمال الشرقي من " خاتوشا "، ومن المحتمل على ساحل البحر الأسود.[٥] لقد كان شعب هذه البلاد من حلفاء خاتي في قادش، إلا أنهم لعبوا دوراً بارزاً في القضاء على الامبراطورية الحثية، إذ كانوا يهددون حدودها الشمالية دائماً منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد، وخلال معركة قادش نفسها استغلوا غياب "مواتالي" وأخوه "خاتوشيلي" في الجنوب وهاجموا " خاتوشا " وخربوها، وقد أسر المصريون عدداً كبيراً منهم، استخدموهم في الفلاحة في فلسطين، لكن لم تعرف حرفتهم الخاصة، ويبدو أن لهم فضلاً كبيراً في صناعة الحديد، إذْ كانوا يستولون على المناطق الأناضولية الغنية بالحديد.[٦]

و – لوكا: أو " لوكي " وهم القراصنة المشهورون في شرق البحر المتوسط، واختلف المؤرخون حول موقع بلدهم في الأناضول، هل هي في الشمال الغربي؟ أم في الأراضي الداخلية ؟ أم في الجنوب الغربي في ساحل " كاريا "؟ لكن يبدو أن المنطقة الأخيرة هي الموقع المناسب لهم[٧]. وتعد " لوكا " من ضمن شعوب البحر التي هاجمت مرنبتاح فيما بعد، وإضافة إلى هذه الأسماء هناك ذكر للعديد من مناطق الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى وسورية الشمالية فنجد " كيزوادنا " أو " كيزواتنا " الحثية، إذْ يرى (وينرايت) أنها تقع شمال شرق " سيليسيا "[٨]، أما (ساندارز) فيعتقد أنها الجزء الساحلي من سيليسيا[١].

---

[١] N.K.SANDARS, OP.CIT,P.٣٦.
[٢] R.D.BARNETT, The Sea Peoples, Cambridge Ancient History, JJ, Chapter, ٢٨, ١٩٧٥,P.٣٦٠.
[٣] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١٢٨.
[٤] Ibid, p.١٢٩.
[٥] PAUL MERTENS, OP.CIT, p.٧٤.
[٦] N.K.SANDARS, OP.CIT, p.٣٦.
[٧] Ibid, p.٣٧.
[٨] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea-Peoples And Others In the Hittites Archives, Journal of Egyptian Archaeology,٢٥, ١٩٣٩, p.١٥٣.

المهم أن شعوب هذه المنطقة كانت تشكل قسماً كبيراً من الجيش الحثي، وكانت علاقتهم مع الحثيين في غالب الأحيان ودية، وقد جعلت السهول الساحلية الخصبة – لهذه المنطقة – البلاد تعيش في حالة ازدهار، إذْ ظهرت فيها مدن تجارية عديدة منها طرسوس[٢] وأدانا، وأورا، وتعد هذه المنطقة ذات أهمية اقتصادية وسياسية بالنسبة للحثيين، فهي تقع على الطريق التجاري الذي يجمع بين بلاد الأناضول وسورية ومصر، وقد كان القسم الأكبر من سكان هذه المنطقة يتكلم لغة تنتمي إلى اللغة الهندو–أوربية، وتنسب إلى اللغة الحثية، وتعرف الآن باسم (اللغة اللوية) كما كانت تستخدم في أجزاء من غرب الأناضول بما في ذلك أرزاوا، ومع هذا العنصر السكاني الذي يستخدم اللغة اللوية، يوجد عنصر آخر من أصول شرقية وصل عن طريق (الحوريين) الذين انطلقوا من وسط الفرات وانتشروا في جزء كبير من مناطق الشرق الأدنى القديم منذ النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد، وقد عثر في خاتوشا على نصوص مكتوبة باللغة الحورية.[٣]

وتستمر القائمة فتذكر " كركميش " أو " قرقميش " الواقعة على الفرات، التي تبعد مسافة ١٠٠ كيلو متر تقريباً شمال شرق حلب[٤]، كما شملت القائمة حلفاء آخرين من حلب وأوغاريت وقادش، وإلى غير ذلك من البلاد[٥].

لقد ذُكرت معركة قادش في العديد من النصوص المصرية المسجلة على صفحات أوراق البردي، وعلى عدد من جدران المعابد في مصر[٦]، والنوبة، أشهرها (ملحمة بنتاؤور)، وقد اختلف المؤرخون حول نتيجة هذه المعركة نظراً لاختلاف الروايتين المصرية والحثيةِ، فالرواية المصرية تؤكد انتصار رعمسيس الثاني، وأن الحثيين انسحبوا من ميادين المعركة، والأكثر من ذلك أنها أكدت أن الملك الحثي أرسل رسولاً للفرعون يعرض عليه السلام، ويستعطفه بعبارات لا تخلو من الألم والمذلة، وأن الفرعون استجاب لهذه

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, p.١٤٠.

[٢] طرسوس: مدينة في أسيا الصغرى (سيليسيا) كانت حوالي العام ١٢٠٠ ق.م بيد الحثيين، تعرضت لغزوات شعوب البحر واستولى عليها الآشوريون (القرن التاسع إلى السابع ق.م) ومن بعدهم الفرس، ثم الاسكندر الكبير عام ٣٣٣ ق.م. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، مكتبة جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٨٨ م، ص٥٦٣.

[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, p.٣٧

[٤] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١٣٢.

[٥] للاطلاع على مزيد من أسماء البلاد الأخرى التي شاركت في معركة قادش انظر:
A.GOETZE, OP.CIT, p.٢٥٣. وأيضاً PAUL MERTENS, OP.CIT, p.٧٣-٧٥.

[٦] حسن، سليم، مصر القديمة– عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية،ج٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص٢٤٧.

الدعوة، وقد بالغ الكتّاب والرسامون في جرأة الفرعون وشجاعته، وعجز أعدائه أمامه[١]، وتجلى ذلك من خلال المناظر التي رُسمت على جدران المعابد إذْ نقرأ على البوابة الثانية في الرمسيوم : " **في السنة الخامسة من حكمه في الشهر الثاني من فصل شمو في اليوم التاسع مضى في اتجاه هذه البلاد الخسيسة بلاد خاتي إبان حملته المظفرة الثانية** "[٢]، أما الرواية الحثية فتختلف تماماً، إذْ أنكر الحثيون في نصوصهم أنهم طلبوا العفو من رعمسيس الثاني، وادعوا أنه يأس منهم فترك ميدان القتال وأقفل راجعاً، وأنهم تعقبوا جيشه المنسحب، وتوغلوا جنوباً حتى دمشق[٣].

والواقع أننا نميل إلى الرواية الحثية لأن نتيجة المعركة تبرز في بعض الحقائق ومنها: استمرار الحثيين بالسيطرة على قادش وقلعتها، بل أصبح بمقدورهم السيطرة على كنعان أو الضغط عليها على الأقل لتثور ضد مصر، كما أن بلاد أمورو التي كانت السبب الرئيس في قيام الحرب خضعت بعد معركة قادش للحثيين، وتم خلع ملكها " بنتسينا " حليف المصريين، ليعين مكانه أحد أعوانهم وهو " سابيلي "، ولم يعثر على أي شيء في النصوص الحثية من عهد " مواتالي " أو خلفه يذكر أن السيطرة على أمورو قد فقدت مرة أخرى[٤].

ومهما يكن فلو سلَّمنا أن حملة رعمسيس الثاني قد حققت بعض النتائج العسكرية، فإن النتائج السياسية لم تكن ذات أهمية، فلم يستطع طرد الحثيين من شمال سورية، وكل ما فعله أنه أفسد خطتهم، ومنع الهزيمة عن جيشه وأوقف تقدمهم، أما فيما يخص الحدود بين البلدين، فيرى بعض العلماء أنها بقيت في موقعها عند نهر الكلب في فينيقيا كما كانت قبل المعركة[٥].

ومهما كان الأمر فإن السلام بين البلدين لم يستمر طويلاً بعد معركة قادش، وما لبث أن عاد رعمسيس الثاني إلى حملاته على آسيا وفلسطين بسبب الثورات التي اندلعت فيها بتحريض من الحثيين، الذين لم يحاولوا هذه المرة تكوين تحالف جديد، والصدام المباشر مع مصر، إنما عمدوا إلى سياسة إثارة الفتن والاضطرابات.

---

[١] صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٢٣١.

[٢] لالويت، كلير، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر حويجاتي، مراجعة: طاهر عبد الحكيم، دار الفكر للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٤٩.

[٣] A.GOETZE, OP.CIT, p.٢٥٤.

[٤] Ibid, p.١٢٥.

[٥] شارف، ألكسندر، تاريخ مصر، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٢٥.

وفي نقوش الرمسيوم، والكرنك، والأقصر إشارات عديدة إلى هذه الحملات وإن كانت غير واضحة أحياناً، وأول حملة بعد معركة قادش كانت في السنة الثامنة من حكمه (١٢٨٢ ق.م)، فقد خرج إلى فلسطين وفينيقيا، واستولى على عدد من المدن منها عسقلان[١] ودابور وهو الحصن المهم في بلاد أمورو، ومن المحتمل أن يكون قد حارب أثناء عودته إلى مصر مملكتي مؤاب، وأدوم[٢]، أما الحملة الثانية فكانت في السنة العاشرة من حكمه، فقد عثر له على لوحة قرب نهر الكلب، وفي هذه الحملة ضرب حصاراً على مدينة تونيب شمال قادش ومن المحتمل أن الملك الحثي أرسل له نجدة عسكرية، وتوقف رعمسيس الثاني عن نشاطه العسكري في آسيا بعد فترة، أخمد خلالها ثورة ظهرت في الجنوب[٣] ثم استأنف حملاته، ولدينا لوحة من بيت شان[٤] تذكر السنة الثامنة عشرة من حكمه، لكنها تسجل حقائق غير ثابتة، ومع ذلك فهي تشير إلى نشاط للفرعون في هذه المنطقة، إضافة إلى ذلك هناك ما يشير إلى حملة حربية قام بها الفرعون في عام حكمه الحادي والعشرين.

ومهما يكن فإننا نقرأ على جدران معبد الرمسيوم إشارات إلى أسماء خاتي ونهرين، وتنو، وكريت، وقبرص، وبابل، وآشور، مع ذكر خضوعها لمصر، وربما كان في ذلك شيء من المبالغة، لذلك يرجح أن هذه البلاد قد آثرت السلامة، فأرسلت وفوداً إلى الفرعون، تحمل الهدايا وتطلب المودة والتحالف.[٥]

لقد انتهت الحرب المصرية الحثية إلى سلام بين البلدين في العام الحادي والعشرين من حكم رعمسيس الثاني (١٢٦٩ ق.م)، وقد حاول المؤرخون تفسير نهاية هذه الحرب، وهنا نقدم رأي المؤرخ (جوزيف ستورم JOSEF STURM)، الذي يرى أنه " لا يمكن تحديد السبب الرئيس لتوقف هذا الصراع، لكن التفسير الممكن هو أن الجميع سئم من الحرب " ثم يضيف (جوزيف) الذي يعد رعمسيس الثاني هو

---

[١] عسقلان: مدينة فلسطينية قديمة تقع على البحر المتوسط على بعد ١٩ كلم شمالي غزة، أُنشئت هذه المدينة قرابة العام ٢٠٠٠ ق.م، وأصبحت إحدى المدن الفلسطينية الرئيسة الخمس بفضل موقعها الجغرافي، وقد ورد اسمها في الوثائق المدونة بمناسبة غزو قبائل الخابيرو لفلسطين في القرن الثالث عشر ق.م. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية ، ص٦٠٨.

[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P١٢٣-١٢٤.

[٣] Ibid, P.١٢٥.

[٤] بيت شان: مدينة كنعانية تقع غربي نهر الأردن، فيها آثار متراكمة يعود أقدمها إلى الألف الرابع ق.م، عُثر في موقع هذه المدينة على بقايا معابد وأروقة وميادين لسباق الخيل، كما اكتشف فيها من آثار المصريين نصب لسيتي الأول وآخر لرعمسيس الثاني، الاسم الحالي للمدينة " تل الحصن " بالقرب من بيسان. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية ، ص٢٥١.

[٥] K.A.KITCHEN, Some New Light On the Asiatic Wars Of RAMESSES II, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٥٠, ١٩٦٤,P.٦٨-٧٠.

المعتدي، وهو المسؤول عن توقف الحرب " أنه ربما اقتنع بنجاحه العسكري الذي يعتبره كافٍ لفرض شروطه في حال إبرام معاهدة سلام .... "، كما اعتقد أنه بلغ ذروة النجاح في آسيا، ولكن (جوزيف) يعترف في النهاية " أنه لا يستطيع أن يبرهن على هذا كله."[١]

في واقع الأمر هناك عدة أسباب حملت مصر والدولة الحثية على عقد المعاهدة، فالدولة الحثية كانت تمر بظروف داخلية وخارجية صعبة بعد معركة قادش، فقد توفي الملك مواتالي سنة ١٢٨٣ ق.م ولم يترك ابناً شرعياً يورثه الحكم، مما استدعى اللجوء إلى الدستور الحثي الذي ينص في مثل هذه الحالة بأن يتولى الحكم ابن إحدى المحضيات، وكان لمواتالي ابن من أحد المحضيات هو (أورخي تشوب)[٢]، ووفقاً لذلك أصبح هو الملك الرسمي للامبراطورية الحثية[٣]، ولم يعارض خاتوشيلي ابن أخيه رغم أنه كان طموحاً وطامعاً في الحكم، ورضي بأن يبقى حاكماً موالياً على إقليم (خاكبيس)، لكن العلاقة بين الطرفين لم تكن ودية بدرجة كافية، وما لبث أن نشب النزاع بينهما وانتهى بانتصار خاتوشيلي وأسر أورخي تشوب الذي نفي إلى سورية الشمالية، لكن يبدو أنه استطاع الفرار ربما إلى ألاشيا (قبرص) أو إلى مصر، ومن المرجح أنه هرب إلى مصر.[٤]

مهما كان الأمر فقد انفرد خاتوشيلي الثالث بالحكم (١٢٧٥– ١٢٥٠ ق.م) وبقيت لنا قصة حياته من نص يقدمه عن فترة حكمه، حيث يقول بافتخار: " ..... **الجميع تعاونوا معي، وأرسلوا لي مبعوثين وهدايا كما كان الحال مع أجدادي ..... وغزوت جميع الأراضي التي تعاديني وضممتها إلى خاتي .... وإن الذين كانوا أعداء آبائي وأجدادي عقدوا السلام معي.**"[٥].

استطاع خاتوشيلي الثالث الحفاظ على قوة الامبراطورية الحثية رغم المصاعب الداخلية التي كانت تعانيها، والأخطار الخارجية المحيطة بها، فالحوليات الحثية من عهده تذكر معارك في مناطق اللوكا، واضطرابات في سورية الشمالية وفي منطقة أرزاوا، أما في الشمال فهناك شعوب الجاسجا التي حاربها

---

[١] PHILIPP VANDENBERG, Ramses II, Traduit de l, allemande Par Jeanne-Marie. Gaillard-Paquet, Pierre Belfond Paris, ١٩٧٩, P.١٨٦.

[٢] أطلق على نفسه اسم " مورشيلي الثالث " وهو الاسم الذي وجد على ختمه الرسمي في مدينة أوغاريت، أما خاتوشيلي، وربما نتيجة النزاع معه كان يطلق عليه دائما اسم " أورخي تشوب " وهي ربما دلالة على الاحتقار والسخرية.

[٣] A.GOETZE, OP.CIT, p.٢٥٦.

ولمزيد من الاطلاع على هذا الصراع الداخلي واحتمال هروب أورخي تشوب إلى مصر انظر:
PHILIPP VANDENBERG, OP.CIT,P.١٨٨-١٩٠.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٣٣.

[٥] A.GOETZE, OP.CIT, p.٢٥٧.

لمدة خمسة عشر عاماً[١]، وتفاقمت الأخطار الخارجية المتمثلة في الامبراطورية الآشورية من جهة الجنوب الشرقي التي استغلت هذه الأحداث الداخلية التي مرت بها خاتي، وقام ملكها " أدد نيراري " بغزو الأراضي، واستولى على مدينة " أوزاشاتا "، وحاول الوصول إلى الفرات، وبهذا الانتصار أصبحت آشور تمثل القوة الثالثة في منطقة الشرق الأدنى القديم، فقد حاول ملكها تحدي خاتوشيلي الثالث فبعث له برسالة يطلب فيها أن يعترف به " كملك عظيم " ويعرض عليه " الأخوة والصداقة "، لكن مع الأسف لم يُعثر على نسخة هذه الرسالة، إنما عُثر على نسخة رد خاتوشيلي على الملك الآشوري، وهو رد يبدي فيه عدم اقتناعه بهذا الطلب[٢]، ويؤكد له في النهاية أنه " لا يتمنى أن يصبح ملكاً عظيماً "[٣].

وعلى العموم فقد أدرك خاتوشيلي الخطر الآشوري فلجأ إلى عقد اتفاقية مع الملك الكاشي البابلي " كادشمان تورجو "، ليمنع آشور من الوصول إلى الفرات، وليحد من طموحاتها التوسعية[٤]. كما قام بعقد تحالف مع ملك أمورو " بنتسينا " وزوجه بأميرة حثية، كما زوج أحد أبنائه من إحدى بنات هذا الملك، ولكن هذه السياسة لم تفلح، إذ ما لبثت أن تعرضت العلاقات الحثية البابلية لفتور بعد موت " كادشمان تورجو " وتولي ابنه " كادشمان إنليل " الحكم، وبذلك أصبحت خاتي بين عدوين، مما جعلها تطلب عقد معاهدة سلام مع مصر[٥].

أما بالنسبة لمصر فيبدو أن مجهودات رعمسيس الثاني الحربية في آسيا قد أنهكت قوتها العسكرية، والواضح أن رعمسيس نفسه أصبح مقتنعاً بما حققه من انتصارات، كما كان مُتخوفاً أيضاً من آشور، وأدرك أنه لا بد من إيقاف أطماعها التوسعية[٦]، وهكذا أدرك المصريون والحثيون في آخر الأمر أنه لا فائدة من إفناء جهودهم في حروب متواصلة فلجؤوا إلى إبرام معاهدة تحالف وسلام في العام الحادي والعشرين من حكم رعمسيس الثاني (١٢٦٩ ق.م)، تضمنت هذه المعاهدة عدة بنود تنظم العلاقات بين مصر وخاتي، إذْ نصَّتْ على أن لا يكون لأحد الطرفين نوايا أو مزاعم على مناطق الطرف الآخر، وبذلك تخلى رعمسيس الثاني عن أمورو، وتنازل خاتوشيلي الثالث عن مطالبه بالسيادة على سورية.

---

[١] A.GOETZE, OP.CIT , P.٢٦٠.
[٢] PHILIPP VANDENBERG, OP.CIT,P.١٩٠.
[٣] كان لقب " الملك العظيم " يطلق على الملوك الكبار لمصر وخاتي وبابل ثم آشور، وبالنسبة لهذه الرسالة، انظر أيضاً: A.GOETZE, OP.CIT, p.٢٥٨.
[٤] Ibid, P.٢٥٨.
[٥] Ibid, p.٢٥٨،٢٨٩.
[٦] PHILIPP VANDENBERG, OP.CIT,P.١٩١.

والواقع أن هناك نقطة اختلاف بين المصادر المصرية والحثية حول الطرف الذي قام بطلب عقد المعاهدة، فالمصادر المصرية تذكر أن خاتوشيلي هو الذي طلب عقد المعاهدة، وأن رعمسيس الثاني وافقه على ذلك، أما المصادر الحثية فتذكر أن رعمسيس الثاني هو الذي طلب وحث على عقد هذه المعاهدة. والحقيقة فإننا نميل إلى تصديق المصادر المصرية؛ نظراً للظروف الصعبة التي مرت بها الامبراطورية الحثية والتي ذكرناها من قبل.

وهناك من يرى أن هذه الاختلافات ربما تعود إلى أن كل وثيقة أو نسخة من المعاهدة حررت حسب ما يلائم مكانة كل حاكم في بلده، ومن الواضح أن مشروع المعاهدة حرر في البداية في خاتوشا على لوحة من الفضة بالخط المسماري، ومن الممكن أن يكون هناك مبعوثون مصريون قد شاركوا في تحرير هذه المعاهدة، وحسب النصوص المصرية فقد أوفد ملك خاتي خاتوشيلي رسولين إلى رعمسيس الثاني، ليعرضا عليه مشروع المعاهدة الذي قبله من حيث المبدأ، مع إدخال بعض التعديلات عليه، ثم أعادوا كتابة النص الجديد على لوحتين من الفضة، قدموا واحدة إلى خاتي ووضعوها عند قدمي الإله " تشوب "، ثم نقل فيما بعد على ألواح من الفخار ووضعت في الأرشيفات الحثية، حيث عثر عليها في بداية القرن الماضي أثناء الحفريات التي قام بها " هيجو فنكلر " في " بوغازكوي "[١] في تركيا عام ١٩٠٦ م. أما النسخة المصرية فقد وُضعت عند قدمي الإله (رع) في مصر. وفي كلتا الحالتين أقسم الملك يميناً أمام الآلهة، وبذلك أصبحت المعاهدة مؤمنة بالسلطة والموافقة الإلهية، وابتداءً من هذا التاريخ (١٢٦٩ ق.م) بدأ عهد جديد من التوازن العالمي لمنطقة الشرق الأدنى القديم في ظل السلام والتعاون[٢].

ومهما يكن فإن الحدود بين البلدين لم تحدد بدقة، وبقي نهر الأورنت[٣] لمدة خمسين عاماً على الأقل هو الحد المتعارف عليه بين البلدين، أما سورية سبب النزاع فقد أصبحت مقسمة على النحو الآتي:

١- سورية الشمالية تابعة للدولة الحثية.

٢- سورية الجنوبية تابعة لمصر[٤].

---

[١] بوغازكوي الاسم الحالي للعاصمة الحثية خاتوشا، عُثر فيها على آلاف من الرقم المكتوبة باللغة البابلية وعلى أطلال معابد وقصور تزينها رسومات أسود ضخمة. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية ، ص٥٧٥.

[٢] S.LANGDON and A. GARDINER, The Treaty of Alliance Between Hattushili King of the Hittites, and Pharaoh Ramsses II of Egypt, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٦, ١٩٢٠, P. ١٧٩،٢٠٥.

[٣] نهر الأورنت يقصد به نهر العاصي. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية ، ص٥٨٥.

[٤] PHILIPP VANDENBERG, OP.CIT,P.١٩٥.

لقد كانت هذه المعاهدة بمثابة اتفاق سلام وميثاق عدم اعتداء، تضمنت دلالات ومبادئ دولية بارزة، إذْ أشارت في مقدمتها إلى علاقات ودٍّ قديمة ربطت بين المصريين والحثيين، ويحتمل أنها قصدت فترات الهدنة التي كانت قد حدثت إحداهما ربما في عهد حور محب، والأخرى في عهد سيتي الأول، أو ربما قصدت فترات تبادل الهدايا والرسائل بين الفريقين في عهد تحوتمس الثالث وأمنحوتب الثالث وبداية حكم ولده أخناتون[١]، كما نصت المعاهدة أن يساعد كل طرف الطرف الآخر إذا وقع اعتداء مسلح على دولته، وتعهد الطرفان بإعادة كل الفارين من بلد الطرف الآخر شريطة عدم التنكيل بهم، وأشهدت المعاهدة في خاتمتها ألفاً من آلهة الحثيين وألفاً من آلهة المصريين، وهذا ينم على استعداد كل من الدولتين للاعتراف بآلهة الدولة الأخرى، واستعدادهما لعهد تسامح ديني جديد، وهو تسامح رضي المصريون بمثله فيما بينهم وبين النوبيين والسوريين منذ عهود قديمة، لكنهم لم يرتضوه فيما يبدو مع دولة خارجية أخرى قبل هذه المرة إلا مع دولة ميتاني، ولفترة قصيرة حينما ربطت بينهما روابط الود والمصاهرة، إضافة إلى ذلك تضمنت المعاهدة احترام كلا الدولتين لبعضهما، ويصبح لكل منهما كيان على قِدم المساواة مع الأخرى، وهذه محاولة للتخلي عن التعصب العرقي القديم، وهي محاولة لم تسبقها غير محاولة، وربما غير مقصودة في عهد أمنحوتب الثالث، إذْ تقبّل لفظ الأخوة من أمراء الشرق وملوكه وخاطبهم بها، ومحاولة أخرى في عهد أخناتون حين اعترف للشعوب كلها بحق الحياة في ظل معبوده الواحد[٢].

ونشير في النهاية إلى أن المعاهدة تضمنت كذلك بعض الشروط الشخصية الخاصة بالملك، كمساندة ومساعدة الشخص الذي يخلف الملك في الحكم حين توليه العرش[٣].

وهكذا سادت العلاقات الودية بين الدولتين وقلَّت المؤامرات، واستطاعت المعاهدة أن تحقق أغراضها في نشر السلام بين الطرفين، وقد عثر على رسائل متبادلة بين الملكين، إذ أن رعمسيس الثاني أرسل ما لا يقل عن ثمانية عشر رسالة إلى خاتوشيلي الثالث، كما وجدت خطابات من "نابتيرا" (وهو الاسم الحثي للملكة نفرتاري) زوج رعمسيس الثاني إلى الملكة الحثية " تودوخيبا " التي يحتمل أنها لعبت دوراً مهماً في سياسة زوجها[٤].

---

[١] صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق ، ص٢٣٢.

[٢] المرجع نفسه، ص٢٣٣.

[٣] PHILIPP VANDENBERG, OP.CIT,P.١٩٥.

[٤] صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق ، ص٢٣٣.

لقد أصبح هناك توازن حقيقي للقوى في منطقة الشرق الأدنى القديم، في ظل السلام والتعاون المتبادل، واستطاع البلدان إيقاف أطماع آشور إلى حين، وابتداءً من هذا التاريخ زاد التعاون والتفاهم بين الطرفين، وزاد اهتمامهما بتنمية ثرواتهما وأصبحت مصر وخاتي وبابل تعيش أزهى فتراتها، ومن مظاهر التعاون بين مصر وخاتي أن رعمسيس الثاني أرسل المهندس المعماري " براماخو " ليشيد قصراً لأحد الأمراء التابعين لخاتوشيلي الثالث، كما كان رعمسيس الثاني يطلب الحديد من خاتوشيلي، هذا المعدن الجديد الذي بدأ استعماله في آسيا في هذه المرحلة، جلبه الغزاة الهندو– أوربيين، وأنشأ له ملوك خاتي مخازن عديدة في مملكة " كيزواتنا " حليفتهم، وقد عثر على رد خاتوشيلي الثالث لطلب رعمسيس الثاني، وهو قوله: " **فيما يخص الحديد الذي كتبت لي عنه فأنا لا أملك الحديد، أما في مخازنه في كيزواتنا فإن الوقت غير مناسب لتصنيعه، رغم أنني أمرت بصنع الحديد الخام، لكن إلى حد الآن لم ينته من صناعته، وعندما يتم ذلك فسأرسله لك، واليوم لا أستطيع أن أرسل لك سوى صفيحة من الحديد** "[١].

ومهما كان الأمر، فإن العلاقات الودية توطدت أكثر بعد اثني عشرة سنة من عقد المعاهدة، حين تزوج رعمسيس الثاني من ابنة خاتوشيلي الثالث في العام الرابع والثلاثين من حكمه (١٢٥٦ ق.م)، وهذا الزواج السياسي الكبير لم يكن الأول من نوعه، فالفراعنة قبل عصر العمارنة كانوا قد اتخذوا لهم زوجات ميتانيات، وقد روت النصوص المصرية قصة هذا الزواج فقالت: " .... **وظل عظيم خاتي يسترضي جلالته عاماً بعد عام دون جدوى، وعندئذ قال أمير خاتي لجنده ونبلائه ما هذا؟ لقد خُرِّبت بلادنا، وإلهنا سوتيخ غاضب علينا ولا ترسل السماء ماءها إلينا، فلنحرم أنفسنا من كل ما نملكه، وفي مقدمة ذلك ابنتي الكبرى، ولتحمل هدايا الصدقة إلى الإله الطيب حتى يَمُنَّ علينا بالسلام وحتى نعيش .... ثم جعلهم يحضرون ابنته الكبرى ومعها جزية من الذهب والفضة، والخامات الثمينة الكثيرة، والخيل التي لا حصر لها، وعشرات الآلاف من الماشية والماعز والغنم، وما لا يمكن حصره من محاصيل بلادهم** "[٢]، وعلى أية حال، فقد تم الزواج، ووصلت الأميرة الحثية إلى مصر، وأطلق عليها الاسم المصري " من ماعت نفرو رع ". وقد سجل هذا الحدث على لوحتين في معبد أبو سمبل، وعلى لوحات معبد الكرنك[٣].

---

[١] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P١٣٠،١٣١.

[٢] Ibid, p.١٣١.

[٣] J.H.BREASTED, Ancient Records Egypt, III, Chicago, ١٩٣٠, P.١٨٢-١٨٦.

وانظر كذلك:

C.KUENTZ, La Stèle de Mariage de Ramses II, Annales de Service des antiquités de L'Egypte, ٢٥, ١٩٢٥, P. ١٨١-٢٣٨.

في حقيقة الأمر ما يهمنا هو الارتباط الفعلي بين البلدين بروابط الود التي قضت على ذلك الصراع الطويل، وليس الزواج من الأميرة الحثية، وأخبرتنا المصادر المصرية عن زيارة قام بها ابن خاتوشيلي الثالث وهو " تودخاليا الرابع " – الذي أصبح ملك خاتي بعد موت والده– إلى مصر، إذْ قضى فصل الشتاء، ومن المحتمل أنه كان يحضّر لزيارة رسمية يقوم بها خاتوشيلي نفسه، والنصوص المصرية تتحدث عن رسائل أرسلها رعمسيس الثاني إلى خاتوشيلي الثالث يعرض عليه الزيارة لمصر: " **إله الشمس لمصر، وإله العاصفة لخاتي، يسمحان لأخي ليرى أخاه، ويمكن لأخي أن يقبل هذا العرض، ويأتي ليراني....**"[١]، ولكن هذه الزيارة لم تتم على ما يبدو، ولو أن هناك بعض المؤشرات التي تدل على أن الزيارة تمت في السر، إذ عُثر على رسالة من خاتوشيلي الثالث إلى أمير قدير يطلب فيها التحضير للذهاب معه إلى مصر، وإشارة أخرى لهذه الزيارة في رسالة كتبها " إني– تشوب " أمير كركميش[٢].

وهناك من يرى أن الملك الحثي قام برحلة إلى فلسطين، وأن اللقاء بين الملكين كان في فلسطين[٣]، وفي إحدى رسائل رعمسيس الثاني يقول: " .... **سأذهب حتى كنعان لأقابل أخي وأستقبله في وسط بلادي**"[٤].

ومهما يكن فإن هذه الزيارة سواء تمت أو لم تتم فإنها تعد شاهداً على حالة استقرار وثبات في سياسة الدولتين، حتى أن النصوص المصرية تتحدث عن طلب قدمه الملك الحثي للفرعون يؤكد فيه أنه يرغب بتزويجه ثانية من إحدى بناته[٥].

لقد شهدت مصر بعد عقد المعاهدة مع خاتي ازدهاراً كبيراً في جميع المجالات، وأصبحت في عهد هذا الفرعون (رعمسيس الثاني ١٢٩٠– ١٢٢٤ ق.م) من أغنى بلدان العالم القديم، فقد كانت الهدايا والجزية تأتي من جميع الجهات، سواء جزية البلدان الخاضعة أو هدايا البلدان الصديقة، فهناك هدايا من بلاد الفرات متمثلة في جميع أنواع الأحجار الكريمة والفضة والخيل والعطور المختلفة، ومن قبرص (ألاشيا) تتحدث النصوص المصرية عن " كميات كبيرة من الفضة والنحاس، وقد كتب ملك قبرص مرة إلى الفرعون: " **أخي العزيز لا تجعل أي شيء في قلبك، لأن كمية النحاس كانت قليلة، إذْ إنَّ الوباء في بلدي قتل كل الناس، ولم ينج أحد ليقوم بصهر النحاس**"[٦]، كما كانت كريت تقدم كل أنواع الأحجار

---

[١] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P١٣٥.
[٢] Ibid, P١٣٦,١٣٧.
[٣] A.GOETZE, OP.CIT, p.٢٥٨.٢٥٩.
[٤] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P١٣٦-١٣٨.
[٥] Ibid, P.١٣٨.
[٦] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٤٧.

الكريمة وكانت الهدايا تأتي من الجزر اليونانية أيضاً، ونهارينا وفينيقيا، ومن الجنوب من بلاد البونت والنوبة[١].

وسواء كانت النصوص تبالغ في كميات هذه الهدايا والأتاوات فإن إفريقيا، وآسيا وحتى جزر بحر إيجه كانت ترسل ثروات مختلفة إلى مصر[٢]، بل إن مصر نفسها كانت غنية بثرواتها، فمن سيناء يستخرج الفيروز، ومن منطقة إدفو التي كانت تعتبر كملتقى لطريق القوافل البرية القادمة من الصحراء الغربية والبحر الأحمر يستخرج الذهب[٣]، ولقد انفتحت مصر في عهد رعمسيس بشكل واسع أمام التجارة العالمية، وأعطتها سيطرتها على الموانئ الفينيقية المكانة الأولى في الحركة التجارية للبحر المتوسط وبابل، كما أصبح الميناء البحري الجديد " فاروس " الواقع غرب الدلتا في هذه الفترة هو المحطة الأساسية للسفن الشراعية المبحرة في المتوسط، وقد كان بمثابة محطة التوقف المفضلة للسفن التجارية القادمة إلى مصر، وبشكل خاص المراكب والسفن القادمة من الجزر الإيجية وكريت التي تدفعها الرياح الشمالية أثناء الصيف[٤]، ومن ناحية أخرى كان ميناء " فاروس " معبراً للسفن الفينيقية التي تبحر من صور وصيدا نحو الموانئ الإفريقية في برقة ثم إلى قرطاج فيما بعد، وفي واقع الأمر كان هذا الميناء بمثابة مركز المراقبة الوحيد الذي يراقب أعالي البحر وسواحل الدلتا، والحدود الليبية في نفس الوقت[٥].

لقد اتسعت العلاقات التجارية المصرية في البحر المتوسط خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ووصلت حتى البحر الأسود، إذ عثر في هذه المنطقة على تمثال صغير للإله آمون من عهد سيتي الأول، ومن المحتمل أن يكون هذا التمثال الصغير قد وصل هذه المنطقة عن طريق التجار، كما ازداد التبادل التجاري في عهد رعمسيس الثاني ونشطت طريقة المقايضة، وكانت قوافل التجار تنقل السلع والثروات من البلدان البعيدة إلى مصر، وازدادت الحركة التجارية على النيل في هذه الفترة، وكانت السفن الفينيقية والآخية تصل حتى طيبة، بل أنها وصلت حتى السودان، وهناك تجار إيجيين استقروا في مصر؛

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٤٧.

[٢] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق– بحث في العلاقات بين الشعبين من أقدم الأزمنة إلى نهاية الدولة الحديثة، ترجمة: محمد علي كمال الدين، مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٩٦.

انظر أيضاً:

VRONWY HANKEY, Mycenaean Trade with the South-Eastern Mediterranean, dans Melanges de L,universite Saint-Joseph, Tome ٦٥, ١٩٦٩, P. ١١-٢٣.

[٣] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P. ١٥٦.

[٤] سماها اليونانيون etesios وهي رياح شمالية غربية تهب في فصل الصيف لمدة أربعين يوماً تقريباً، فتساعد كثيراً في الملاحة البحرية. انظر: فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص ٢٠.

[٥] JACQUES PIRENNE, Civilisations Antiques, Editions Albin Michel, Paris, ١٩٥١, P.١٩٦.

لبيع سلعهم من المجوهرات والعطور والحلي وغيرها من السلع، وأصبح النيل في هذه الفترة الممرَّ الكبير للاتصالات التجارية بين " هيلسبونت "[١] وإفريقيا الداخلية[٢].

أما بالنسبة للامبراطورية الحثية فالأمر مختلف تماماً، إذ جاء إلى الحكم بعد خاتوشيلي الثالث ابنه تودخاليا الرابع (حوالي ١٢٥٠-١٢٢٠ ق.م)، الذي وقعت في عهده أحداث داخلية وخارجية هامة، فقد توترت العلاقات الحثية – الآشورية حين اعتلى عرش آشور الملك " توكولتي نينورتا الأول " (نحو ١٢٤٤- ١٢٠٨ ق.م)، الذي أظهر منذ البداية الرغبة في التوسع، فاندفع نحو الفرات عبر مدينة "سوبارو" التي تقع إلى الجنوب من ميتاني على الضفة اليسرى للنهر، وهو بذلك يهدف إلى الاستقرار على الفرات وقطع الطريق الذي يربط خاتي ببابل، مما سمح له بتهديد هاتين الدولتين، ومنع تحالفهما ضده، وأدرك تودخاليا الرابع الخطر الذي يتهدده، فحاول نجدة الحوريين في مدينة " سوبارو " لكن الآشوريين هزموا القوات الحثية، لدرجة أن المصادر الآشورية تتحدث عن حوالي ٢٨٨٠ أسير حثي، ونتج عن ذلك ضياع نفوذ خاتي على الضفة الشرقية للفرات في إقليم ميتاني القديم[٣].

ثم ما لبثت آشور أن مدت سلطانها حتى الفرات وأعلن ملكها " توكولتي نينورتا الأول " نفسه ملكاً عظيماً. ورغم هذا الحدث المهم لم يتدخل رعمسيس الثاني ربما لأن المعاهدة مع خاتي دفاعية ولا ترغمه على التدخل، أو أنه لم يرغب بالدخول في حرب لم يكن فيها الطرف المباشر، معتقداً بذلك أنه يحافظ على مصلحة مصر، ولكنه بهذه السياسة ارتكب خطأً جسيماً كانت نتائجه خطيرة على مناطق النفوذ المصري في آسيا، إذ استقر الآشوريون على الفرات ووقعت تحت تأثيرهم مملكة ميتاني، ولم تستطع بابل المقاومة فقبلت وصاية ملوك آشور، وبذلك أصبحت الطرق التجارية للفرات في أيدي الأشوريين، ومن أجل ضمان علاقاتها التجارية، اضطرت مصر شأنها في ذلك شأن خاتي إلى الاعتراف بآشور كقوة كبيرة؛ مما أحدث تغيراً كلياً في موازين القوى في منطقة الشرق الأدنى القديم منذ ذلك التاريخ[٤]، لكن هذه الظروف الصعبة لم تمنع تودخاليا الرابع من الاستمرار في مقاومة التوسع الآشوري، فلجأ إلى السيطرة

---

[١] وهو الاسم القديم لمضيق الدردنيل.انظر: CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P. ١٥٨.

[٢] Ibid , P. ١٥٨.

[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٤٧.

[٤] JACQUES PIRENNE, Histoire de la Civilisation de l, Egypte Ancienne, Tome ٢,٣ Editions Albin Michel, Paris, ١٩٦٢, P. ٤٥٥, ٤٥٦.

على سورية الشمالية، وعين أحد أعوانه "اشتارمورا" ملكاً على بلاد آمورو[١]. ومن ناحية أخرى يذكر تودخاليا الرابع أنه قام بغزو ألاشيا (قبرص) وانتصر عليها ثم أسر ملكها[٢].

أما بالنسبة للأحداث الداخلية، فقد استطاع تودخاليا الرابع في بداية حكمه أن يُخضع إقليم أرزاوا والولايات الغربية المجاورة لها، كما حارب شعوب الجاسجا في الشمال لمدة تزيد على اثنتي عشر سنة على الأقل[٣]. وفي هذا الصدد يقول: " **حين عدت إلى خاتوشا طردت جيش العدو، وحاربت في أرض جاسجا وأجنحتها جميعاً** "[٤]. غير أن أخطر الأحداث التي واجهها تودخاليا الرابع، كانت في السنوات الأخيرة من حكمه، حين اندلعت في القسم الغربي من آسيا الصغرى حربٌ طويلة بين " مادوواتا " حاكم اقليم (زيباسلا) و" آتارسياس " حاكم اقليم (أهييواوا أو أخخياوا).

ساهمت هذه الحرب في انقسام الامبراطورية الحثية بشكل كبير، ويبدو أن اقليم أهييواوا كان له أهمية بالنسبة للحثيين، ففي نص المعاهدة التي عقدها تودخاليا الرابع مع ملك أمورو، ذكر لأسماء ملوك ترى خاتي أنهم يقفون على قدم المساواة مع ملكهم، فمنهم ملوك مصر وآشور وبابل وأهييواوا، وهذا ما يشير إلى أهميته وأهمية إقليمه[٥].

مهما كان الأمر فقد كشفت المصادر الحثية في " بوغازكوي "، ومصادر أوغاريت، والمصادر المصرية، عن هذه النزاعات والمتاعب داخل الامبراطورية الحثية، بل أشارت إلى وجود مجاعة حلَّت بمنطقة غرب آسيا الصغرى، مما اضطر ملك أوغاريت للقيام بمساعدة خاتي، وإرسال كميات من الحبوب، كما قدم لها مساعدات عسكرية[٦]، ولم يقتصر الأمر على أوغاريت فقط، بل قام مرنبتاح (١٢٢٤-١٢٠٤ ق.م) بمساعدة خاتي، وأرسل لها أيضاً شحنات من الحبوب، وربما قدم لها أيضاً مساعدات عسكرية، ويرى " وينرايت " أن المجاعة والفوضى حلَّت في مناطق ليديا وكاريا، وحتى في الأراضي المحيطة بأرزاوا، وإن هذه المجاعة لم تكن بسبب فشل المحصول، وإنما بسبب عدم الاستقرار نتيجة الغارات التي يقوم بها " آتارسياس " حاكم (أهييواوا)، وبسبب المجاعة وعدم الاستقرار في تلك

---

[١] ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم، ص ٤٩٣.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٣٣.

[٣] J.G.MACQUEEN, Les Hittites Aux Origines de la Turquie, Armand Colin, Paris, ١٩٨٥, P. ١٨٣.

[٤] ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم ، ص ٤٩٢.

[٥] FRANK. H. STUBBINGS, The Recession of Mycenaean Civilization, Cambridge Ancient History. II, ١٩٧٥, P. ٣٤٠.

[٦] MARGARET.S.DROWER, UGARIT, Cambridge Ancient History, II. Chapter ٢١ (b), ١٩٧٥, P. ١٤٦.

الفترة (١٢١٩ ق.م) اضطرت الأقوام التي عرفها المصريون باسم " شعوب الشمال " أو " شعوب البحر" أن تركب البحر نحو الشواطئ الجنوبية للبحر المتوسط، وقد استمرت هذه الأحداث والمتاعب في عهد "أرنووا‌ندا الرابع الذي خلف والده تودخاليا الرابع حوالي سنة ١٢٢٠ق.م، ونجد ذلك في خطاب أرسله أرنووا‌ندا إلى مادووا‌تا يُعنّفُه لنكرانه صنيع أبيه تودخاليا الرابع، إذْ وقف معه ضد أتارسياس حاكم "أهييا‌وا"[١]، والواقع أن الامبراطورية الحثية عرفت الانقسام الحقيقي في عهد هذا الملك، إذ أصبحت أغلب مناطق آسيا الصغرى تعيش في اضطراب وفوضى عامة، مما جعل شعوب هذه المناطق تقوم بهجرة واسعة بحثاً عن الاستقرار، وفي النصوص المصرية استخدم تعبير " **البلاد الاجنبية قامت بمؤامرة في جزرها، بعثرت المعركة البلاد جميعاً في وقت واحد** "[٢] ولقد اتجهت جموع هذه الشعوب كلها إلى مصر عبر البحر والبر، لتقضي في طريقها على العديد من الممالك قبل أن تصل مصر خلال عهد رعمسيس الثالث الذي استطا‌ع وقف تقدمهم[٣].

لقد كانت الامبراطورية الحثية مصدراً عظيماً للاستقرار في منطقة الشرق الأدنى القديم، وبحر إيجه لكن بمجرد اختفاء هذه الدولة مع بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أصبحت المنطقة بكاملها تعيش فترة من الفوضى والاضطرابات، والحقيقة أن مصدر قوة خاتي يكمن أساساً في الجيش الذي كان جيشاً منظماً محترفاً يعتمد على العربات والخيل، وعلى أنواع مختلفة من الأسلحة كالسيوف والدروع الكبيرة، كما كان مقسماً إلى فرق متخصصة، فهناك فرق خاصة لقمع الثورات والتمرد، وفرق من الخيالة تستخدم في حماية الحدود، وحرس ملكي خاص بخدمة الملك والدفاع عنه، ويبدو أن الملك هو الذي يقود هذه الجيوش في أية حرب خارجية، كما كان المسؤول عن تقديم الهدايا والمكافآت ومنها منح الأراضي، وخاصةً إلى أفراد الحرس الملكي، وكانت خاتي تقدم مساعدات عسكرية، وترسل جيوشها في حالة الضرورة إلى حلفائها التابعين اللذين تربطهم بها معاهدات، وعلى العموم كان الجيش الحثي هو أساس استمرارها ومصدر قوتها، لكن الحروب المستمرة والمعارك المتواصلة، والانقسامات الداخلية ساعدت على انهيار وتحطيم هذا الجيش، مما أدى إلى ضعف الدولة الحثية وانحطاطها[٤]، إضافة إلى ذلك يرى "ساندارز " أن هناك عاملين أساسيين أسهما كذلك في إضعاف الإمبراطورية الحثية هما:

---

[١] G.A.WAINWRIGHT, Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٦, ١٩٦٠, p. ٢٤,٢٨.
[٢] Ibid, p.٢٩.
[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٣٩,١٤٤.
[٤] J.G.MACQUEEN, OP. CIT, P.٧٤,٨٣.

١_ عدم وجود قوة بحرية كبيرة للإمبراطورية الحثية، واعتمادها بشكل واسع على القوة البحرية لأوغاريت واللوكا، اللذين لا يُؤمن جانبهم أحياناً.

٢_ اعتماد الحثيين على النظام الإقطاعي في توزيع الأراضي، مما أعطى فرصة عظيمة للحكام التابعين للتمرد والانفصال، ومحاولة الاستيلاء على أراضي الغير[١].

في الواقع يجب أن نتحدث قليلاً عن منطقة سورية الشمالية وفلسطين، التي تتقاسمها خاتي ومصر خلال القرن الثالث عشر ق.م،- وكما ذكرنا- فقد استطاعت خاتي التحكم في الولايات التابعة لها عن طريق ربطها بمعاهدات واتفاقيات سياسية وتجارية، وقاعدة قوة الحثيين في سورية الشمالية تكمن في التحكم أو مراقبة المدينتين الكبيرتين؛ كركميش في الشرق وألالاخ في الغرب، كما عقدت معاهدات مع أوغاريت وأمورو، وبهذه المعاهدات استطاعت التحكم في منطقة سورية الشمالية، وصدت التوسع الآشوري، وقد كانت هذه المدن طوال القرن الثالث عشر قبل الميلاد تتمتع بالازدهار الاقتصادي والثقافي، والمثال في ذلك مدينة أوغاريت التي كانت مدينة الثقافة والتعليم والتجارة في نفس الوقت، وقد عثر في هذه المدينة على مكتبات تضم الآلاف من الألواح بمختلف اللغات المعروفة في تلك الفترة منها اللغة السامية (الكنعانية) والحثية والحورية والمصرية والبابلية (الأكدية) كما كانت المدينة تجمع أجناساً مختلفة، ينتشر في أحيائها العديد من الحرفيين، فأوغاريت مدينة تجارية مشهورة بسبب موقعها البحري، فقد كان فيها أربعة موانئ بحرية أشهرها ميناء البيضاء، وفي هذه الفترة كانت البحرية الأوغاريتية نشيطة، إذْ بلغ عدد سفنها نحو ١٥٠ سفينة كانت تبحر إلى جميع الموانئ المنتشرة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط حتى مصر، وفي الشمال كانت هذه السفن تبحر حتى سيليسيا وأراضي اللوكا، وربما وصلت حتى كريت وجزر بحر إيجه، لكن علاقتها التجارية الوثيقة كانت مع قبرص، وهذه السفن تنقل السلع المنتجة في أوغاريت، والقادمة من بابل وآشور ومنها حجر اللازورد، والحبوب، وأواني من العاج والمرمر، وغيرها من السلع الأخرى، ومع بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد تعرضت أوغاريت للدمار والتخريب، ربما بفعل الكوارث الطبيعية كالزلازل، أو نتيجة حرائق قام بها معتدون، ومن جراء ذلك اختفت أوغاريت نهائياً شأنها في ذلك شأن العديد من المدن المنتشرة في هذه المنطقة، لكن شيفر الذي قضى أربعين سنة في الحفر والتنقيب في هذه المدينة يؤكد أن سبب تدميرها يعود إلى شعوب البحر[٢].

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٤٠.

[٢] MARGARET.S.DROWER, OP.CIT, P.١٣٠-١٤٨.

أما الجنوب، وعلى امتداد الساحل الشرقي للبحر المتوسط في فينيقيا وفلسطين، فقد انتشرت مدن عديدة منها بيبلوس (جبيل) – التي أصبحت قوة كبيرة فيما بعد – وصيدا وصور وأشدود وعكا، هذه المدن كلها تعد مراكز تجارية هامة، أما في الداخل فهناك مدن كنعانية منها مجدو، وتل تعنك[١]، وعلى نهر الأردن مواقع مثل بيت شان، وتل السيدة، هذه المدن كلها قريبة من بعضها، والمهم أن معاهدة السلام بين خاتي ومصر عام ١٢٦٩ ق.م جعلت سورية وفلسطين من النقب في الجنوب إلى مملكة بيبلوس وشمال لبنان بما في ذلك بيت شان ودمشق، كمقاطعة تابعة لمصر اسمياً على الأقل، ورغم هذه التبعية فقد كانت فيها أنظمة إدارية محلية تشرف عليها حكومات وطنية، حتى في الفترات التي كانت فيها مصر تتمتع بقوة في سورية، لم تقم بمحاولة إبعاد الحكام المحليين، أو تعيين إدارة مصرية، فقد ظلت الأُسَر المحلية في الحكم تحت سيطرة محدودة من الموظفين المصريين الذين كانوا يهتمون في غالب الأحيان بما يهم الفرعون من جمع المحصول والضرائب، وهو المحك الحقيقي للولاء والطاعة[٢].

ومهما كان الأمر، فقد أدت سياسة التوازن بين الامبراطوريتين المصرية والحثية – خاصة بعد توقيع المعاهدة – إلى استقرار نسبي ساد المنطقة، وساعد على الازدهار الحضاري في جميع المجالات، سواء من ناحية الفنون والآداب، أو من الناحية الاقتصادية، إذْ نشطت الحركة التجارية، وساد السلام، مما سهل الاتصال والتمازج بين حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم، كما سهل هذا الاستقرار الاتصال بحضارات أخرى خارج منطقة الشرق الأدنى، كالحضارة المسينية التي كانت سائدة في منطقة بحر إيجه والجزر القريبة منها كجزيرتي كريت وقبرص.

---

[١] تل تعنك: منطقة كنعانية في الجليل بالقرب من مجدو، كشفت فيها التنقيبات عن آثار ترقى إلى الألف الثاني ق.م، هي عبارة عن ألواح مسمارية وأدوات تتعلق بشعائر العبادة وتماثيل وقطع فخارية. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية ، ص٢٧٥.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٤٥-٤٧.

رابعاً: حضارات بحر إيجه

- **الحضارة المينوية في كريت[١]**

أثبتت أعمال الحفر الحديثة التي قام بها علماء الآثار على شواطئ آسيا الصغرى وجزيرة كريت وقبرص وجود حضارة قديمة ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد، كان مركزها في جزيرة كريت، وهي إحدى أكبر جزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط وتبلغ مساحتها حوالي ٨٣٣٦ كم[٢].

إن دراسة حضارات بحر إيجه لا تختلف عن دراسة حضارات الشرق الأدنى القديم ومصر؛ ذلك أن هذه الحضارات تعتمد في دراستها على الآثار وعلى المصادر المكتوبة من النصوص القديمة، التي تذكر تواريخ الأحداث المهمة، كتحديد تاريخ الأسر الحاكمة، ومدة حكم الملوك، ورغم الجدل القائم بين المؤرخين حول دقة هذه التواريخ إلا أنها تبقى مقبولة بالنسبة للباحث، لكن الأمر يختلف تماماً بالنسبة لتاريخ حضارات بحر إيجه التي لا تملك تاريخاً سياسياً محدداً، وتبقى مصادر معلوماتنا عنها متمثلة في الآثار الحجرية والأدوات المنزلية، التي وجدت في القبور وخصوصاً الأواني الفخارية[٢].

لقد أثبتت الآثار أن الكريتيين القدماء كانوا يمارسون الزراعة إذ سمحت لهم الأرض الخصبة بممارسة زراعة الحبوب والكروم والزيتون، الذي يستخرجون منه الزيت الذي كان سلعة مهمة يصدرونها إلى مصر.[٣]

وقد عثر في قصور كنوسوس وفايستوس على مخازن عديدة ومستودعات لحفظ السلع، وفي حاجياتريادا عثر على مزهرية أصبحت مشهورة باسم " مزهرية الحصادين "، التي تمثل مجموعة من الفلاحين في موكبهم يمشون ويغنون ويحملون على أكتافهم مذاري[٤]، كما اهتم الكريتيون بتربية جميع أنواع الحيوانات المعروفة في تلك الفترة، من أغنام وأبقار وخيول، يستفاد من جلودها، ومن صوفها في صناعة النسيج.

---

[١] يطلق على جزيرة كريت اسم جزيرة مينوس نسبة لأشهر ملوكها في العصر المينوي الأخير " مينوس الأول " ولذلك أصبح اسم مينوس لقباً مميزاً للجزيرة وحضارتها كلقب فرعون بالنسبة لمصر، وعلى العموم يطلق عليها كذلك " الحضارة الكريتية " أو الحضارة الإيجية بصفة عامة لأنها انتشرت في كامل منطقة بحر إيجه والمناطق المحاذية لها. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية ، ص٢٩٣.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٥٥,٥٦.

[٣] Ibid, P.٥٧.

[٤] JEAN HATZFELD, Histoire de La Grece Ancienne, Petite Biblio-theque, Payot, Paris, P.١٩.

وتكشف الألواح الخطية عن أعداد كبيرة من الغزَّالين والصبَّاغين، وكانت هذه المنتجات الزراعية والنسيجية تستعمل أحياناً كسلع تبادلية مع الشرق الأدنى ومصر وبلاد اليونان الداخلية[١]. ولعل عظمة الحضارة الكريتية أو المينوية تتمثل في القصور والحصون والقلاع الكبيرة المنتشرة في كامل أنحاء كريت، وخصوصاً مدينة كنوسوس، وقد تطور فن النقش والتصوير مع فن البناء فقد زُينت هذه القصور برسومات مختلفة من الحيوانات والطيور والرجال والنساء، كما رسم الكريتيون على الأواني الفخارية صور الحقول والأزهار، فبدت آية من آيات الفن الرفيع، والملاحظ أن هذه الرسومات خلت من المناظر الحربية، مما يدل على حالة السلم والاستقرار الذي تمتعت به كريت لمدة طويلة، إذ لم يوجد أثر لمنازعات أسرية داخلية، أو لأخطار خارجية تهدد الجزيرة، وذلك ربما لموقعها البعيد عن مناطق الدول الكبرى في تلك الفترة[٢]، بل إن كريت نفسها سلكت سياسة الود والسلام مع هذه الدول، خاصة مصر، وما يدل كذلك على هذا السلام الذي عاشته كريت، على الأقل في مرحلتها المزدهرة الممتدة من ١٧٠٠ إلى ١٤٠٠ ق.م، عدم وجود أسوار حصينة تحيط بالقصور وتحميها، كما هو الشأن في بلاد اليونان الداخلية أو في بلاد الحثيين بآسيا الصغرى[٣].

لقد انتشرت الحضارة المينوية وعمت كامل بحر إيجه، وربما أسس الكريتيون في مناطق شرق اليونان إمارات صغيرة، قويت مع الأيام، حتى أنها رفضت الخضوع لملوك كريت نفسها، ومما ساعد على هذا الانتشار قوة الأسطول البحري لكريت، وسيطرته على تجارة شرق البحر المتوسط، فقد وصل حتى سواحل آسيا الصغرى وسورية، ومن هذه المناطق تنقل السلع والمواد التجارية إلى مناطق بحر إيجه ومصر، فالسفن الكريتية كانت تنقل الخشب من لبنان إلى مصر، حتى في فترة قوة الأسطول المصري في عهد تحوتمس الثالث[٤].

والواقع أن العلاقات الحضارية بين كريت والشرق الأدنى القديم تعود إلى عهود قديمة، فقد ازدهرت العلاقات بين كريت ومصر، عندما نشطت التجارة بين البلدين في عهد الدولة الحديثة، ففي عهد الأسرة الثامنة عشرة رسم المصريون سفراء من جزيرة كريت على جدران مقابر طيبة، يقدمون اللازورد والنحاس

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٥٧.

[٢] MOSES.I.FINLEY, Les Premiers Temps de La Grèce: L'âge du bronze et l'époque archaïque, traduit de l'anglais Par François Hartog, François, Paris, ١٩٧٣, P.٥٧,٦٠.

[٣] JEAN HATZFELD, OP.CIT, P.٢٠.

[٤] GUSTAVE GLOTZ, OP.CIT, P.٢٤١.

انظر كذلك: JACQUES PIRENNE, Civilisations Antiques, P.١٩٣,١٩٩.

والفضة والذهب والعاج إلى مصر[١]، والحقيقة أن ذكر هذه السلع لا يدل على أن هذه البلاد تنتجها بنفسها، ففيما يتعلق بالنحاس واللازورد والعاج فإن هذه المواد ليست إنتاجاً إيجياً، فالجزر وكريت لا تنتج النحاس بكمية كبيرة ولا اللازورد والعاج، ولذلك فمن الممكن أنهم حصلوا على هذه المواد من آسيا الصغرى التي تنتج الفضة، ومن قبرص التي تنتج النحاس واللازورد، ثم نقلوها عبر الطريق التجاري المحاذي للساحل الآسيوي إلى مصر، مما يدل على أن الإيجيين يقومون بدور الوسطاء[٢].

ومهما يكن فإن الحضارة المينوية توسعت وانتشرت إلى مناطق بعيدة بفضل نشاطها التجاري السلمي، فقد انفتحت أمام الكريتيين الطرق التجارية الكبرى إلى سورية ومصر وأسيا الصغرى، كما اتجهوا غرباً ووصلت سفنهم جنوب إيطاليا وصقلية، وأقاموا مراكز تجارية صغيرة في تلك المناطق[٣].

ولا يتردد المؤرخون منذ اكتشافات " السير آرثر إيفانس " بكنوسوس في التسليم بأن جزيرة كريت كان يرمز لها في النصوص المصرية بكلمة (كفتيو)، لكن هذه التسمية لم يُتفق عليها تماماً، وفي الوقت الحالي يوجد أربعة آراء حول مدلول هذه الكلمة، فبعض العلماء يرى أن كلمة كفتيو كلمة جغرافية وليست عرقية ومعناها كريت[٤]، بينما يرى آخرون أنها تعني منطقة سيليسيا على ساحل أسيا الصغرى[٥]، بينما في رأي البعض تعني كريت والبلاد التي وراءها، حتى السواحل الغربية لآسيا الصغرى – أي كريت وسيليسيا في نفس الوقت[٦]–، وفي رأي الآخرين إنها تؤدي معنى منطقة في القطاع الغربي من سورية على الأقل ابتداءً من حقبة معينة[٧].

وفي الحقيقة إن النصوص المصرية التي تشير إلى بلاد الكفتيو كثيرة، كما وجدت صور لسكان هذه البلاد على جدران مقابر طيبة، وأول ظهور لكلمة كفتيو– التي اشتقت في الغالب من كلمة قديمة– هي كفتر.

---

[١] HELENE.J.KANTOR, The Aegean and the Orient in the Second Millenium B.C AJA,Vol٥١, ١٩٤٧, P.٤١,٤٩.

[٢] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص ١٢٤.

[٣] PAUL PETIT, Précis Histoire Ancienne, P.U.F, Paris, ١٩٦٧, P. ٣٨.

[٤] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص ٥٢،٥٨.

[٥] G.A.WAINWRIGHT, Keftiu: Crete Or Cilicia? The Journal of Hellenic Studies ٥١, ١٩٣١, P.١,٣٨.

[٦] H.R.HALL, Keftiu and the Peoples of the Sea, Annual of the British School at Athens, ١٩٠١-١٩٠٢, P.١٦٦.

انظر أيضاً:

J.D.S.PENDLEBURY, Egypt and The Aegean in Late Bronze AGE, Journal of Egyptian Archaeology ١٦, ١٩٣٠, P. ٧٥-٩٢.

[٧] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص ٥٣.

وقد اعتمد أصحاب الرأي القائل أن كفتيو المصرية هي كريت أيضاً، على أن كلمة كفتور التي وردت في الإنجيل وكلمة كفتيو كلها من أصل واحد، وقد ساد الاعتقاد أن الكلمة التي وردت في الإنجيل مأخوذة من اللفظ المصري، غير أن اكتشافات أوغاريت وماري أثبتت أن كلمة كفتيو كانت معروفة لديهم قبل أن ترد في الإنجيل، فنجدها مكتوبة على ألواح أوغاريت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[١].

وفي واقع الأمر، يجب أن نقبل برأيين فقط من الآراء التي تدور حول مدلول هذه الكلمة المصرية، وهما: إن " كفتيو " يقصد بها كريت وحدها، أو إن موضعها يجب أن يكون في سيليسيا ، ونحن نؤيد الرأي الأول القائل بأن كفتيو هي كريت نظراً لمعطيات مختلفة منها: أن صور سكان بلاد الكفتيو على جدران المقابر المصرية تتشابه تشابهاً دقيقاً مع المينويين المرسومة على جدران معابد ومقابر كريت، كما أن الأشياء التي يحضرونها إلى مصر تشبه الأشياء الإيجية، بالإضافة إلى ذلك إن الكلمة المصرية قريبة جداً من كلمة كفتور الواردة في الإنجيل، المقصود بها كريت، وأخيراً فإن كلمة كفتيو بعد أن كان لها استعمال شائع فيما بين ١٥٠٠ و ١٤٠٠ قبل الميلاد تختفي من ألفاظ اللغة المصرية حوالي ١٤٠٠ قبل الميلاد، وهذه الفترة تقارب جداً نهاية كريت واختفاء سيطرتها البحرية[٢].

ومهما كان الأمر فقد شهدت كريت في الفترة الأخيرة من العصر المينوي الحديث حالة اضمحلال، إذْ حلَّ الخراب والدمار بأجزاء كبيرة من الجزيرة، وخُرِّبت قصور كنوسوس وفايستوس وحاجيانريادا وجورنيا وغيرها من المدن الكريتية، وبسقوط كنوسوس في حوالي نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ذهب مجد كريت، وانتهى تاريخ حضارتها المينوية لتحل محلها حضارة جديدة قادمة من بلاد اليونان الداخلية سميت بالحضارة المسينية.

- **الحضارة المسينية**

اختلف المؤرخون وعلماء الآثار حول الأسباب الحقيقية للخراب والدمار الذي لحق بكريت، فالبعض يعتقد أن سبب الدمار يعود إلى حوادث طبيعية كزلزال عنيف أو فوران بركاني[٣]، بينما يعتقد البعض الآخر أنه نتيجة غارات أو غزوات على الجزيرة قام بها قراصنة البحر، ربما من شعوب اللوكا القادمين من الجنوب الغربي لآسيا الصغرى[٤]، لكن المرجح والمتفق عليه حديثاً أن هذا الدمار كان بسبب غزو

---

[١] فركوتيه، جان، قدمار المصريين والإغريق، ص ٥٥، ٥٧.

[٢] المرجع نفسه، ص ٩٤.

[٣] MOSES.I.FINLEY, OP.CIT, P.٦١.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٥٨.

أجنبي قام به الآخيون (المسينيون) القادمون من بلاد اليونان الداخلية، والذين كانوا يهدفون إلى السيطرة على كريت للدخول في التجارة مع بلاد الشرق ومصر[١].

ويعود تاريخ ظهور الحضارة المسينية إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد على وجه التقريب، أي قبل نهاية العصر المينوي الأوسط بوقت قصير، ففي هذه الفترة شهدت بلاد اليونان الداخلية بداية تشكل حضارة جديدة، مختلفة عن الحضارة الموجودة في كريت، سميت بالحضارة المسينية نسبة لمدينة " ميسان " الواقعة على الساحل الشرقي لشبه جزيرة البلوبونيز، كما تسمى أيضاً بالحضارة الآخية نسبة للقبائل الآخية الهندو– أوربية، التي قدمت من الشمال منذ بداية الألف الثانية قبل الميلاد[٢].

ويبدو أن الحضارة المسينية كانت وليدة الاتصال بين هذه القبائل الآخية وبين الحضارة المينوية في كريت، وقد عاشت الحضارتان لمدة تزيد على القرنين (١٦٠٠– ١٤٠٠ ق.م) في علاقات يشوبها الكثير من الغموض، ولم تكن الحضارة المسينية في بادئ الأمر على درجة بالغة من الرقي كحضارة كريت، فقد كان الحكام المسينيون يستقدمون الفنانين الكريتيين؛ ليقوموا بنقش جدران المعابد والقصور بالرسومات المختلفة، وتزيين الأواني الفخارية، كما كان المسينيون في البداية يمارسون القرصنة، ويفرضون الأتاوات على التجار، لكن ما لبثوا أن أدركوا خطر القرصنة، وبدؤوا في العمل بالتجارة الشريفة، منتهجين بذلك نهج كريت، وأصبح لهم في عام ١٤٠٠ أسطول تجاري عظيم، استطاع منافسة قوة كريت البحرية، وأرسلوا بضائعهم إلى مصر مباشرة، دون الوساطة الكريتية، وهذا ما يثبت أن سكان بلاد اليونان الداخلية كانوا يتاجرون مع مصر منذ ذلك العصر[٣]، وتؤكد مقابر طيبة هذه الظاهرة إذ أنه حوالي سنة ١٤٥٠ ق.م، كان المسينيون والمينيويون يأتون معاً إلى مصر، والواضح أن التوسع المسيني لم يقض مطلقاً على التجارة المينوية في الشرق الأدنى ومصر، بل يبدو أنه لم يكن هناك كما يُعتقد احتكار مينوي أو مسيني في العلاقات التجارية بين مدن بحر إيجه وآسيا وإفريقيا لأن التوسع المسيني اعتمد فيما يبدو على السيطرة البحرية الكريتية ولم يتغلب عليها أو يحطمها، فالأشياء المصرية التي يرجع تاريخها إلى أمنحوتب الثالث (١٤٠٥–١٣٦٧ ق.م) قد عثر عليها في كريت، كما عثر عليها في ميسان في بلاد اليونان الداخلية.[٤]

---

[١] GUSTAVE GLOTZ, OP.CIT, P.٦٠,٦٢.
[٢] PAUL PETIT, OP.CIT, P.٤٠,٤٥.
[٣] J.D.S.PENDLEBURY, OP.CIT, P.٨٦.
[٤] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص٧٥.

ومهما كان الأمر، فقد استمرت الحضارة المسينية بعد تحطيم كريت، وانتقل مركز الحضارة الإيجية إلى منطقة آرجوليس[١] الساحلية التي تتمتع بسهول خصبة، وقد بلغت هذه الحضارة أرقى تطورها بعد سنة ١٤٠٠ ق.م إذ استغل الملوك والحكام المسينيون الثروة المتزايدة في تشييد القصور والقلاع العظيمة على تلال ميسان ، كما انتشرت هذه الحضارة وعمت كامل بلاد اليونان الداخلية[٢]، وقد تميزت هذه القصور والقلاع بوجود أسوار عظيمة تحيط بها لتحميها، يبلغ عرضها أحياناً عشرة أمتار، وكانت أبواب هذه الأسوار على درجة كبيرة من التحصين مثل باب الأسود في ميسان، كما وجدت أبواب سرية، وملاجئ عديدة، وأحياناً حُفرت قنوات مائية تحت الأرض لتعزز الدفاع عن القصر في حالة الخطر[٣]، ويبدو أن هذه المباني تأثرت بالمباني الكريتية، وبفن البناء الشرقي، ويرى البعض أن هناك تشابهاً بين مباني ميسان والحصن المشهور في خاتوشا العاصمة الحثية[٤]، وقد زينت جدران هذه القصور والمعابد بنقوش ورسومات مختلفة من حيوانات ونباتات، والواضح أن أسلوب التصوير والنقش المسيني تأثر أيضاً بالأساليب الكريتية، لكن الملاحظ أن الجدران والأواني الفخارية زينت كذلك بمناظر حربية، وهذا الأمر مع التحصينات المنيعة يدل على أن هناك اضطرابات أو ربما تهديدات خارجية، وهذا عكس ما كان في كريت.[٥]

في الحقيقة يعود الفضل في انتشار الحضارة المسينية، وتوسعها في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد إلى التجارة التي نشطت في هذه الفترة، فقد أسس المسينيون إمارات ومحطات تجارية تابعة لهم في رودوس وفي قبرص، ووجدت الأواني المسينية التي تعود إلى العصر المسيني الحديث الثالث بكميات كبيرة[٦]، ثم ما لبث أن انتقل المسينيون إلى سواحل آسيا الصغرى، وأسسوا هناك مستعمرات مسينية في ميلتوس الواقعة جنوب ليديا على الشاطئ شمال كاريا، وفي طرسوس، كما وجدت أواني فخارية مسينية من العصر المسيني الحديث الثالث الذي يوافق بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد في الآثار الحثية القريبة من خاتوشا، وقد ذكرنا من قبل أن الأرشيفات الحثية ذكرت إقليم (أهيياوا)

---

[١] آرجوليس منطقة جبلية في اليونان القديم، تقع في الشمال الشرقي من شبه جزيرة البلوبونيز. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص ٣٢١.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٥٩,٦٢.

انظر أيضاً: JACQUES PIRENNE, Civilisations Antiques, P.٢٢٠,٢٢٧.

[٣] JEAN HATZFELD, OP.CIT, P.٣٧.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٥٩,٦٢.

[٥] MOSES.I.FINLEY, OP.CIT, P.٧١,٧٣.

[٦] FRANK. H. STUBBINGS,O.P.CIT, P.٣٣٨.

والحروب التي قام بها حاكمه في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ويعتقد أن (أهيياوا) أو(أخيياوا) الحثية هم الآخيون الذين ذكرهم "هوميروس" بأنهم قدموا من اليونان لمهاجمة طروادة[١].

لقد كانت الأواني الفخارية من أهم الصادرات المسينية، إذ عثر عليها بكميات كبيرة في آرجوليس، وخصوصاًعلى المناطق الساحلية مما يدل على أنها معدة للتصدير، ونفس الشيء كذلك في بعض مناطق اليونان، وفي قبرص حيث وجدت في المراكز التجارية الساحلية، وربما عن طريق قبرص انتشرت هذه الأواني على طول الساحل السوري- الفينيقي في مدن أوغاريت وبيروت وبيبلوس[٢]، أما في مصر فقد استمر التبادل التجاري ووجدت الأواني الفخارية المسينية بكثرة في منطقة أبو غراب[٣].

وعلى العموم فقد بلغ النشاط المسيني ذروته في أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد، الذي يوافق العصر المسيني الحديث الثالث، إذ عثر على تسعين موقعاً فيها أشياء مسينية، ومنتشرة بين النوبة والأورنت (نهر العاصي)، أما في قبرص فقد عثر في هذه الفترة على سبعة وأربعين موقعاً.

لكن في النصف الأول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد الموافق للعصر المسيني الحديث الثالث تناقص هذا النشاط بالنسبة لمصر والساحل السوري- الفينيقي- إذ انخفض عدد المواقع إلى خمسة وسبعين تقريباً، وهذا عكس قبرص التي زادت فيها المواقع إلى واحد وستين موقعاً، وهذا ما يدل على أهمية قبرص في هذه الفترة[٤].

- **قبرص (ألاشيا)**

إن أول ذكر لاسم " ألاشيا " كان في عهد تحوتمس الثالث، حين ذكرت مع مدن تقع بالقرب من حلب والفرات[٥]، أما في خطابات العمارنة فقد ذكرت مرات عديدة، ويخاطب ملكها الفرعون مخاطبة الأخ لأخيه، كما في الخطاب رقم ٣٣ إذ يقول: " **هكذا تكلم ملك ألاشيا إلى ملك مصر، أخي اعلم أنني على ما يرام ، وأن أرضي على ما يرام** "[٦].

وفي نقش السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث ذكرت مع بلاد خاتي وقدي وآرزاوا (أرثو) وكركميش، على أنهم جميعاً قد سُحقوا أمام شعوب البحر، أما آخر ذكر لـ " ألاشيا " فكان في قصة

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٦٥.
[٢] VRONWY HANKEY, OP.CIT, P.١٧,٢٣.
[٣] J.D.S.PENDLEBURY, OP.CIT, P.٨٧.
[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٧٥.
[٥] H.W.CATLING, OP.CIT,P. ٢٠٢.
[٦] حسن، سليم، مصر القديمة، ج٥، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨، ص٦٣٦،٦٣٧.

" ون_ أمون "، حين لجأ مبعوث "حريحور " إلى أميرة " ألاشيا " "حاتيبا "[١]، ويجب أن نشير إلى أن النصوص المصرية تذكر كذلك منطقة (ابرس) التي تعني بدورها جزيرة قبرص[٢]. وقد ذكرها " أدجرتون وويلسون (يرس) وتوحد " ألاشيا " (قبرص)[٣]، وربما تسمى أحياناً (إيزي) وقد ذكرت مع ألاشيا في نص واحد على الأقل ، مما حمل على الاعتقاد بأن الاسمين ينطبقان على منطقتين مختلفتين من قبرص[٤].

ويرى كثير من المؤرخين أن " إيزي " كانت تابعة لمصر في عهد تحوتمس الثالث، كما ذكر هذا الاسم في قائمة الكرنك من عهد سيتي الأول ورعمسيس الثاني[٥]، أما في النصوص الحثية فقد ذكرت ألاشيا منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، على أنها واقعة تحت النفوذ الحثي، بل إن نصاً من عهد تودخاليا الرابع يذكر صراحة أنه قام بغزو ألاشيا واستولى عليها، فقال: " **زوجاته وأولاده وخدمه وكل ثروته من الذهب والفضة والنحاس وغنائم كثيرة، جمعتها وحملتها إلى خاتوشا وجعلت كل أراضي ألاشيا تابعة لملكي، وفرضت عليها دفع الجزية** ..."[٦].

أضف إلى ذلك أن المصادر الحثية تكشف عن معركة بحرية بين الحثيين وسفن ألاشيا انتهت بانتصار الحثيين، وحرق سفن ألاشيا في البحر[٧]. كما وُجدت إشارات عديدة في النصوص الحثية والأوغاريتية تدل على نفي المُبعدين السياسيين إلى مملكة ألاشيا[٨].

ولم يقتصر ذكر ألاشيا على المصادر الحثية والمصرية فحسب، بل إن نصوص آشور التي تعود إلى عام ١٨٠٠ ق.م تذكر ألاشيا بأنها تصدّر النحاس إلى ماري[٩].

أما نصوص أوغاريت فتحدثت عن تفاصيل العلاقات بين ألاشيا وأوغاريت "، حيث كان ملك" ألآشيا" يخاطب ملك " أوغاريت " مخاطبة الأب لابنه ، وربما يدل هذا على علاقة مصاهرة بين البلدين، أو على

---

[١] H.W.CATLING, OP.CIT,P. ٢٠٣.
[٢] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١٣١
[٣] W.F.EDGERTON, and J.A.WILSON, Historical Records of Ramses III, Chicago, ١٩٣٥, P. ٥٣.
[٤] H.W.CATLING, OP.CIT,P. ٢٠٤.
[٥] Ibid, p.٢٠٣.
[٦] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.٤٤.
[٧] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٩,٣٧٠.
[٨] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.٤٤.
[٩] MOSES.I.FINLEY, OP.CIT, P.٤٠.

أسلوب دبلوماسي للمخاطبة[١]، أو ربما بسبب صغر سنه[٢]، ولقد اعتمدت قبرص في علاقاتها على عاملين هامين هما:

١- موقعها الجغرافي الممتاز في الحوض الشرقي للبحر المتوسط الذي سمح لها بأن تصبح محطة العبور للنشاطات التجارية، خاصةً البحرية منها، بين مناطق بحر إيجه وبلاد اليونان الداخلية من جهة، ومناطق الشرق الأدنى ومصر من جهة أخرى.

٢- المصادر المعدنية التي تتمتع بها قبرص، ومنها النحاس الذي يكثر عليه الطلب الخارجي[٣].

في بداية الأمر تركز السكان الأصليون في المناطق الداخلية من الجزيرة، معتمدين على النشاط الزراعي، لكن ابتداءً من القرن السادس عشر قبل الميلاد تحول الاهتمام إلى المناطق الساحلية؛ بسبب ظهور النحاس وخاصة في المدينتين الكبيرتين " أنكومي " و " كيتيون "[٤]، وقد كشفت التنقيبات الأثرية في هاتين المدينتين مدى الازدهار والرقي الحضاري الذي بلغته قبرص، خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، الموافق للعصر القبرصي الحديث الثاني، إذ عُثر على العديد من القلاع والحصون والمعابد، وإن كانت لا ترقى إلى المستوى المعماري الموجود في أوغاريت، فكل هذه المباني بنيت من الحجر الخشن، ومن الطوب (اللبن المغطى بالكلس)، والواقع أن التأثيرات الشرقية في الحضارة القبرصية كانت واضحة في طريقة بناء المعابد، إذ نجد في معابد مدينة " كيتيون" فناءً داخلياً مفتوحاً، وحديقةً تشبه الحدائق الموجودة في أوغاريت، وفي نهاية المعبد نجد قدس الأقداس، ويبدو أن أعمال النحاس كانت جزءاً من حياة المعبد كما هو الحال في مدن الشرق الأدنى، فقد وجدت بقايا آثار صهر النحاس في مدينتي أنكومي وكيتيون[٥]، ولكن ما يعطي لقبرص الطابع الإيجي هي الأواني الفخارية الموجودة بكثرة، إذ نشطت العلاقات التجارية بين قبرص وبلاد اليونان الداخلية، عقب سقوط كنوسوس، وربما استقر المسينيون هناك وأسسوا مراكز تجارية لتصدير النحاس أو لصنع الأواني الفخارية، والدليل على ذلك أن

---

[١] MARGARET.S.DROWER, OP.CIT, P.١٤٤.

[٢] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠- ٣٠٠ ق.م، ص١٦٢.

[٣] MOSES.I.FINLEY, OP.CIT, P.٣٩.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٤٣.

[٥] Ibid, P.٤٤.

الأواني الفخارية المسينية من العصر المسيني الحديث الثالث، وجدت بكميات كبيرة أكثر مما وجد في بلاد اليونان الداخلية نفسها[١].

ومهما كان الأمر، فقد تعرضت هذه المباني للتدمير في النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ربما بسبب حملة تودخاليا الرابع، أو نتيجة غارات شعوب اللوكا المعتادة، ولكن مع نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، حل دمار كامل وحقيقي بقبرص؛ نتيجة غزوات شعوب البحر، والواقع أن حركة هذه الشعوب لم تقتصر على قبرص فقط، بل شملت خاتي وقدي[٢] وأرزاوا (أرثو) وكركميش كما تذكر النصوص المصرية من عهد رعمسيس الثالث[٣]، غير أن الرسائل المتبادلة بين ملك ألاشيا – أو رئيس موظفيه– وعمورابي آخر ملوك أوغاريت تكشف بصورة أكثر عن هذه الاضطرابات التي تدل على قرب قدوم هذه الشعوب، وفي إحدى هذه الرسائل يقول ملك ألاشيا لـ عمورابي: " **تحياتي لك ولبلادك، وإلى من يهمهم الأمر المتعلق بالعدو، في الحقيقة هم رجال من بلدك، وسفنك هي التي قامت بهذا العمل، والواقع أن شعبك مسؤول عن هذه الإساءة، لكن لا تشكُ لي السفن العشرون التي تركها العدو سابقاً في المناطق الجبلية، لم تبق هناك واختفت فجأة، والآن لا ندري أين نبحث عنها، إنني أكتب لك لأخبرك وأنبهك** "[٤].

وفي رسالة أخرى نجد ملك ألاشيا يقول لـ عمورابي : " **تحياتي حفظتك الآلهة، ما كتبته لي عن سفن العدو التي شوهدت في البحر حسناً، حتى إذا لم يكن هذا حقيقي، فكن حازماً، وفي الواقع ماذا عن قواتك وعن عراباتك، أين وُضعت؟ هل وُضعت في متناول يدك أم لا؟ من دفعك وراء العدو؟ حصن مدنك، وأحضر الجيش والعربات داخلها، وانتظر العدو بأقدام ثابتة**"[٥]. وقد عثر على رد هذه الرسالة، الذي يبدو أنه لم يصل، حيث وجد في أحد الأفران في القصر الملكي في أوغاريت، ومن خلال هذه

---

[١] FRANK. H. STUBBINGS,O.P.CIT, P.٣٣٨.

[٢] قدي منطقة في شمال سورية تقع بين كركميش والبحر المتوسط ويبدو أنها كانت في عهد تحوتمس الثالث تغطي مساحة واسعة، وتظهر قدي في عهد رعمسيس الثاني بين حلفاء خاتي ضد مصر، كما وجدت في مكان آخر في نفس النص بين حلفاء الحثيين، ويعطي نقش السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث بمدينة هابو قائمة بالبلاد التي اجتاحتها شعوب البحر، ومن بينها قدي، وهذا دليل على النظر إليها كقوة عظيمة ولكنها أثبتت عدم القدرة على مقاومة شعوب البحر. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٦٤٠.

[٣] V.R.D,A.DESBOROUCH, The End of Mycenaean Civilization and The Dork, Cambrdge Ancient History II,Chapter ٣٦,١٩٧٥, p.٥٠٨.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٤٢.

[٥] Ibid, P.١٤٣.

الرسالة تتضح حالة الفوضى التي عمت المنطقة، وحالة اليأس التي وصل إليها ملك أوغاريت، وخاصة حين يقول: " **إلى ملك ألاشيا، والدي، وهكذا يقول ملك أوغاريت ابنه، إني أركع تحت أقدام والدي. تحيات لوالدي، لمنزلك، لزوجاتك، لجيشك، لكل من ينتمي لملك ألاشيا تحيات كثيرة كثيرة، والدي، سفن العدو كانت من قبل هنا، لقد أشعلوا النار في مدني وسببوا دماراً كبيراً في بلادي. والدي، ألا تعلم أن كل جيشي مرابط في بلاد الحثيين، وأن كل سفني ظلت مرابطة في ليسيا، ولم تعد بعد، لذلك فإن البلاد هجرت وليس بها أحد .... ضع ذلك في اعتبارك يا والدي، هناك سبعة سفن للعدو قدمت وسببت دماراً كبيراً، الآن إذا كانت هناك سفن كثيرة للعدو، دعني أعرف عنها شيئاً؛ لكي أقرر ماذا أعمل (أو** أعرف الأسوأ "[1].

ويتضح من خلال هذه الرسائل كلها انعدام الأمن والاستقرار، الذي يعود ربما إلى قدوم شعوب جديدة، خاصة أن تاريخ هذه الأحداث يقارب جداً تاريخ قدوم شعوب البحر، التي قضت على ممالك عديدة في طريقها حتى وصلت مصر حيث هزمها رعمسيس الثالث.

خامساً: جزر غرب البحر المتوسط وليبيا:

لم تقتصر حركة شعوب البحر على منطقة شرق البحر المتوسط فقط، إنما شملت المنطقة الغربية أيضاً، ومع نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد تحالفت هذه الشعوب مع الشعوب الليبية للهجوم على مصر من الناحية الغربية، وذلك في السنة الخامسة من عهد مرنبتاح (١٢٢٠ ق.م)، ويرى برستد أن هذه الشعوب حاولت الدخول إلى الدلتا من سردينيا في الغرب إلى آسيا الصغرى في الشرق[2]، بل أن العديد من المؤرخين وعلماء الآثار، ربطوا بعض أسماء شعوب البحر بإيطاليا والجزر القريبة منها كصقلية وسردينيا وكورسيكا، وهذا الأمر يلزمنا بطبيعة الحال أن نقدم لمحة تاريخية وحضارية قصيرة عن سكان هذه المناطق قبل قدوم هذه الشعوب.

١- سردينيا وكورسيكا:

سردينيا وكورسيكا جزيرتان صغيرتان تقعان في الوسط الغربي للبحر المتوسط، وجدت فيهما ثقافات محلية قديمة تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وربما إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد حيث ظهر

[1] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٤٣.
[2] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt III, P.٢٣٩.

العصر الحجري الحديث، وقد تم تقسيم تاريخ سردينيا قبل قدوم الفينيقيين إليها في القرن الثامن قبل الميلاد إلى فترتين : الأولى تعرف بثقافة " أوزيري "[١]، والثانية وهي المهمة، تبدأ مع عصر البرونز وتعرف باسم " نوراجي "[٢]، وقد شيدت في هذه الفترة مباني ضخمة في شكل بروج أو قلاع، مبنية بشكل دائري، يبلغ ارتفاعها أحياناً حوالي ٧ أمتار، وتنتهي من الأعلى على هيئة قبة، وهذه المباني وجدت كذلك في جزيرة كورسيكا، أما وظيفة هذه المباني فيبدو أنها تتعلق بالعبادة، وربما تمجد فيها بعض الآلهة، وتقدم فيها القرابين، أو إنها تستخدم لدفن أو حرق الموتى[٣]، وربما كان السكان الذين بنوا هذه المباني الضخمة من عمال المعادن الماهرين في صهر وسبك المعادن، حيث أن سردينيا غنية بخامات النحاس الثمينة، ومن المدهش أنه عثر في سردينيا على قوالب النحاس من نوع " جلد الثور "، المنتشرة في شرق البحر المتوسط، وبعض هذه القوالب كبيرة الحجم تزن أحياناً أكثر من ٣٠٠ كلغ، واثنان من هذه القوالب تحمل علامات مينوية، ويقترح " ساندارز" احتمالين لتفسير وصول هذه القوالب إلى سردينيا:

أولاً: إن هناك تجاراً مثل ملاك السفينة التي تحطمت في " رأس خلقدونيا "[٤]، قد استغلوا قبل ذلك النحاس الموجود في سردينيا، وتم تبادله على الشكل الذي كان موجوداً في قبرص وشرق البحر المتوسط.

ثانياً: إن سردينيا الغنية بالنحاس كانت تستورد هذه القوالب من الشرق البعيد، ولكن هذا الاحتمال يعد أقل ترجيحاً.

إن تاريخ هذه القوالب لا يمكن تحديده بالضبط، وربما يمتد من ١٤٠٠ إلى ١٢٠٠ ق.م، إذ يرى البعض أن هذه القوالب النحاسية من أمتعة " غزاة البحر " أو " شعوب البحر " الذين هزمهم رعمسيس الثالث سنة ١١٨٦ ق.م، وهذه القوالب تشبه إلى حد بعيد القوالب القبرصية من الفترة الأخيرة من القرن

---

[١] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt III, P.٢٤٠.

[٢] نسبة إلى مدينة نورا وهي مدينة على الساحل الجنوبي الشرقي لجزيرة سردينيا، وتعد مستعمرة فينيقية عُثر فيها على كتابات تعود إلى القرن التاسع ق.م. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص ١٦٥.

[٣] PIERRE ANTONETTI, Histoire De La Corse, Robert Laffont, Paris, ١٩٧٣, P.٥٥,٥٦.

[٤] في منطقة رأس خلقدونيا الواقعة في الجنوب الغربي من الأناضول عثر على سفينة محطمة كانت على ما يبدو متجهة نحو الغرب محملة بأطنان من النحاس والبرونز والفضة، وعدة أواني معدنية، ويعتقد بأن قائد هذه السفينة تاجر من سورية، بينما المعدن سواء السبائك أو القطع فهو من قبرص. للمزيد، انظر:

MOSES.I. FINLEY, OP.CIT, P.٤١.

الرابع عشر قبل الميلاد، كما عثر على قوالب من الطراز السرديني في جزيرة كريت، وكل ذلك يدل على نشاط الكريتيين في البداية ثم المسينين بعد ذلك.[١]

الظاهر أن الحضارة الطورية تمتد من (١٥٠٠ إلى ١٠٠٠ ق.م)، لكن خلال الفترة الممتدة من (١٤٠٠إلى ١٢٠٠ ق.م)، حدث تطور هام تميز بظهور تماثيل صغيرة على شكل أحجار موضوعة على الأرض بطريقة عمودية، وقد زينت هذه التماثيل الصغيرة وجدران مباني " نوراجي" و" طور " بصور محاربين يرتدون لباساً ضيقاً من الأعلى ويتدلى منه حزام، ويحملون دروعاً مستديرةً، ويضعون خوذات ذات قرون تشبه طراز الشردان[٢]. كما وجدت صور لسيوف وخناجر تشبه السيوف والخناجر المسينية (سيوف على شكل صليب، وخناجر لها مقابض تشبه حرف T)[٣]، وهذا التطور الجديد في طريقة البناء، وفي التماثيل الصغيرة جعلت " ر. جروس جون " R.GROSSJEAN يعتقد أن الذين بنوا " طور " في كورسيكا و "نوراجي" في سردينيا هم من شعوب البحر الذين هزمهم رعمسيس الثالث، وأيد فكرة ربط كورسيكا بالشردان، غير أن" بيار أنطونيتي" PIERRE ANTONEITI يعارض هذه الفكرة، موضحاً أن رأي R.GROSSJEAN لا يرتكز إلى أدلة قوية، ومؤكداً في الوقت نفسه أن أشكال السيوف والخناجر المنقوشة لا يمكن نسبها إلى الشردان، وإنما إلى المسينيين أو الكريتيين؛ نظراً لتشابه هذه الأسلحة مع الأسلحة المسينية والكريتية[٤].

٢- صقلية

يعود التاريخ القديم لجزيرة صقلية إلى العصر الحجري القديم الأعلى، وقد عثر على عدة مدافن في داخل كهف على الساحل الشمالي للجزيرة، وفي هذه المدافن وجدت هياكل عظمية، علق في إحداها قلادة فيها أسنان الغزال، وربما قدم هؤلاء السكان الأوائل من الأراضي الإيطالية الداخلية، حيث كانت مواقع تمركزهم موزعة على المناطق الساحلية، كما قام هؤلاء السكان بتصوير أنفسهم وتصوير الحيوانات على جدران الكهوف، ففي قرية " أدوارا " ADDAURA قرب " بليرمو " وجدت مناظر متداخلة للعديد من

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٠١.
[٢] R.D.BARNETT, OP.CIT, P.٣٦٨.
[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٠١.
[٤] PIERRE ANTONEITI, OP.CIT, P.٥٦.

الأشكال الإنسانية، تظهرهم على ما يبدو وهم يرقصون، أو ربما يقومون بطقوس دينية، كما وجدت أشكال حيوانية عديدة مرسومة على جدران الكهوف[١].

أما في عصر البرونز ابتداءً من الفترة القديمة التي تغطي معظم النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد، فقد شهدت الجزيرة نمواً وازدهاراً حين بدأت التأثيرات الإيجية في منطقة وسط البحر المتوسط، فظهرت ثقافات جديدة في جزر " ليباري " وفي صقلية، ويبدو أن جذورها كانت من بلاد اليونان الداخلية، وازداد نشاط التجار الإيجيين الذين تركوا آثارهم في كل مكان، ومن جزر " ليباري " وفي منطقة " كابو قرازيانو " CAPO GRAZIANO عثر على أواني فخارية، وكان السكان الذين يستعملون هذه الأواني يسكنون في مواقع حصينة، وبنوا أكواخاً دائرية الشكل أو بيضاوية أساسها من الحجارة، كما عثر على مدافن أرضية جماعية، فقد كان الشخص الميت يوضع في حفرة في الصخر مع أمتعته وممتلكاته. والواقع أن تاريخ هذه الثقافة الجديدة " CAPOGRAZIANO " قد بدأ في وقت مبكر من سنة ١٨٠٠ ق.م واستمر حتى أواخر سنة ١٤٠٠ ق.م، خلال هذه الفترة انتشرت الواردات الإيجية المتنوعة من الأواني الفخارية[٢].

وعموماً إن الإبحار بالسفن التجارية في البحر الأيوني[٣] تبدو مهمة صعبة للغاية؛ نظراً لخطورتها، لكن يبدو أن السفن كانت تتبع الخط الساحلي، وتتنقل عبر الرؤوس البحرية، وابتداءً من القرن السادس عشر قبل الميلاد لم يكتف التجار الكريتيون من بلاد اليونان الداخلية بالتجارة في هذه المناطق فقط، بل قاموا بتأسيس مراكز تجارية لهم في الجزر، ففي صقلية في منطقة " تابسوس "، الجزيرة الصغيرة التي تبعد قليلاً عن الشاطئ شمال مدينة " سيراكوس "، وجدت مستعمرات مسينية صغيرة، تعود إلى الفترة الممتدة من أواخر القرن الرابع عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وعثر على كثير من الأواني الفخارية المسينية في مواقع " ميلازو " و " تابسوس " التي بقيت منتشرة خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ويبدو أن مدينة " تابسوس " لعبت دوراً مهماً في التوسع المسيني في الجزر الأيونية وجنوب إيطاليا، وربما وصلت السفن الروديسية والقبرصية إلى هذه المناطق منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد[٤].

---

[١] CLYN DANIEL AND J.D.EVANS, OP.CIT, P.٧٢٣,٧٢٤.

[٢] Ibid, P. ٧٣١,٧٣٢.

[٣] البحر الأيوني: هو قسم من البحر المتوسط يمتد بين إيطاليا الجنوبية واليونان. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، ص٦٦٢.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.٩٧.

أما في عصر البرونز الحديث الذي يبدأ حوالي سنة ١٢٥٠ ق.م، فقد شهدت " ليباري " تغيراً مفاجئاً وعنيفاً، إذْ أُحرقت القرى من قبل غزاة قدموا من إيطاليا الداخلية، وتوغل هؤلاء الغزاة في الشمال الشرقي لجزيرة صقلية، وهذا يتطابق مع ما يؤكده المستعمرون الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد حيث وجدوا شعباً عرف باسم " سيكل SIKELS " الذين يعتقد أنهم قدموا من جنوب إيطاليا بعد حرب طروادة[١].

يبدو أن هناك ارتباط وعلاقة بين شعوب البحر وهذه الجزر الكبيرة في البحر المتوسط، فقد ذكرنا من قبل أن الشردان أعطوا اسمهم لسردينيا، وأن الشيكلش يتطابقون مع سكان صقليةِ، بينما يرى البعض أن اسم الثيكر يناسب صقلية أفضل من الشيكليش، أما التيرش فظهروا في إيطاليا، والواقع أن هذه الجزر كانت مواقع مهمة ومناسبة لممارسة القرصنة، خصوصاً إذا علمنا أن بعض هذه الشعوب كانت تمارس القرصنة[٢]، لكن السؤال المطروح حالياً هل سكان هذه الجزر كانوا ضمن شعوب البحر التي سلبت ودمرت العديد من مناطق شرق البحر المتوسط مع بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أم أن سكان هذه الجزر أنفسهم كانوا فريسة للسلب والنهب من قبل هؤلاء الشماليين القادمين عبر البحار؟ هذا ما نحاول معرفته في الفصول القادمة.

٣- ليبيا

إن اسم " ليبيا " المتعارف عليه في وقتنا الحاضر، لم يحمل دلالته الجغرافية والسياسية الحالية إلا في مطلع القرن العشرين، وهي منطقة صحراوية جافة تصعب فيها الحياة، باستثناء الشريط الساحلي الممتد عبر البحر المتوسط، وبعض الواحات الصحراوية الداخلية، ولذلك كان سكان هذه المناطق في القديم تغريهم خصوبة أراضي وادي النيل، فيحاولون الدخول إليها للاستقرار والإقامة، وعلى هذا الأساس كانت العلاقات الليبية – المصرية عبارة عن ضغط من الليبيين في الغرب، الذين تضطرهم الظروف الطبيعية أحياناً، أو قدوم شعوب جديدة أحياناً أخرى إلى محاولة الاستيطان في مصر، ويقابله تصدٍّ من قبل المصريين؛ لمنعهم من تحقيق ذلك منذ عصر الأسرات إلى نهاية الدولة الحديثة، حين تمكن الليبيون من الاستقرار نهائياً في مصر[٣].

---

[١] CLYN DANIEL AND J.D.EVANS, OP.CIT, P.٧٣٤,٧٣٥.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٠١.

[٣] عبد الحميد، الأرثم رجب، التاريخ السياسي والاقتصادي لبرقة منذ القرن السابع قبل الميلاد حتى بداية العصر الروماني، طرابلس، ١٩٦٩، ص٢٦.

وقبل أن نتعرض للعلاقات الليبية – المصرية، وخاصة مع نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، حين بدأت أقوام بحرية قادمة من الشمال تختلط بالسكان الأصليين، يجدر بنا أن نشير إلى تلك القبائل التي عاشت في أرض ليبيا، وورد ذكرها في الآثار المصرية، وعلى العموم هناك أربع مجموعات رئيسة هي " التحنو "، " التمحو "، " الريبو أو الليبو "، " المشواش "، فضلاً عن بعض القبائل الصغيرة الأخرى التي لم تقطن أرضاً ثابتة أو تشغل منطقة معينة.

١- التحنو:

ذُكر التحنو أو تحني في النقوش المصرية منذ فجر التاريخ المصري، وأقدم إشارة إليهم ترجع إلى عهد الملك العقرب، إذ كُتب اسم بلادهم على أثر يصور أسلاباً أُحضرت من هناك، ثم من عهد الملك نعرمر، ويبدو أن " تحنو " اسم منطقة جغرافية، وليس اسم قوم، فقد ذكرت على أثر من عهد الملك " منتوحتب " (نب حتب رع)، من الأسرة الحادية عشرة إلى جانب النوبيين والآسيويين، وفي قصة سنوهي جاء ذكرهم بأنهم الذين يسكنون بلاد التحنو، والظاهر أن الكلمة استعملت لتقصد السكان ابتداءً من الأسرة الثانية عشرة[١]، وقد تواصل ذكر كلمة تحنو مكتوبة بأكثر من طريقة على الآثار المصرية حتى عصر الدولة الحديثة، ويجمع العلماء على أن بلاد التحنو تقع إلى الغرب من مصر، ويحددها " هولشر " في إقليم وادي النطرون والفيوم، غير أن الدكتور " أحمد فخري " يعترض على ذلك، ويرى أن كلاً من المنطقتين– وادي النطرون والفيوم– كانتا معروفتين للمصريين منذ القديم، فالفيوم كان ينظر إليها منذ بداية التاريخ المصري بوصفها إحدى الأقاليم المصرية، وعرفت باسم البحيرة، أما وادي النطرون فهو منطقة قاحلة لا يستطيع الإنسان أن يقطنها بأعداد كبيرة. ومن هنا لا يمكن أن تكون مقراً لهؤلاء القوم. وفي النهاية يؤكد " فخري "أن منطقة مريوط وواحة سيوه ومنطقة برقة، هي الأماكن التي يحتمل أنها أرض التحنو؛ ذلك أن اقتصاد التحنو كان يقوم منذ أقدم العصور على تربية المواشي والأغنام وزراعة الأشجار كما تدل على ذلك الآثار المصرية[٢].

وأما " جاردنر " فيرى أن بلاد التحنو في عهد الدولة القديمة تقع في الغرب وتضم التخوم الغربية للدلتا، أو كانت على حدودها تماماً، أما في الدولة الحديثة، خصوصاً في حملات مرنبتاح ورعمسيس

---

[١] مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، (٩) المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م، ص٦٦.

[٢] المرجع نفسه، ص٧٠،٧١.

الثالث، فإن كلمة تحنو وعبارة قوم التحنو قد استُعملت في الغالب بمعنى تقليدي مُبهم، غير أن نقوش الكرنك من عهد مرنبتاح تذكر أن أمير الليبو انقضَّ على أرض التحنو، مما يدل على أن هذا الاقليم ما زال ملاصقاً للدلتا مباشرة من جهة الغرب[١].

وبناء على ما تقدم نجد تشابهاً بين المصريين والتحنو في الملامح، فهم ذوو بشرة سمراء مثل المصريين، ويختتون مثلهم أيضاً، كما كانوا يعلقون في ملابسهم ذيولاً (الذيل المعلق في الحزام) كالتي يعلقها الفراعنة، ويتركون على جباههم خصلة الشعر التي تشبه إلى حد كبير الأصل المصري على عادة الملوك المصريين، بل إن هناك تشابهاً حتى في الأسماء والعبارات؛ مما حمل على الاعتقاد بأن المصريين والتحنو هم أبناء جنس واحد[٢].

٢- التمحو:

يبدو أنه حدث تغير في مدلول اسم " تحنو "، بظهور سلالة جديدة من الليبين، يُطلق عليها اسم " التمحو "، رغم أن البعض يرى بأن الكلمتين أصبحتا خلال الدولة الوسطى وما بعدها مجرد مرادف واحد عند التحدث عن جيران مصر في الغرب[٣]،إلا أن التحنو يختلفون تماماً عن التمحو أصحاب البشرة البيضاء، والشعر الأشقر الطويل والعيون الزرقاء[٤]، وهؤلاء القوم كانوا معروفين لدى المصريين قبل أن يظهر اسمهم في النصوص المصرية، كما توضح مقبرة " مرسي عنخ الثالثة " بالجيزة من الأسرة الرابعة، إذ صورت والدتها " حتب حرس الثانية " (ابنة خوفو) في ثوب غير مصري بعقدتين بارزتين على الكتف، وتظهر ببشرة بيضاء، وشعر أصفر براق، ومهما يكن فإن أول ذكر للتمحو على الآثار المصرية كان في عهد بيبي الأول (الأسرة السادسة)، وقد ذكر " أوني " في لوحته المشهورة بلاد تمحو كمنطقة يحضر منها جنود الحبشة، ويبدو أن التمحو اعتادوا الهجرة إلى مصر بعائلاتهم إما للاستقرار أو التجارة، وقد صور المصريون قافلة من هؤلاء التجار ومعهم زوجاتهم وأطفالهم، كما يظهر في مناظر مقبرة " خنوم

---

[١] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١١٩.

[٢] مجموعة من المؤرخين العرب، تاريخنا- الكتاب الأول- ليبيا، دار التراث،١٩٧٧م، ص٩٨.

[٣] فيرنوس، باسكال، يويوت، جان، موسوعة الفراعنة، ترجمة: محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢، ص٢١٩.

[٤] M.GEORGES DARESSY, Plaquettes emaillees de Medinet- Habou, Annales de Service des antiquites de L,Egypte. ١١, ١٩١١, P.٥٨.

حتب "، من عهد أمنحات الأول في بني حسن (الدولة الوسطى)، وفي الدولة الحديثة ذكر اسم "التمحو" مرات عديدة في عهد مرنبتاح ورعمسيس الثالث[١].

أما عن مناطق التمحو فقد اختلف المؤرخون حولها، " فجاردنر " يرى بأن بلاد التمحو تمتد على طول الحدود الغربية لمصر حتى طرابلس والنوبة[٢]، أما " مولر " فيؤكد أنها تقع غربي بحيرة مريوط، غير أن الدكتور " فخري " يرى بأن التمحو شغلوا كل إقليم التحنو حتى الشاطئ، ومن الممكن أن تكون بعض قبائلهم قد اتجهت نحو الجنوب، واحتلت الواحات الخصبة حتى دارفور[٣]. أما أصلهم فمن المؤكد أنهم أسلاف البربر القدماء، وربما كانوا من المهاجرين " الهندو– أوربيين "، الذين قدموا إلى هذه المناطق منذ العصور العتيقة[٤].

٣– الليبيون:

أول ذكر لاسم " الليبو " كان في عهد رعمسيس الثاني، ثم لعبوا دوراً كبيراً في حروب مرنبتاح ورعمسيس الثالث، غير أن ذكر " الليبو " أصبح نادراً بعد الأسرة الحادية والعشرين، فلم نر ذكراً له إلا في مثال على لوحة الأمير الليبي الذي كان أميراً من المشواش، وفي مثال آخر من عهد " شيشنق الرابع"، وفي مثال ثالث عن أمير من نفس العهد يُدعى " عنخ حر "[٥].

أما عن مناطق " الليبو " فيُجمع العلماء أن هؤلاء كانوا يسكنون منطقة برقة والجبل الأخضر، ومعنى ذلك أنهم كانوا يشغلون المنطقة الواقعة إلى الغرب من " التحنو " و " التمحو "[٦].

وأما أوصافهم فهم كـ " التمحو " يتميزون ببياض البشرة، والشعر الأحمر والعيون الزرقاء، وبالنسبة للباس فقد كانوا يلبسون ثوباً ضيقاً وطويلاً مفتوحاً من الجانب، ومغطياً للكتف اليمنى، تاركاً الذراع

---

[١] مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، المغرب القديم ، ص٧٦،٧٧.

[٢] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١١٥,١١٦.

[٣] مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، المغرب القديم ، ص٧٩،٧٨.

[٤] GUY ET M.F.RACHET, Dictionnaire de la Civilisation Egypt ienne Librainie le lar, Paris, ١٩٦٨, P.١٤٤.

[٥] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١٢١,١٢٢.

[٦] البرغوتي، محمود عبد اللطيف، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، طرابلس،١٩٧١م، ص١٢٩.

اليسرى عارية، ويضعون في شعورهم ريشتان، وللرجل ذقن صغير وشارب كامل، كما وشموا الذراع والساق، وكانوا غير مختونين[١].

أما أصل " الليبو " فهم بدون شك من البربر القدماء، شأنهم في ذلك شأن " التمحو "، غير أن الأستاذة " كلير لا لوات " ترى بأنهم شعب من آسيا الصغرى[٢]، وقد رافق ظهور " الليبو " على الآثار المصرية ظهور شعب جديد أطلق عليه المصريون اسم المشواش.

٤- المشواش:

أول ذكر للمشوش أو المشواش كان في عهد الملك أمنحوتب الثالث، ثم ورد ذكرهم في عهد رعمسيس الثاني، حين استخدمهم في جيشه مع الشردان والقهق والنوبيين، وفي عهد مرنبتاح اشتركوا مع الليبيين وغيرهم من شعوب الشمال في الهجوم على مصر، غير أن دورهم الرئيس كان في حرب رعمسيس الثالث الثانية، ويؤكد " وينرايت " أن حروب سيتي الأول ورعمسيس الثالث في سنته الحادية عشرة قد سميت بالحروب الليبية، رغم أنها كانت ضد المشواش وليست ضد الليبيين[٣].

ومهما كان الأمر، فقد اتبع " الليبو " و " المشواش " – بعد فشلهم في الاستيطان بمصر عن طريق القوة – طريقة أخرى للتسلل إليها، كانت أقل وضوحاً، بيد أنها أكثر فاعلية، وهي التسرب البطيء داخل مصر، وقد ساعدهم على ذلك اعتماد مصر منذ عصر رعمسيس الثاني على المرتزقة في جيشها؛ مما سمح لعدد كبير من رجال القبائل الليبية من الانخراط في الجيش المصري، إلى حد أنهم أصبحوا يؤلفون طبقة عسكرية ذات نفوذ كبير، كانت تثير القلاقل والمشاكل، ولما كانوا في الغالب يأخذون أجرهم على شكل إقطاعات من الأراضي، فإنهم أسسوا في مختلف أنحاء مصر جاليات عسكرية، على رأس كل منها رئيس[٤]. وقد ساعد ضعف السلطة المركزية في أواخر عهد الأسرة الواحدة والعشرين في ازدياد نشاط

---

[١] M.GEORGES DARESSY, OP.CIT, P. ٥٦.
[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P. ٣٠٢.
[٣] G.A.WAINWRIGHT, The Meshwesh, Journal of Egyptian Archaeology. ٤٨, ١٩٦٢, P. ٨٩,٩٩.
[٤] J.CERNY, Egypt From The Death of Ramesses III, Cambridge Ancient History. ١١, Chapter ٣٥, P.٦١٦,٦٢٢.

رؤساء هذه الجاليات العسكرية، فقد تمكن أحد هؤلاء ويدعى " شيشنق " من الاستيلاء على عرش مصر وتأسيس الأسرة الثانية والعشرين الليبية[١].

ومهما يكن، فقد كان زعماء المشواش يحملون لقب " رئيس المشواش العظيم "، ونجد كثيراً من الأمراء الصغار كانوا يحملون هذا اللقب، مستعملين إما الكلمة المصرية (ور WR) أو الكلمة الليبية (مس MS) وغالباً ما يكتبون كلمة " مشوش " باختصار (مي Me) ، وفي الأسرة الثانية والعشرين استقر المشواش في واحة الداخلة، وتقدموا منها إلى داخل مصر[٢].

أما بالنسبة لأصل المشواش ومناطقهم، فمن المرجح أنهم من البربر القدماء الذين سكنوا المناطق الشمالية من الصحراء الليبية، وأن ديارهم امتدت غرباً إلى منطقة تونس الحالية، وربما هم شعب " المازوي "، الذين ذكرهم هيرودوت بأنهم كانوا يقطنون قرب تونس[٣]، ومازال اسمهم يعيش في المنطقة، وتحمله قبيلة " أمازير " (الأمازيغ)[٤].

ومن المثير حقاً أن هناك علاقة وثيقة بين المشواش وشعوب البحر، كاستعمال السيف الطويل وإشارة إبعاد الشر، وهي إشارة في اليد في هيئة القرن في وجه الأعداء، وشكل اسم المشواش الذي ينتهي بـ " شا " ككثير من أسماء شعوب البحر مثل الشيكلش والتيرش والأقواش، وقد ناقش " وينرايت " هذا التشابه ليخلص في النهاية أنه رغم هذه الأشياء المتشابهة فإن المشواش يعتبرون من الليبيين وليسوا من شعوب البحر[٥].

ومهما يكن، فقد تميز المشواش باستخدام تلك السيوف الطويلة المصنوعة من البرونز، وقد دُهش المصريون من نوعية هذه السيوف فحرصوا على جمعها واعتبارها من أهم الأسلاب التي يحصلون عليها، لدرجة أن مرنبتاح وضعها في مقدمة الأسلاب، وعلى رأس قائمة الغنائم كما وصفها رعمسيس الثالث، والظاهر أن هذه السيوف حصل عليها المشواش من قوم أكثر منهم تحضراً، ربما من شعوب البحر؛ لأن

---

[١] A.LEAHY, The Libyan period Egypt an Essay in Interpretion Libyan Studies ١٦ (١٩٨٥), P.٥١,٦٢.

[٢] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١٢٠.

[٣] Ibid, p.١١٩.

[٤] هناك من يطابق كلمة (المشواش) مع الكلمة البربرية (مازيغ) التي تعني باللغة البربرية المحلية " الرجل الحر " وما زالت مستعملة إلى حد الآن ويطلق البربر على أنفسهم في الوقت الحاضر اسم " أمازيغن " ومعناها " الرجال الأحرار ".

[٥] G.A.WAINWRIGHT, The Meshwesh, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٨, ١٩٦٢, P. ٨٩,٩٩.

البعض من هذه الشعوب _ خاصة الفلسطينيين والشردان _ قد حملوها أيضاً، كما يبدو أنهم حصلوا عليها خارج مناطقهم، إذ كانت بلادهم فقيرة بالمواد التعدينية، والدليل على ذلك ندرة هذه السيوف التي غنمها رعمسيس الثالث عكس ما غنمه مرنبتاح[١]، ومن المحتمل أن مكان هذه السيوف الجزر الغربية بما في ذلك صقلية وسردينيا[٢].

ولم تكن هناك وحدة سياسية معينة بين هذه القبائل، لكن يتضح من النصوص المصرية لحروب مرنبتاح ورعمسيس الثالث، أن هناك طريقة حكم بها الليبيون فيما بينهم، وهي على العموم حكم قبلي، إذ كان لكل قبيلة رئيس يرعى شؤونها، والقبائل كلها تحت زعامة رئيس أكبر يكون عادةً من أقوى القبائل وأكثرها عدداً، فعلى سبيل المثال كان " مراي " رئيس قبيلة الليبو، هو زعيم القبائل في عهد مرنبتاح، وكذلك كان " مشر " رئيس قبيلة المشواش في عهد رعمسيس الثالث، ولعل الملك المصري كان له الحق في تعيين هذا الرئيس في بعض الأحيان، لكن القبائل كانت دائماً تمتلك حق الاعتراض، وكان للرئيس زيٌّ يميزه عن باقي رؤساء القبائل، وله زوجة واحدة وعدد من الإماء، وهو عادةً على درجة كبيرة من الثراء، يمتلك الذهب والفضة والأواني المعدنية وقطعان الماشية، ويجلس على كرسي العرش الخاص به؛ ليدير شؤون القبائل بمساعدة رؤسائها أنفسهم، فواجبه حماية القبائل ومجابهة ما تتعرض له من قحط لأسباب سياسية أو طبيعية، بتدبير أماكن أخرى يتوفر فيها المأكل والمشرب، حتى إذا اضطر إلى استعمال القوة في الحصول على الطعام، ويقع على كاهل هذا الرئيس مهمة إعداد الخطط للحروب، وضمان تحقيق النصر، وكان يخرج على رأس الجيش ويضع خطة القتال بنفسه، لكنه إذا تسبب في إلحاق الهزيمة بالقبائل، يُعزل ويُقتل، وكانت رئاسة القبائل فيما يبدو وراثية، والظاهر أن هناك طبقتين من الرؤساء: طبقة زعماء القبائل القوية اللذين يظهرون على النقوش دائماً بريشتين، وطبقة زعماء العشائر الخاضعة لهم، وهؤلاء يحملون ريشة واحدة[٣].

لقد ذكرنا من قبل أن العلاقات المصرية الليبية، تميزت في أغلب فترات التاريخ المصري بالعداء والتوتر. فالقبائل الليبية كانت تحاول دائماً الدخول إلى أراضي وادي النيل الخصبة، بينما كان الفراعنة يقومون بصد هذه الهجمات، ويبدو أن الصدام كان منذ عصر ما قبل الأسرات، فقد حاربهم الملك العقرب

---

[١] G.A.WAINWRIGHT, The Meshwesh, Journal of Egyptian Archaeology. Vol ٤٨, ١٩٦٢, P.٩٥,٩٦.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١١٩.

[٣] مجموعة من المؤرخين العرب، تاريخنا– الكتاب الأول– ليبيا ، ص١٣٤،١٣٣.

ونعرمر. وفي الأسرة الرابعة تشير النصوص المصرية إلى حملة قام بها " سنفرو " ضد " التحنو "، واستمرت هذه المصادمات في الأسرة الخامسة، أما في عهد الدولة الوسطى، فقد قام أمنحات الأول (مؤسس الأسرة الثانية عشرة) بحملة على أرض " التمحو " بقيادة ابنه " سنوسرت الأول "، وفي هذه الفترة ظهر لقب جديد هو " مراقب الصحراء الغربية " الذي حمله كبار الموظفين[1]. أما في الدولة الحديثة، فقد ازداد تدفق الشعوب الليبية على مصر، وبشكل خاص مع بداية الأسرة التاسعة عشرة، ثم هدأت الأمور في عهد رعمسيس الثاني، لكن ما لبث أن تجددت الأخطار مع نهاية القرن الثالث عشر ق.م، لكن هذه المرة كانت أكثر عمقاً، ففي هذه المرحلة نزلت شعوب بحرية جديدة على سواحل شمال إفريقيا، واتحدت مع باقي القبائل الليبية لتهاجم مصر في عهد مرنبتاح خليفة رعمسيس الثاني.

يتضح مما سبق أن منطقة الشرق الأدنى والبحر المتوسط مرت بفترتين مختلفتين خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، تمتد الفترة الأولى من بداية القرن إلى نهاية الربع الثالث، فقد شهدت المنطقة استقراراً نسبياً رغم ذلك الحدث الخطير المتمثل في معركة قادش عام ١٢٨٥ ق.م، وقد أدى هذا الاستقرار السياسي إلى ازدهار حضاري كبير خاصة في مصر وسورية وبحر إيجه، وقد توسعت الحضارة المسينية، وانتشرت في كامل الحوض الشرقي للبحر المتوسط والسواحل المحيطة به، كما وصلت إلى الجزر الغربية، لكن مع بداية الربع الأخير من القرن الثالث عشر تغيرت الأحوال تماماً، وأصبحت هذه المناطق كلها عرضة للاضطرابات المدمرة؛ نتيجة هجرات شعوب مختلفة قدمت من الأراضي الأوربية الداخلية من القوقاز والبلقان، وفي النصوص الحثية نجد إشارات إلى هذه الفوضى المتمثلة في الحرب القائمة بين حاكم إقليم " أهييا‌وا " وحاكم إقليم " زيباسلا "، وهناك اعتقاد بأن " أهييا‌وا " هم الآخيون الذين ذكرهم " هوميروس " بأنهم انتقلوا إلى آسيا الصغرى؛ ليشنوا حرباً ضد طروادة، كما أن النصوص المصرية والأوغاريتية تشير إلى مجاعة عمت السواحل الجنوبية لآسيا الصغرى وربما جزيرة قبرص، ولم تقتصر هذه الكارثة على الامبراطورية الحثية، بل شملت المناطق الشرقية للبحر المتوسط حتى مصر، فدُمِّرتْ مدنٌ عدةٌ ، واختفت ممالك عديدة، أما بالنسبة لمنطقة بحر إيجه، فقد شهدت اضمحلال الحضارة المسينية وحل الخراب والدمار بكامل بلاد اليونان الداخلية؛ نتيجة تدفق الشعوب الهندو– أوربية الجديدة ومنهم " الدوريون" الذين قضوا على الحضارة المسينية، لكن ما يثير الدهشة فعلاً هو ذلك الحدث التاريخي المشهور المعروف بحرب طروادة، وفيها اتحدت جميع الممالك الآخية اليونانية في حرب ضد

[1] مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، المغرب القديم ، ص١٠٦.

مدينة طروادة الواقعة في الشمال الغربي لآسيا الصغرى[١]. ويبقى السؤال المطروح عن الكيفية التي سمحت لهذه الدويلات الصغيرة بأن تتحد لتشن حرباً ضد هذه المدينة في الوقت الذي كانت فيه هذه الدويلات نفسها معرضة لخطر خارجي يهددها ما لبث أن قضى عليها، وربما سيكشف علم الآثار والتاريخ عن أسرار هذه المنطقة في المستقبل، وما يهمنا هنا هو نتائج تلك الحروب والمجاعات.

[١] لمزيد من الاطلاع على حرب طروادة، انظر:

FRANK.H.STUBBINGS, OP.CIT, P.٣٤٢,٣٥٠.

الفصل الثاني

شعوب البحر أصلها وتحركاتها في حوض البحر الأبيض المتوسط في نهاية القرن (١٣ ق.م) وبداية القرن (١٢ ق.م).

أولاً : شعوب البحر.

- **البلست (الفلسطينيون).**
- **الثيكر.**
- **الدانونا.**
- **الشيكلش.**
- **التيرش.**
- **الوشوش.**
- **الإقواش.**
- **اللوكا.**
- **الشردان.**

ثانياً: قضية التعبير المصري القديم (الجزر التي في وسط الأخضر العظيم) وعلاقته بشعوب البحر.

ثالثاً: مسار تحركات شعوب البحر

أولاً: شعوب البحر

مع نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد، شهدت منطقة الحوض الشرقي للبحر المتوسط، والبلاد المحيطة به، تغيرات مهمَّة نتيجة تحركات وهجرات شعوب مختلفة، سواء من الشعوب التي تنتمي أصلاً إلى أواسط أسيا، والتي أطلق عليها المؤرخون عادةً اسم الشعوب الهندو– أوربية، أو من الشعوب السامية القادمة من الجنوب، التي كانت قد غيرت معالم منطقة الشرق الأدنى القديم قبل ذلك، في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد[١].

ولكن ما يهمُّنا أكثر هي الشعوب الهندو– أوربية القادمة من الشمال، التي يبدو أنها وصلت إلى مناطق شرق أوربا من شمال البحر الأسود لكي تستقر في البلقان، ثم انتشرت جنوباً متنقلة على عربات ثقيلة تجرها الخيول[٢].

كانت هذه الشعوب دائمة التنقل والتحرك، وكان أشهرهم " الدوريون "، الذين توغلوا في كامل بلاد اليونان، مخلفين الكثير من الدمار والخراب في المدن المسينية الكبرى، ولم تنج من هذا الغزو سوى "أتيكا"[٣]، ومن شبه جزيرة البلوبونيز اتجه الدوريون نحو كريت، وحطموا ما تبقى من الحضارة الإيجية، ثم استولوا على جزيرة رودوس، وكانوا قبل ذلك قد وصلوا إلى السواحل الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى، حيث المستعمرات المسينية، ولكن الحثيين استطاعوا وقف تقدمهم، ومنعوهم من الوصول إلى جزيرة قبرص[٤]. وقد أدى قدوم هذه الشعوب المهاجرة إلى صراع مرير بينها وبين السكان المحليين القاطنين بهذه المناطق، وكان من نتائجه أن قبائل عديدة هجرت أوطانها الأصلية، وعبرت البحر باحثة عن موطن جديد يكون أكثر أمناً واستقراراً.

---

[١] مورتكات، أنطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان، علي أبو عساف، قاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٧، ص٢٦٤.

[٢] أبو بكر، عبد المنعم، كفاحنا ضد الغزاة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص٤٥.

[٣] أتيكا: شبه جزيرة يونانية توجد بها مدينة أثينا، وتتميز بسلاسل جبلية صغيرة وسهول خصبة. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، ص٥٥٠.

[٤] JACQUES PIRENNE, Histoire de la Civilisatian de Egypte Ancienne, P.٤٥٩.

لقد أصبحت منطقة اليونان الداخلية وبحر إيجه، وآسيا الصغرى مليئة بأفواج بشرية متحركة، ومما زاد الأمر تعقيداً تلك الصراعات والمجاعات التي حلت بالمناطق الساحلية الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى[١]، كل هذا حمل العديد من الشعوب على الترحال، فاضطر الآخيون إلى الرحيل مع نسائهم وأطفالهم على السفن، فلجأ بعضهم إلى شبه جزيرة أتيكا وإلى جزيرة " أوبي "[٢]، وأبحر القسم الأكبر منهم إلى أنحاء ليبيا، وإلى فينيقيا وبلاد كنعان، ومن جهة أخرى اضطرت الشعوب التي طُردت من ليديا ومسيا وكاريا وليسيا إلى الاتجاه نحو ليبيا عن طريق البحر، كما نزل فريق آخر منهم عن طريق اليابسة على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط في عربات ثقيلة ذات عجلات تجرها ثيران ذات سنام، وهي تحمل النساء والأطفال[٣]. وقد اجتاحت هذه الشعوب المهاجرة منطقة تلو الأخرى، كما أخبرتنا النصوص المصرية، على طول الساحل السوري– الفينيقي– فدمرت العديد من المدن والموانئ، ومنها مدينة أوغاريت، وقد استمرت هذه الشعوب في السير براً وبحراً حتى بلغت حدود مصر، واستطاع رعمسيس الثالث وقف تقدمهم وهزمهم في معركتين برية وبحرية[٤].

ومما يثير الدهشة فعلاً أن هذه الأفواج البشرية كلها سواء التي وصلت إلى سورية، أو التي هربت واتجهت بسفنها نحو الغرب لتنزل على سواحل إفريقيا الشمالية، كانت متجهة نحو مصر، ولو أن ذلك كله كان يبدو أنه من غير تعاون مقصود بينها[٥].

ومن الضروري أن نؤكد أن هذه التحركات والهجرات والغارات التي قامت بها هذه الشعوب لم يكن غرضها السلب والنهب فقط، إنما كان الهدف الحقيقي هو البحث عن موطن للاستقرار والاستيطان.

---

[١] G.A.WAINWRIGHT,Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٦, ١٩٦٠, P.٢٤،٢٨.

[٢] جزيرة أوبي، جزيرة في بحر إيجه. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، ص٥٦٦.

[٣] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P.٢٦٧.

[٤] حتي، فيليب، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة: نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩، ص١١١.

[٥] صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم– مصر والعراق، ص٢٣٥.

ومن أهم شعوب البحر:

١- البلست (الفلسطينيون)

الفلسطينيون (برست Prst ، بلست Pelest ، أو بلستي Pelesti)

أول ذكر لهم على الآثار المصرية يعود إلى عهد رعمسيس الثالث في نقوش مدينة هابو سواء في حربه الأولى في السنة الخامسة ضد الليبيين[١]. أو حروب السنة الثامنة ضد أقوام " شعوب البحر " الذين غزوا مصر وسورية من جزرهم.[٢]

ولم يذكر البلست أو " برست Prst " بمعزل عن الشعوب المهاجمة الأخرى، ولم يخصوا بأنهم (من البحر) إلا في فقرة واحدة على نقش تاريخي لرعمسيس الثالث، إذ يذكر هذا النقش أن رعمسيس الثالث " **سحق البلدان الأجنبية بقدميه، الجزر التي عبرت البحر (أو " ضد ")(حدوده؟)..... (فراغ) البلست والتورشا (قدموا؟) من وسط البحر**"[٣].

وكما نلاحظ فحتى في هذه الفقرة كانوا متصلين مع " التورشا "، كما كانوا متصلين أيضاً بقوم " الثيكر، " الذين كانوا يماثلونهم في المظهر والأسلحة[٤].

وبصفة عامة، فإن البلست اشتركوا مع بقية " شعوب البحر " الآخرين في الانتقال عبر البحر المتوسط، وهم في نظر المصريين كلهم من البحر، وإن كان الاستاذ " ر.دي فو " يرى أنه " ليس هناك ما يؤكد لنا بأن هذه الشعوب خلفت تقاليد رجال البحر، باستثناء اللوكا والشردان الذين مارسوا القرصنة في منطقة الحوض الشرقي للبحر المتوسط، خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد، كما أننا لا نملك أي دليل على أن هذه الشعوب لعبت دوراً في التجارة البحرية قبل استقرارهم في فلسطين ...، وحتى بعد استقرارهم في فلسطين، وهم على الرغم من اشتراكهم في التجارة الساحلية مع مصر وفينيقيا، كما تخبرنا قصة " ون –آمون " فإن شعوب البحر لم يصبحوا قوة بحرية[٥].

---

[١] W.F.EDGERTON, J.A.WILSON, OP. CIT, P. ٣٠.
[٢] Ibid, P.٥٣.
[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٦٤,١٦٥.
[٤] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.٢٠٢,٢٠٣.
[٥] R.DEVAUX, O.P, OP. CIT, P.٤٩٠,٤٩١.

كما أن التوراة لم تتحدث إطلاقاً عن الفلسطينيين كبحّارة أو تجار، إضافة إلى ذلك إن مدنهم الساحلية مثل أشدود، وعسقلان، وغزة للفلسطينيين و" دور"[١] للثيكر لم تكن سوى موانئ بسيطة، ولم يهتموا بالبحر، بل إنهم اهتموا بالداخل وتوسعوا في " عقرون "[٢] و " جث GATH"[٣]، التي أصبحت مدينتهم، والمركز الرئيسي لاتحادهم. وباختصار شديد فقد قلّ اهتمامهم بالبحر[٤].

ومهما يكن فقد ذكر البلست في بردية هاريس التي أكدت أن رعمسيس الثالث استخدم البلست والشردان (الشاردانا)، والوشوش، والدنن (الدانونا) والشيكلش كمرتزقة في جيشه، وكقوات في حامياته العسكرية[٥].

ولم يكن البلست معروفين للحثيين، وليس هناك أي ذكر لهذا الاسم في السجلات الحثية، أما في التوراة فقد ورد اسم الفلسطينيين الذين يتفق المؤرخون وعلماء الآثار على أنهم " البلست.

أما بالنسبة للموطن الأصلي للبلست، فهناك نظريات عدة أو آراء مختلفة، والحقيقة أن هذه الآراء والنظريات مبنية أساساً على ما خلفه هذا الشعب من البقايا الحضارية مثل الأواني الفخارية واللغة، والنظام السياسي، كما اعتمدت هذه الآراء على المناظر التي تصور هذا الشعب على جدران معبد مدينة هابو سواء من خلال المظهر والأسلحة، أو من خلال العربات والسفن التي قدموا فيها، والواقع أن " البلست " أو " الفلسطينيين " لهم صلة أو علاقة بمنطقة آسيا الصغرى، وبحر إيجه، فمعظم النظريات والآراء تركز على هاتين المنطقتين. وعلى العموم، فإن رسومات مدينة هابو تظهر البلست وهم حليقي الذقن، رغم أن أميرهم له لحية صغيرة ومدببة، ويلبسون غطاء الرأس المحلى بالريش.[٦]

---

[١] دور: مدينة كنعانية على ساحل البحر، تقع إلى الجنوب من الكرمل، استقر فيها الثيكر بعد هزيمتهم في مصر على يد رعمسيس الثالث. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٤٠١.

[٢] عقرون

[٣] جث: إحدى المدن الخمس الفلسطينية، معنى اسمها المعصرة، يرجح أن موقعها الحالي هو تل عراك المنشية، على بعد قرابة عشرة كيلو مترات من بيت جبرين. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٣٠٩.

[٤] R.DEVAUX, O.P, OP. CIT, P.٤٩٠,٤٩١.

[٥] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٦٥.

وانظر أيضاً: الدسوقي، خالد، دراسات في شعوب الشرق القديم "الأموريون- الكنعانيون- الآراميون- العبرانيون- الفلسطينيون "، مكتبة أحمد حسن سعد، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٢١٦.

[٦] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٦٥.

ويرى " بارنت "أنه من الممكن أن يكون جلد أو شعر حصان، وليس كما نقول دائماً أنه ريش، وهذا الغطاء يربط بخيط تحت الذقن، كما كانت جباههم مزينة بشريط، ويرتدون تنورة صغيرة مزينة في نهايتها بشراشيب، مثل التنورة ذات الشراشيب التي لبسها إله منطقة الأناضول الجنوبية، أما من حيث التسليح فقد كانوا مسلحين بالحراب والدروع المستديرة، والسيوف الطويلة العريضة والخناجر المثلثة الشكل التي كان يستخدمها الشردان، التي لها صلة بالخناجر والسيوف التي عثر عليها في منطقة القوقاز، وفي المعركة البرية ضد المصريين قاتل الفلسطينيون في عربات تشبه تلك العربات التي استخدمها الحثيون في معركة قادش، وكانت كل عربة تحمل ثلاثة أشخاص اثنين من المحاربين وسائق، وتجرها ثيران ذات سنام – كانت تربى على ما يبدو في الأناضول– ولكنها لم تستخدم في منطقة بحر إيجه أو فلسطين، أما سفنهم الحربية التي تصورها نقوش معبد هابو من المعركة البحرية فهي من طراز غير تقليدي تتميز بعدم وجود مجاذيف لها وتسير بالشراع فقط، وتحمل في مقدمتها ومؤخرتها رأس طير[١].

ويرى " دي فو "أن هذه السفن تختلف عن السفن المصرية والإيجية، فهي باستثناء مقدمتها ومؤخرتها اللتين تحملان فوقها رأس الطير، لا تختلف عن السفن التجارية السورية التي صُورت في طيبة على قبر كل من " قن آمون KEN-AMUN " من عهد أمنحوتب الثالث، و" نب آمون NEB-AMUN " من عهد أمنحوتب الثاني[٢].

وهنا سنقدم النظريات المهمة حول الموطن الأصلي للفلسطينيين، إذْ يرى "هول" أن التقاليد العبرانية تتفق على أن الإسرائيليين قدموا من مصر، والفلسطينيين من كفتور (أي كريت)، إلا أن الفلسطينيين لم يكونوا كفتيين أو مينويين، ذلك لأنهم لم يلبسوا ملابسهم، كما أنهم يختلفون عنهم في أسلحتهم وفي غطاء رؤوسهم، ومن هنا فإن الفلسطينيين كانوا مختلفين كثيراً في المظهر عن المينويين أو الكفتيين من كريت، ثم يرى " هول " بعد ذلك أن الفلسطينيين قد قدموا – مع الشردان والتورشا – من زاوية جنوب غرب آسيا الصغرى، وهناك ما يدعو إلى الاحتمال أن القبائل الكارية– ومن بينهم الفلسطينيين – قد احتلوا نهاية شرق كريت، وذلك عند سقوط كنوسوس وانهيار الحضارة المينوية، ثم يقرر بعد ذلك أن موطن الفلسطينيين كان حقيقةً في ليسيا وكاريا[٣].

---

[١] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٢.
[٢] R.DEVAUX, O.P, OP. CIT, P.٤٩١.
[٣] H.R.HALL, OP. CIT, P. ٢٨٦,٢٨٨.

ويذهب " ألكسندر موري " إلى الرأي نفسه حين يؤكد أن الفلسطينيين قدموا من كاريا، وبعدما أقاموا لفترة في كريت تجولوا في الحوض الشرقي للبحر المتوسط من ليبيا حتى سورية، وكانت مصر هدفهم الرئيسي[١].

أما " جاك بيرني JAOQUES PIRENNE " فيرى أن الفلسطينيين والثيكر أو" زكال" كاريين وسيليسيين من " أرزاوا "[٢].

وفي مقابل هذا هناك رأي " بونفانت " الذي قام بدراسة مشوقة حول أصل الفلسطينيين، وقدم أدلة لغوية هامة لتفسير هذا الاسم، إذ يذكر أن اسم الفلسطينيين جاء من كلمة (بالايستنوي) الإغريقية، وهي ذات أصل عرقي " إنثولوجي " مشتقة من اسم المكان PALAESTE، وفي نظره أن الفلسطينيين شعب " هندو – أوربي " قدم من كريت، لكنه لم ينشأ بها أصلاً، إنما أصلهم يعود إلى منطقة إليري ILLYRIE[٣].

وقد أخذ بهذا الرأي " أنطوان مورتكات " الذي يؤكده بقوله: " الفلسطينيون الليريون الذين لا بد أن يكونوا قد جعلوا قبل ذلك من جزيرة كريت محطة لهم "، ثم يضيف " من الممكن أن يكون هذا التاج ذو الريشة، العنصر الذي يفسح لنا المجال لتتبّع أصل الفلسطينيين القدماء، عن طريق الدوريين الذين يمكن أن يكونوا أقرب الناس إليهم، ومن هؤلاء إلى الشعب الليري الهندي الغربي[٤].

أما " وينرايت " فيرى أن الفلسطينيين من كفتور، ولكن كفتور ليست كريت بل إن هناك أدلة على أن " سيليسيا – تراشيا " بغرب سيليسيا أعلى وأسفل نهر " كاليكادنوس CALYCADNUS " هي التي يُقصد بها " كفتور "، وهي الموطن الأصلي لقوم الثيكر THEUCER " أيضاً، ودليلنا على ذلك أن الفخار الفلسطيني شبيه بالفخار المسيني الذي عثر عليه في منطقة سيليسيا، وهو من طراز العصر المسيني الحديث الثالث MYC III Ci، كما أن هناك أدلة لغوية وأثرية على أن كفتور كانت بلداً في

---

[١] A.MORET, L'Egypte Pharaonique. Dans Gabriel Hanotaux. Histoire de la nation Egyptienne, tome ٢, Paris, ١٩٣٢, P.٣٦١.

[٢] J.PIERINE, Bistoiro de la Civilisation de l'Egypte ancienne tome ٢,elitions Albin Michel, Paris, ١٩٦٢, P.٤٨٩.

[٣] G. BONFANTE, WHO WERE THE PHILISTINES? American Journal of Archgaeology, ١٩٤٦, P.٢٥١,٢٦٢.

[٤] مورتكات، أنطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان ، علي أبو عساف، قاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٧م، ص٢٦٦.

أعلى وأسفل نهر كاليكادنوس، ومن الواضح أن الفلسطينيين قد احتلوا سيليسيا الغربية، والأكثر احتمالاً ، البلاد التي تقع أعلى وأسفل نهر كاليكادنوس في الجزء الشرقي، حيث عاش الثيكر، وهناك ما يثبت أن غارة الفلسطينيين كانت من " سيليسيا – تراشيا " وسواحلها.، وينتهي " وينرايت " إلى أن مجموعة قبائل الفلسطينيين ، الثيكر، الدنن، يُكوّنون مجموعة من القبائل في سيليسيا، الفلسطينيون والثيكر في الجزء الغربي من البلاد، بينما " الدنن " في الجزء الشرقي منها[١]. هذا ويقدم " جون ديشاي JEAN DESHAYES " نفس الرأي، إذ يرى أن الفلسطينيين يشكلون مزيجاً من الأجناس المختلفة كان من بينهم العنصر المسيني، الذي لم يكن من الأراضي اليونانية الأصلية، بل من المنطقة الآسيوية الساحلية المتأثرة بالحضارة المسينية[٢].

أما " بريستد " فيرى أن أهالي " بلست "– وهم الفلسطينيون– أصلهم من جزيرة كريت[٣]، وبالنسبة لجاردنر فإنه يؤكد – بعد أن لخص البراهين التي تحاول أن تحدد الموقع الأصلي للفلسطينيين– أن الروايات العبرية والإغريقية تتفق على أن الفلسطينيين من جنس أجنبي لا يُختتون، وهم في ذلك يختلفون عن الساميين، وأن هناك قوماً يدعون الكفتوريون، قد غزوا ساحل فلسطين وسكنوا القرى حتى غزة، وأن الفلسطينيين هم المقصودون بذلك، ثم يذكر جاردنر أن هناك جدلاً كبيراً حول تحديد كفتور وتوحيدها بكريت، لذلك سوف أقنع نفسي (أي جاردنر) بملاحظتين. أما الأولى: إن كانت كفتور كلمة مصرية فإن وجود النهاية (R) ليست عقبة خطيرة للاشتقاق من كفتيو لوجود متشابهات لذلك، وأما الثانية: فقد سلّم بعض العلماء أن كفتيو يمكن أن تعادل أو تدل على كل من كريت وشاطئ سيليسيا، لكن هذا الأمر يبدو مستحيلاً، ومن هنا فإنه على العلماء أن يختاروا بين أحد المعادلين أو المطابقين، ثم يؤكد " جاردنر " أنه إذا كان حقاً كفتور تقصد كريت، وهي الكفتيو عند المصريين، فإن قضية الكفتيين والفلسطينيين غير مرتبطة كلياً، فإذا كان الكفتيون كريتين، فمن المؤكد أن يكونوا مينوين، بينما الفلسطينيون أو" البلستي " ليسوا كذلك إذ نجد أن هناك فروق التسليح بين المينوين (كريت) وبين الفلسطينيين، فلم يعرف المينوين الدروع المستديرة والريش الموجود على غطاء الرأس، رغم أن قرص " فايستوس PHAISTOS" يشابه

[١] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٧٧,٨٢.
[٢] JEAN DESHAYES, OP. CIT, P.١٠٩.
[٣] J.H.BREASTED, A History of Egypt, p.٤٢٧.

إلى حد ما غطاء رأس البلست، إلا أن هذا القرص يعود إلى حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م، ومن الصعب أن نقرر أن هذا القرص يدل على المنطقة الأولى لأجداد الفلسطينيين[١].

ويرى " بول مارتن " أن الأمر يتعلق ربما بشيء مستورد، مما يجعلنا نفكر أن الفلسطينيين قد عبروا كريت أثناء انتقالهم نحو الجنوب الشرقي، وأنهم جاؤوا من المناطق الشمالية[٢].

ويذكر" جاردنر " أن بلست رعمسيس الثالث لم يهاجموا مصر من البحر فحسب، بل تدل الشواهد كذلك أنهم قد ساروا براً مخترقين آسيا الصغرى، ومتجهين إلى شمال سورية مع نسائهم وأطفالهم، مستعملين في ذلك عربات تجرها ثيران ذات سنام، ونراها مصورة في المعركة البرية بمدينة هابو، وأخيراً فإننا لم نجد شيئاً يتعارض مع ما جاء في نصوص مدينة هابو، من أن الفلسطينيين قد بدؤوا غزواتهم من جزر البحر المتوسط، كما أننا لم نجد ما يدحض الرواية العبرية والإغريقية من أن الفلسطينيين قد قدموا إلى فلسطين من كريت، لكن فروق التسليح بين المينوين والبلستي إضافة إلى ذلك قرص فايستوس قد جعل من المؤكد أن كريت ليست الوطن الأول لهم مهما كانت فترة بقائهم بها في طريقهم إلى مصر وفلسطين. أما موطنهم الأصلي فيمكن البحث عنه في مكان ما في شمال بحر إيجه، وربما كان احتلالهم للجزر إحدى مراحل هجراتهم[٣].

أما بالنسبة لرأي " أولبرايت " فهو مبني أساساً على الآثار، وخصوصاً على الفخار الفلسطيني المؤرخ بالقرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد، الذي حاول أن يبين أهميته ودوره في تحديد أصل الفلسطينيين، ويرى " أولبرايت " أن الفخار الفلسطيني نشأ أصلاً في حوض بحر إيجه، لكنه قدم إلى فلسطين عبر قبرص[٤]. ثم يؤكد– أولبرايت– أن هناك الرواية الليدية– من ليديا– التي ذكرها أحد المؤرخين القدماء (وهو من المعاصرين لهيرودوت)، التي تقرر بأن الفلسطينيين كانوا مستعمرين من ليديا، غير أن ما قام به " أولبرايت " هو إعادة مناقشة الفرق بين الفلسطينيين والبلاسجيين، وأكد أن " هومر " ذكر أن طروادة الجنوبية كانت مستوطنة بالجماعات البلاسجية ذات الحراب، إلا أن " هيرودوت " وهو مواطن من " هاليكارناسوس " في كاريا يعيد "الأيونيين" و "الأيوليين" إلى أصل بلاسجيني، كما أن هناك عدة أسماء فلسطينية تؤكد نسب الفلسطينيين إلى المنطقة الجنوبية الغربية من آسيا الصغرى مثل " جولياث

---

[١] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.٢٠٢.
[٢] PAUL MERTENS, OP. CIT, P.٨٣.
[٣] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.٢٠٤, ٢٠٥.
[٤] W.F.ALBRIGHT, Syria The Philistines and Phoenicia, Cambridge Ancient History, II, ١٩٧٥, P.٥٠٩.

GOLIATH " و "أشيش ACHISH "، كما جاء في قصة " ون آمون "أسماء ثلاثة رؤساء لفلسطين وهم "واركاتير" و"وارت" و" ماكامار" وقد تأكد لنا بعد الدراسات المختلفة أن أصل هذه الأسماء من جنوب غرب الأناضول، ومهما كان الأمر فقد انتهى " أولبرايت " في دراسته إلى احتمال أن الفلسطينيين يتشابهون في كثير من الحالات مع البلاسجيين[١].

والرأي نفسه تقريباً تذهب إليه " كلير لا لوات " حين تؤكد أن الفلسطينيين والثيكر " شعوب بحرية أكثر منهم تجاراً، أصولهم تعود ربما إلى طروادة "[٢].

أما الدكتور " نجيب " فيرى أن أسفار التوراة تشير إلى أن الفلسطينيين هاجروا من كفتور إلى سورية، وكفتور هذه هي التي يظن أنها كريت[٣].

ومهما اختلف المؤرخون وعلماء الآثار حول الموطن الأصلي للفلسطينيين، فإن المتفق عليه –كما ذُكر من قبل – أنه من بين جميع شعوب البحر التي ذكرت في عهد مرنبتاح ورعمسيس الثالث، لم تذكر التوراة سوى الفلسطينيين الذين سكنوا الساحل الجنوبي من بلاد كنعان في المنطقة ما بين غزة ويافا، وكان الكرمل الحد الفاصل بين بلادهم الشمالية وبين الفينيقيين، كما كانت مدينة " جث " هي أبعد مدنهم الداخلية، وكانت أهم المدن التي أقام فيها الفلسطينيون غزة وعسقلان وأشدود وعقرون وجث، وكانت هذه المدن تشكل اتحاداً قوياً كان في الغالب تحت إشراف أشدود[٤].

ومهما كان الأمر، فإن التأثيرات الأناضولية على الفلسطينيين تبدو واضحة، والدليل على ذلك احتكارهم لصناعة الحديد الذي لم يكن معروفاً في المنطقة قبل قدومهم، وكان هذا المعدن معروفاً للحثيين في آسيا الصغرى، وقد كشفت الحفريات الحديثة عن وجود الحديد بكميات كبيرة في مواقع الفلسطينيين كأشدود، وتل الفرعة، وعين شمس[٥]،كما أن بعض الكلمات الفلسطينية القليلة المتبقية ترجع أصولها ربما إلى الأناضول، ولو أن الحكام الفلسطينيين في الفترة المتأخرة كانوا يحملون أسماء سامية، فهناك كلمة

---

[١] W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥١٠.

[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P.٣٠١.

[٣] ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق القديم، الجزء الثالث – سورية، الطبعة الثالثة، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص٣٤٨، ٣٥٠.

[٤] زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد " مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص٣٨١.

[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٣.

" Seren " التي تدل على الحكام والأسياد الخمسة الذين يحكمون المدن الفلسطينية، وقد ربطت هذه الكلمة بالكلمة الإغريقية " tyranncs " التي تعني بدورها " السيد "[١]، وإن كان البعض يفضل ربطها مع الحثيين الجدد sarawanas– tarawanas [٢]، كما وجدت في العبرية وفي العربية كلمة دخيلة هي " قبعة Koba " وهي لفظة فلسطينية تعني خوذة الفارس، وهذه الكلمة كان أصلها على ما يبدو من الكلمة الأناضولية "Kuppahhi " التي تقصد بدورها (الخوذة)[٣]، وهناك أيضاً اسم " Akish " الذي ربط بالاسم الإغريقي " Anchises "، وإن كان " ساندارز " يرى أنه اسم من سيليسيا [٤].

أما بالنسبة للديانة الفلسطينية فلم يُعرف عنها أي شيء، وإن كانت آلهتهم في الفترة المتأخرة كنعانية، يرى " مازار B-MAZAR " أن عبادة " بعل شميم BAAL-SHAMEM " إله السماء هو تأثير فلسطيني مستوحى من الإله الإغريقي الأولمبي " زوس ZEUS "، كما يؤكد "مارجيلوس H.MARGULIES " أن الإشارة إلى الطيور والنحل في العبادات الفلسطينية، وأساطير مثل " شمشون" كلها توحي بالتأثير الإغريقي والمينوي، وقد وجدت أشكال مرسومة تجسد إحداها آلهة أنثى جالسة في أشدود، وهذا الشكل للرسوم يشير بوضوح إلى الأصل المسيني[٥]، أضف إلى ذلك أن عادات الدفن لدى الفلسطينيين تشبه الموجودة لدى المسينين، كما توضح ذلك التوابيت التي كشف عنها في " تل الفارغة " من القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد، كما يرى البعض أن طريقة المبارزة الفردية بين داود و" جوليات " الفلسطيني هي فكرة " هيلينية أوربية "[٦].

وكما ذكرنا فإنه يمكن أن نبحث عن أصل الفلسطينيين من خلال الأواني الفخارية المعروفة بـ " الفخار الفلسطيني "، وهي في الواقع هجين مختلط من تأثيرات مختلفة من الأناضول ومن بحر إيجه، وبها كذلك العنصر الأصلي من بلاد كنعان، فمن ناحية تشبه الأواني المسينية، وهي من الطراز المعروف بـ " الطراز المغلق "، ومن ناحية أخرى كانت هذه الأشكال من الأواني تحمل تأثيرات شرقية كالرسم على الطين ورسم منظر الظهر من الخلف التي كانت نادرة في بحر إيجه[٧].

---

[١] DANIEL ARNAUD, OP. CIT, P.١٥٦.

انظر أيضاً : W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥١٦.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٦٥.

[٣] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٣.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٦٦.

[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٤.

[٦] Ibid, P.٣٧٤.

[٧] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٦٦, ١٧٠.

ومهما يكن، فقد أظهر تحليل الطين المحروق أن الأواني الفخارية الفلسطينية صنعت في الأجزاء الساحلية لفلسطين، لكن ذلك لم يمنع من العثور عليها في المناطق الداخلية كـ " تل ابتون" قرب " تل بيت ميرسيم " وإلى أبعد من ذلك شرقاً في بيت شان ودير الله، ومجدو.

إذن هناك وجهات نظر مختلفة حول الموطن الأصلي للفلسطينيين، وهي تكاد تتفق على أن الفلسطينيين قد أتوا من كفتور التي يُعتقد أنها كريت أثناء غزوهم لمصر وفلسطين غير أنها لم تكن الموطن الأصلي، وإنما مجرد محطة مؤقتة في أثناء هجراتهم.

وقد رأينا أن هناك أشياء تثبت أصل الفلسطينيين من منطقة بحر إيجه ومن بلاد اليونان الأصلية، وحتى ربما من القوقاز، لكن الواضح أن الفلسطينيين رجال بر أكثر منهم رجال بحر، ولا يوجد في التوراة ما يربط الفلسطينيين بالبحر، والمدن الساحلية الفلسطينية كانت كلها تمتد في الأراضي الداخلية المليئة أحياناً بمستنقعات وكثبان رملية تفصلها عن البحر المتوسط، ولم يهتم الفلسطينيون بعد استقرارهم في فلسطين بالبحر كما اهتم الفينيقيون بعد ذلك، كما أن مدنهم لم تشتهر كموانئ بحرية هامة مثل الموانئ الفينيقية فيما بعد[١].

ومن وجهة نظرنا نرجح الرأي والفكرة القائلة أن الفلسطينيين لم يكونوا غرباء عن المنطقة؛ ذلك أنه عندما بدأ استقرار سكان المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم فينيقيا في الألف الثالث قبل الميلاد، اتجه قسم منهم إلى جزيرة قبرص القريبة من الساحل واستقروا فيها، وهذا ما حصل قبل قدوم قبائل البلست بنحو ١٨٠٠ سنة قبل الميلاد، ثم هاجرت جماعات أخرى من منطقة الساحل الكنعاني نتيجة هجمات الحثيين والكاشيين والحوريين والميتانيين على العراق وسورية، إلى مصر زمن المملكة المصرية الوسطى، في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد وبداية الألف الثاني، في العصر البرونزي الوسيط، لكن ملوك ذلك العصر منعوهم من الاستيطان على أراضيهم، فاتجه معظم تلك الجماعات إلى جزر البحر الأبيض المتوسط ومنها كريت وجزيرة قبرص وغيرهما.

٢- الثيكر

الثيكر، أو ثكر (Thkr ، Thjekker) أحد أقوام البحر الذين هاجموا مصر وسورية في عهد رعمسيس الثالث، وقد ورد ذكرهم في موضعين في نصوص معبد مدينة هابو، إحداهما تعرض للتلف،

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٧٠.

كما وجد اسم مكان (الثيكر) في إحدى قوائم تحوتمس الثالث بالكرنك، ولكن مما لا شك فيه أن هذا مجرد جناس لفظي؛ لأن تحقيق القائمة يتصل بسورية الشمالية، وبطريقة أخرى فإن هؤلاء القوم لم يُذكروا قبل عهد رعمسيس الثالث، كما لم يُعرفوا في النصوص الحثية[١].

ومن المحتمل أن يكون " الثيكر " قوم من سكان الجزر جاؤوا في الغزوة الكبرى في عهد رعمسيس الثالث، وهم في الواقع لا يختلفون عن " البلست " من حيث المظهر، إذ يضعون نفس غطاء الرأس المزين بالريش، كما كان اسمهم يذكر دائماً مع اسم البلست في النقوش المصرية، وفي مثالين صور فيهما أمير بلاد " الثيكر " وأمير بلاد " بلست " لم تظهر تيجان الريش على رؤوسهم بشكل واضح، وكان الأميران بلحية، بينما كان الجنود بدون لحية[٢]، ويبدو أن الثيكر استقروا في المنطقة الساحلية بمدينة " دور " جنوب جبل الكرمل بعد هزيمتهم أمام رعمسيس الثالث سنة (١١٨٦ ق.م)، وقد أصبحوا من قراصنة البحر فيما بعد، كما تذكر قصة " ون آمون " نحو سنة (١١٠٠ ق.م)، والواضح أنهم كانوا قراصنة أكثر منهم تجاراً، ويتمتعون بحرية الحركة في البحر، إذ كانوا قادرين على اقتفاء أثر " ون آمون " حتى مدينة جبيل لكنهم اختفوا بعد ذلك عن مسرح التاريخ[٣].

وعموماً، فقد عملت محاولات توحيد قوم الثيكر بقومٍ أو مكانٍ ذكره المؤلفون الكلاسيكيون أو ذكرته التوراة، وهو " التوكري TEUCRI " من إقليم طروادة، ومدينة " زقلاج ZIKLAG " ويذكر " جاردنر " أن " هول " الذي ذكر هذا الاقتراح يظن أن اسم " الثيكر " يناسب " الصقليين SICILIANS " أفضل من أن يكون لشعوب البحر المسمين " شكلش "، كما أن " أولبرايت " يحبذ هذه الفكرة، غير أن " جاردنر " يرى بعد ذلك أن هذه الموازنات لا ترتكز على أساس سوى المشابهة الصوتية، ومن ثم فلا يُعتمد عليها كثيراً[٤].

ومهما كان الأمر، فقد أصبح مقبولاً بشكل عام ربط " الثيكر " بالبطل الإغريقي " التوكري TEUCRI أو TEUCER " مؤسس مدينة " سلاميس " بقبرص، والواضح أن " الثيكر " ظهروا في أنكومي بقبرص حتى قبل تدميرها مع نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد إذ عثر في مدينة " أنكومي " على آنية من أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، رسم عليها رجل يلبس نفس غطاء

---

[١] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١٩٩، ٢٠٠.
[٢] Ibid, p. ٢٠٠.
[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٧٠.
[٤] A.H.GARDINER, OP.CIT, p. ٢٠٠.

الرأس من الطراز الفلسطيني، كما عثر على تمثال من العاج لرجل بلحية يضع نفس غطاء الرأس الفلسطيني، ويحمل في يده فأساً في مدينة أنكومي، وهو موجود الآن في المتحف البريطاني[١].

ويذكر " وينرايت " أن الدكتور " بوسرت BOSSERT " يعتقد أن هذا الرجل من " الدنن "[٢]، غير أنه – أي وينرايت– يؤكد أن هناك دليلاً في الوقت الحاضر على أن هذا الرجل ليس من الدنن، إنما من " الثيكر "أو بعبارة أخرى من " التوكرياني TEUCRIAN " ثم يرى وينرايت أن هؤلاء الثيكر– التوكرياني عاشوا في سيليسيا – تراشيا– قبل قدومهم إلى قبرص بفترة طويلة قبل عام ١٥٠٠ ق.م، وأنهم هم الذين أسسوا مدينة " أولبا OLBA " شرق المجرى الأعلى لنهر كاليكادنوس في سيليسيا[٣].

أما " هول " فيرى أن " ثكاري TCHAKARAY " أو " زاكار ZAKAR " و" وشوش " و"دنن" أو " دانونا " قبائل كريتية أصلية[٤]. ويرجعهم " بونفارت " إلى أصل " إليري " ويرى أن شعوب البحر التي ورد ذكرها في النصوص المصرية كانوا أربعة منهم، يحتمل أنها إليرية وهم شيكلش وثيكر وتيرش ودانونا[٥]. كما يرى " بول مرتنس " أن الثيكر والبلست جيران هاجروا من منطقة " إليري " إلى كريت، ثم يرى أن مشكلة الثيكر تكمن في عدم معرفة مكان وجودهم بين سنوات ١٤٠٠– ١٣٠٠ ق.م قبل هجرتهم الكبرى، وإذا قبلنا بتوحيد الثيكر بـ"التوكرياني" فلا بد أنهم مروا بطروادة، وقد ذكر سترابون بأن " التوكرياني " قدموا من كريت حين جاؤوا للاستقرار في إقليم طروادة[٦].

أما " برستد " فيرى أنهم يونانيو الأصل من جزيرة صقلية[٧]، ويرى " أولبرايت " أن شعب الثيكر يمكن توحيده أو مطابقته بـ " التوكرياني " (أو أقل احتمالاً مع شعب " SIKELOI " الذي ذكره " هوميروس "، واحتل جزيرة صقلية وأعطاها اسمه)[٨] أما " دانيال أرنود DANIEL ARNAD " فيرى أن الثيكر

---

[١] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٥.
[٢] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٧٦.
[٣] Ibid, P.٧٥, ٧٧.
[٤] H.R.HALL, Annual of the British School at Athes, ١٩٠١, P.١٨٢, ١٨٤.
[٥] G.BONFANTE, OP. CIT, P. ٢٦١.
[٦] PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٨٣، ٩٤.
[٧] J.H.BREASTED, OP. CIT, P.٤٧٧.
[٨] W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥٠٨.

استقروا في إقليم طروادة خلال حرب طروادة، لكن يبدو أنهم لجؤوا جنوباً إلى سيليسيا[١]، بالنسبة لـ " كلير لا لوات " فإن الثيكر والبلست من إقليم طروادة[٢].

وعموماً، فقد تعرضت مدينة " أنكومي " بقبرص في القرن الثاني عشر قبل الميلاد للتدمير والتخريب، ولكن أعيد بناؤها فيما بعد، وفي حطامها عثر على خاتم حجري نقش عليه شكل محارب يحمل درعاً كبيراً، ويلبس أيضاً نفس غطاء الرأس الفلسطيني، ومن الواضح حقاً أن " الثيكر– التوكرياني " هم الذين هدموا " سلاميس "[٣] وأعادوا بناءها ثم سيطروا عليها.

وفي آنية من قبرص يوجد رسم لسفينة من الطراز الفلسطيني تحمل رأس الطير، وقد استمر استخدامها هناك حتى القرن السابع أو السادس قبل الميلاد، ويبدو أن الثيكر لم يكونوا الشعب الوحيد من شعوب البحر الذين عاشوا في قبرص، فقد اكتشف " ديكايو DIKAIOS " عام ١٩٥٢م تمثالاً صغيراً رائعاً لإله يلبس خوذة فيها قرون كبيرة تشبه قليلاً قرون خوذة " الشردان "، كما تم اكتشاف تماثيل أخرى عام ١٩٦٣م بها خوذات ذات قرون، وفي إحدى التماثيل كان صاحبه يحمل رمحاً ودرعاً مستديراً، وبعض الأشكال تجعلنا نفترض أن هناك العديد من " شعوب البحر" قدمت إلى مصر من قبرص غير الشردان.[٤]

وفي النهاية أعتقد بأن الثيكر قد قدموا من إقليم طروادة، وربما مروا بسيليسيا ثم قبرص ليستقروا في النهاية على الساحل الفلسطيني في " دور " خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وذلك بعد هزيمتهم أمام رعمسيس الثالث.

٣– الدانونا

دني DENE وتكتب عادةً "دانونا DANUNA" أو دنن– ديانونا DENYEN-DAININUNA" هم أحد شعوب البحر الذين عاشوا مدة طويلة، فقد ذُكروا في خطابات العمارنة (٥٢، ١٥١) في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، إذْ يكرر " أبو ملكي " حاكم صور، أن ملك دانونا قد مات وخلفه أخوه[٥]،

---

[١] DANIEL ARNAUD, OP. CIT, P.١٥٠.
[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P.٣٠٧.
[٣] سلاميس: عاصمة جزيرة قبرص القديمة، كان للفينيقيين تأثير كبير عليها في عصورها القديمة. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٤٨٧.
[٤] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٦.
[٥] PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٩٥.

ويؤكد " جاردنر " أنه لا يوجد شيء في سياق الحديث يشير إلى أن "أبو ملكي" كان قادراً على أن يمدنا بمعلومات خارج سورية وفلسطين.[١]

ويرى " ساندارز " أن أسماء البلاد التي ذُكرت في هذه الرسائل كانت من الشمال إلى الجنوب، وأن أرض الدانونا ذُكرت قبل أوغاريت وقادش وآمورو، ومن ذلك نستنتج أن أرض الدانونا تقع شمال أوغاريت والأورنت، لكن ليس لمسافة بعيدة. ثم يؤكد – أي ساندارز – أنه إذا علمنا من خلال الحملات العسكرية للملك الحثي " شوبيلوليوما " (١٣٧٣– ١٣٣٥ ق.م) على سورية الشمالية، أن حلب وكركميش يقعان في الشرق وألالاخ وأوغاريت في الغرب وكيزواتنا (سيليسيا) إلى الشمال، فإنه لم يبق سوى منطقة لواء الإسكندرونة من ضمن أرض الدانونا، إن لم تكن أبعد من ذلك إلى الشمال مثل ما تذكر رسائل العمارنة[٢].

وبعد فترة العمارنة لم يذكر اسم " دانونا " على الآثار المصرية إلا في عهد رعمسيس الثالث في حربه للسنة الثامنة، إذْ ذُكروا أربع مرات، ونجد في الملخص التاريخي لبردية هاريس (٧٦–٧٧) رعمسيس الثالث يقول: " **لقد ذبحت دانونا في جزرهم** "[٣]، ثم يشير في الجمل التالية إلى قوم الثيكر وبرست وشردن ووشش أنهم من البحر، وفي صورة من مدينة هابو نرى صفاً من أسرى قوم دانونا، وقد صُوروا بغطاء الرأس، فيه ريشة، ويرتدون التنورة المخصصة مثل الفلسطينيين، وفي النص الخاص بهذا المنظر نقرأ: "**أن سيفي قد طرح هؤلاء الذين أتوا ليفخروا بأنفسهم بلست ودانونا وشيكلش**[٤].

أما في نقش السنة الثامنة فنقرأ: " **كان حلفهم مكوناً من البلست والثيكر والشيكليش ودني ووشش** "[٥]

ومهما يكن، هناك تفسيرات عدة لهذا الاسم، ومحاولات مختلفة لتوحيد قوم " دانونا " بأقوام أخرى من اليونان وبلاد الأناضول، " فجاردنر " يرى أن " دني DENE " يمكن توحيدها بـ" Davaoi "، وهو اسم يطلق فقط على قبيلة تعيش في سهل " أرجوس ARGOS " (من بلاد اليونان)، لكنها في الإلياذة تدل على الإغريق بصفة عامة، ثم يؤكد– أي جاردنر– أننا نعدّ " دني DENE " موحدة مع " دنو DENO"، وهذا يزيد توحيدها مع " Davaoi " من الجانب اللفظي، ومن الناحية التاريخية فالتوحيد مقبول

---

[١] A.H.GARDINER, OP.CIT, p. ١٢٥.
[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٦١, ١٦٢.
[٣] A.H.GARDINER, OP.CIT, p. ١٢٥
[٤] Ibid, p.١٢٦.
[٥] Ibid, p.١٢٥, ١٢٦.

جداً، خاصة أن ذكرها مع الفلسطينيين يتطلب قوماً لهم أهمية، وتدل أسطورة حرب طروادة على أن حركة قوم " الدانين DANAANS " نحو الشرق من بلاد الإغريق نفسها كانت من الأمور المعروفة، وإذا استثنينا الإشارة التي وردت عنهم في بردية هاريس، فلا نجد ما يدل على أنهم كانوا يسكنون في جزرهم[١].

أما " هول " فقد قبل توحيدهم بـ" Davaoi "، وفي رأيه أن هذا الاسم استخدم ليدل على قبيلة يونانية ربما هم "بلاسجيين PELASGIANS "، وليس ما تقصده الإلياذة، ثم يؤكد أن "دانونا " والثيكر من جزيرة كريت[٢]، بينما يرجعهم " بونفانت " إلى أصل إليري، وأن اسمهم " دانونا " مشتق من اسم "الدانوب" تبعاً لما ذكره " كرتشمر KRETSCHMER "[٣].

أما " جون دشاي " فيرى أن بعض المؤرخين اقترحوا توحيد " دنن DENEN " رعمسيس الثالث مع "دانواي DANAOI" الذين ذكرهم هوميروس، وهذا يعني سكان المدن المسينية، خاصة " بيلوس PYLOS " و" ميسان MYCENES " التي تعرضت بدورها للتدمير من قبل "الدوريين DORIENS"، لكنه عاد وأكد أنه " DENEN " يمكن أن يكون أصلهم من القارة الآسيوية، ويمكن تقريب اسمهم من اسم " دانونيم DANOUNIM " الذي ذكرته أرشيفات " كاراتيبي KARATEPE "، الذي أقام في سيليسيا العليا، وحسب الأسطورة فإن " موبسوس MOPSOS " من " كولوفون COLOPHON " قاد مجموعة من المحاربين الإغريق بعد حرب طروادة حتى " بامفيليا " في سيليسيا، وقد عُثر على اسم هذا البطل في أرشيفات " كاراتيبي "[٤].

وقد ارتبط " الدنن " بآسيا الصغرى بعد أن عثر H.BOSSERT عام ١٩٤٦م في مدينة " كاراتيبي " الواقعة على نهر" سيحان Ceyhan " في سيليسيا على تمثال يعود تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد عليه نص مكتوب باللغتين الحثية (اللوية LUWIAN) والفينيقية، وفي هذا النص نجد " ايسيتاواندا " حاكم كاراتيبي يصف نفسه أنه من أتباع " أوربك " ملك الدانونيم، وقد ذكر النص الحثي بأنه ملك مدينة " أدانا " بينما وصفه النص الفينيقي أنه ملك الدانونيم[٥].

---

[١] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٢٦, ١٢٧.
[٢] H.R.HALL, Annual of the British School at Athens, ١٩٠١, P.١٨٢, ١٥٤.
[٣] G.BONFANTE, OP. CIT, P. ٢٦١.
[٤] JEAN DESHAYES, OP. CIT, P.١٠٦, ١٠٩.
[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٣, ٣٦٥.

ويبدو أن هناك علاقة بين " دانونا " المذكورين في رسائل العمارنة وبين " الدنن " من عهد رعمسيس الثالث و" دانونيم "المذكورين في نص كاراتيبي[١]، ويؤكد " بارنت " أن شعب دانونيم من القرن التاسع قبل الميلاد هم أنفسهم الدانونا المذكورون في رسائل العمارنة من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، لكن مدينتهم الرئيسة من المحتمل أن تكون PAKHRI التي ذكرها " شلمنصر الثالث " (٨٥٨-٨٢٤ ق.م)، التي تطابق أو توحد مع مدينة PAGRAI في جبال الأمانوس[٢].

أما " ساندارز " فيرى أن أرض دانونا في القرن الثامن قبل الميلاد كانت لها عاصمة في "أدانا"، ومنها مد حاكمها سلطانه على كاراتيبي على نهر سيحان CEHAN الذي يطل على السهل الساحلي، ثم يؤكد- أي ساندارز- أن كلا المدينتين كانتا متحالفتين مع شعوب سيليسيا والحثيين الجدد في كركميش وزنجرلي SINJRLI [٣] الذين كانوا جميعاً مرتبطين باللغة اللوية وبالخط الهيروغليفي الحثي[٤].

وفي هذا النص نفسه نجد حاكم كاراتيبي (ايسيتاواندا) يصف نفسه أنه وريث عرش موبسوس، أو بالضبط " من منزل M P S " وكلمة " M P S " موجودة في النص الفينيقي، أما في النص الحثي فقد ذُكر تحت اسم " موكشاش MUKSHASH " وقد جرى تقريب هذا النص من إحدى الروايات الإغريقية، ويبدو أن كلمة "M P S" الفينيقية مشابهة لموبسوس MOPSUS الذي ذُكر في الرواية الإغريقية أنه حاكم منطقة كولوفون التي لها روابط مع المسينيين القادمين من بلاد اليونان الأصلية، وطبقاً للرواية الإغريقية فإن موبسوس انضم إلى جماعة من الإغريق قبل نهاية حرب طروادة بعام، ورحل جنوباً إلى إقليم بامفيليا، وأسس المدينتين " اسبندوس ASPENDUS " و" فاسيلس PHASELIS " ثم تقدم داخل سيليسيا ومن هناك وحسب المؤرخ الليدي XANTHUS رحل جنوباً في عربات تجرها الثيران إلى عسقلان بفلسطين حيث مات[٥]. ويؤكد- ساندارز- أن هذه الأسطورة التي تنتهي بموت موبسوس في عسقلان تعد ذكرى للأحداث التي أعقبت هزيمة شعوب البحر على الحدود المصرية، أو في الدلتا وارتدادهم إلى فلسطين[٦].

---

[١] PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٨٤, ٨٥.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٥.
[٣] زنجرلي: الاسم الحالي لمدينة قديمة تعرف باسم " شمأل " تقع عند سفح جبال الأمانوس في الطريق المؤدية من سورية إلى الأناضول، ومعنى اسمها (الشمال). انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٤٨٨، ٤٨٩.
[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٦٢.
[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٤.
[٦] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٦٢.

وعموماً، فإن هناك تقارب واضح بين الرواية الإغريقية التي تؤكد أن موبسوس مرتبط بسيليسيا الشرقية، وطن الدانونيم (نص كاراتيبي) وكابد يروس " كفتيو " في بامفيلي أو سيليسيا– تراشيا (الروايات اليونانية)، وهذا ما يذهب إليه " وينرايت "، إذْ يؤكد أن " الداينيونا – الدنين " والفلسطينيين والثيكر يتشابهون في لبسهم كما تُبين النقوش المصرية، ويشكلون تجمعاً إذْ تركز الفلسطينيون في الجزء الغربي من سيليسيا والدنن– داينيونا في الشرق، وبالنسبة له– أي وينرايت– فإن التعبير المصري "في جزرهم" الذي وصف به رعمسيس الثالث " الدنن " يقصد به جزر شرق سيليسيا، ولا علاقة له بجزر بحر إيجه[١].

وهناك رأي آخر يشير إلى إمكانية قدوم الدنن عبر قبرص، وإن كان الرأي مبنياً أساساً على التسمية الآشورية لجزيرة قبرص في القرن الثامن قبل الميلاد " يادننا YADNANA "، التي يمكن تفسيرها بـ"جزيرة أو (ساحل) دانانا DANANA "[٢]. لكن حتى الآن لم يكتشف عن بقايا أثرية تثبت استقرار الدانونا في قبرص رغم أن الأستاذ BOSSERT يعتقد أن تمثال الرجل الذي عثر عليه في قبرص هو للدنن[٣].

وعموماً، فإن كل ما نستطيع أن نأخذ به ونفضله، هو أنه إذا كان " الدانونا " الذين ذُكروا في فترة العمارنة هم أنفسهم " الدانن " الذين ذُكروا في عهد رعمسيس الثالث، فإن بلادهم يمكن أن تكون في منطقة شرق سيليسيا كما يؤكد " وينرايت "، الذي يعتقد بأنه ليس لهم أي علاقة مع بحر إيجه وجزره.

٤– الشيكليش– تيرش

(الشيكلش Sheklesh أو Shakalsha ، تيرش Teresh أو تورشا Toursha).

يبدو من الرسومات المصرية أن " شيكلش– تيرش " يتشابهان في أشياء كثيرة مما جعل "وينرايت" يرى أنهم يكوّنون مجموعة واحدة من شعوب البحر فهم ملتحون، ويلبسون نفس غطاء الرأس الذي يميزهم عن شعوب البحر الآخرين، ويجعلهم يشكلون مجموعة خاصة من هذا الحشد من غزاة البحر، كما أن مرنبتاح قد ميزهم عن غيرهم بأنْ وصفهم أنهم " **شيكلش– تيرش الذين أتوا كأعداء من ليبيا** "[٤]، وإن كان

---

[١] G.A.WAINWRIGHT, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٨٠, ٨٢.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٧.
[٣] G.A.WAINWRIGHT, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٧٦.
[٤] Ibid, P.٨٠, ٨٢.

"ساندارز" يذكر أن " تيرش " أو " تورشا " وُصفوا في نقش لرعمسيس الثالث مع " البلست " أنهم من وسط البحر[١]، أما بالنسبة للّحية فإنما تميزهم بوضوح عن الفلسطينيين والدانونا والثيكر والشردان، إضافة إلى ذلك فهم يتميزون بأسمائهم التي تحمل في نهاياتها " شا Sha " عن الفلسطينيين والشردان.

وفي الحقيقة فإنه– باستثناء شردان ولوكا– فإن الهجوم على مرنبتاح كان بواسطة أقوام " شا " (إقواش، شيكليش، تيرش، مشوش)، ويذكر " بارنت " أن " ماسبيرو " يرى أن النهاية " شا Sha " هي نهاية عرقية من آسيا الصغرى، ثم يؤكد– أي بارنت– أنه في الوقت الحاضر نرى أنها تُوضع في الجملة لتدل على الفاعل في اللغة الهندو– أوربية[٢].

ويتضح من هذا كله أن " تيرش " كانوا جيراناً لـ " شيكلش "، وأن الاثنين يظهران متشابهين في لباسهما[٣]، ولكن هناك بعض الفروق بين " الشيكلش و تيرش "، إذ نجد في رسومات معبد مدينة هابو من عهد رعمسيس الثالث صفاً من الأسرى يتكون من سبعة أمراء أيديهم مربوطة للخلف، وأمام كل رسم نجد اسم الأسير بالخط الهيروغليفي، فهناك الأمير الحثي والأموري، وأمير الثيكر، والشردان، ثم نجد رسماً اختلف حوله علماء المصريات كثيراً لأن الاسم تالف، وقد رأى البعض أنه للبدو " الشاسو "، بينما يرى آخرون أنه لأمير " الشيكلش "، وهذا ما أكده " وينرايت " ثم تستمر القائمة فنجد بعد ذلك رسماً لأمير "التيرش " وفي النهاية " البلست "[٤].

تميز الشيكلش بأنف رقيق بارز وغطاء رأس (قلنسوة) ممتد للخلف، ومن الممكن أن لا يكون هذا غطاءً للرأس، وإنما شعر، وقد لبس حلفاء الحثيين في معركة قادش ١٢٨٥ ق.م نفس هذا الغطاء، كما لبسه قسم من الحراس المصريين في حرب رعمسيس الثالث في السنة الخامسة ١١٨٩ ق.م ضد الليبيين، أما " تيرش " فأنفه قصير وسميك، كما تميّز بالشفاه الغليظة، وربما لم يلبس غطاء الرأس[٥].

كما تميز شيكلش عن تيرش بالحلية (الميدالية) المعلقة في أعناقهم، وإن كان لبس هذه الحلية شائعاً بين السوريين، وقد لبسها رجل من عهد حتشبسوت (١٤٩٠– ١٤٦٨ ق.م) قبل أن يزور بعض أهل كفتيو (كريت) مصر، والواقع أن ارتداء الحلية عادة قديمة ترجع إلى عام ٢١٠٠ ق.م، ورغم أنها

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١١٢.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٢.
[٣] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١,p٨٤.
[٤] Ibid, p.٨٤.
[٥] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١١٢.

تظهر غالباً في رسوم السوريين، فإنها كانت في نظر المصريين كعلامة مميزة لـ " شيكلش– تيرش "، ومع ذلك فقد ارتداها – غير شيكلش– آخرون من شعوب البحر في ذلك الوقت[١]، والحقيقة أن عادة ارتداء هذه الحلية كانت معروفة حتى في بلاد الأناضول وإيران[٢].

ويؤكد " إدوارد وينتي " أن " الشاسو " كانوا أحياناً يلبسون الحلية كما يظهر من رسم واحد بمعبد صولب بالنوبة[٣]، ولكن " وينرايت " يرى أن لبس الحلية في سورية لم يكن بسبب تحركات الشاسو إلى الشمال– كما افترض وينتي– بل بسبب التحركات إلى الجنوب من آسيا الصغرى ومجاوراتها، وإن لبس واحد من الشاسو للحلية لا يجعلها صفة مميزة لهم[٤] ، وقد عارض " وينتي" في كثير من المناسبات هذه المميزات التي جعلها " وينرايت " تفرق بين " شيكلش وتيرش " عن بقية شعوب البحر، فهناك اللحية التي رأى فيها " وينرايت " ميزة تميزهم عن الفلسطينيين، لكن رغم أن الفلسطينيين غير ملتحين بصفة عامة، هناك مناظر بمدينة هابو يظهرون فيها وهم ملتحون، كما أننا نملك رسماً واحداً لـ " تيرش " بلحية، ويحتمل أنه كان لأحد زعمائهم، ولهذا فإن " وينتي " يرى أنه من المجازفة أن نستنتج أن " تيرش " كانوا بصفة عامة ملتحين، ومع ذلك فإن صورة رجل التيرش الملتحي تظهر لحيته أقصر من تلك التي لـ " شيكليش "[٥]، إضافة إلى ذلك فقد لبس" شيكلش– تيرش " التنورة القصيرة التي تنتهي بأطراف فيها شراشيب، شأنهم في ذلك شأن باقي شعوب البحر، كما كانت صدورهم محمية بعصبة أو ضمادة ربما من الكتان أو الجلد ومزينة بخطوط ملونة[٦].

وأما عن أسلحتهم، فإنهم كانوا يحملون حربتين، ودرعاً مستديراً مثل شعوب البحر الآخرين كالفلسطينيين والشردان، وقد أعطوا الجيش المصري أسلحة تشبه عصاً مطروحة أو مرمية، كما استعملوا أحياناً السيف بجانب الرمح، وفي بعض المناظر كانوا يحملون السيف المعقوف كسلاح، وهذا يميزهم بوضوح عن الشردان المرتزقة الذين كانوا مسلحين بالحراب والسيوف.

---

[١] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٨٦, ٨٧.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٧.
[٣] E.F.WENTE, Shekelesh Or Shasu ? Journal of Near Eastern Studies, Vol ٢٢, ١٩٦٣, P.١٦٨.
[٤] G.A.WAINWRIGHT, SHEKELESH Or SHASU ? Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٥٠, ١٩٦٤, P.٤٣.
[٥] E.F.WENTE, OP. CIT, P.١٦٩.
[٦] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٧.

وعلى العموم فقد حمل الآسيويون هذا السيف المعقوف، كما تُظهر الرسومات في عهد رعمسيس الثاني[١].

أما عن علاقة شيكلش – تيرش بمصر فترجع إلى اشتراكهم مع القبائل الليبية وباقي قبائل شعوب البحر في الهجوم على مصر، في العام الخامس من عهد مرنبتاح (١٢٢٠ ق.م)[٢]، أما في عهد رعمسيس الثالث، فقد ذكرت نصوصه على أن شيكلش كانوا ضمن الحلف الذي هاجمه سنة ١١٨٦ ق.م[٣] وربما أصبح التيرش قليلي الأهمية في عهده، لذلك لم يذكرهم في سجلاته، وإن ظهر زعيمهم بين أسراه، ويقترح " وينرايت " أن هذا يتضمن أن " التيرش " في عهد رعمسيس الثالث قد اتجهوا إلى استعمار أتروريا[٤].

أما عن موطنهم الأصلي، فقد اختلف حوله علماء المصريات كثيراً، ولكن الراجح حالياً هو توحيد "شيكيلش" بـ " سيكل SIKELS " السكان الذين قطنوا الجنوب الشرقي لصقلية، ويذكر" ساندارز " أن المستعمرين الإغريق في القرن الثامن قبل الميلاد وجدوا في جزيرة صقلية شعباً يسمى " SIKLES " ويبدو أن هذا الشعب قدم إلى هذه الجزيرة من جنوب إيطاليا بعد حرب طروادة[٥].

و" ساندارز " يفترض أنه في الواقع إذا كان " شيكلش " و " سيكل " شعباً واحداً فإنهم كانوا يشكلون قسم من مجموعة شعوب الأناضول التي انهزمت أمام مرنبتاح، وتفرقت في شرق المتوسط فلجأ قسم منهم إلى سواحل صقلية، بينما انضم الآخرون إلى جيش رعمسيس الثالث في حربه الليبية[٦].

وهناك رأي آخر يجعل " شيكلش– تيرش " من آسيا الصغرى، فقد قرّب " ماسبيرو " شيكلش إلى اسم مدينة " سجالوس SAGALASSOS " في " بيسيديا PISIDIA "[٧]، لكن " وينرايت " يؤكد أن هذا الاقتراح لا يعتمد سوى على تشابه الاسمين، وفي رأيه– أي وينرايت– بأن " شيكلش– تيرش " كانوا

---

[١] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, p٨٥.
[٢] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag. ٥٧٤. ٥٧٩. ٦٠١, p.٢٤١,٢٥٥.
[٣] Ibid, Parag ٦٤, p.٣٨.
[٤] G.A.WAINWRIGHT, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ١٦, ١٩٣٠, p.١٥٢,١٥٣.
[٥] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٨٩.
[٦] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١١٣.
[٧] TADEUSZ SMOLENSKI, Annales de Service des antiquités de L'Egypte, ١٩١٥, P.٨٥, ٨٦.
انظر أيضاً: M.GEORGES DARESSY, OP. CIT, P.٥٨.

متجاورين في أوطانهم، لأنهم يتبعون نفس مجموعة " شا Sha "، وفي رأيه أن جميع الشعوب التي هاجمت مرنبتاح كانوا جيراناً يعيشون في أطراف كاريا وليديا، فـ"تيرش" قدموا من ليديا والإقواش ACHAEANS من ميلتوس، وبناءً عليه فإن " شيكلش" قد أتوا من تلك المجاورات، وفي الواقع لدينا دليل إضافي نستنتجه من تحالفهم مع لوكا، الذين كانوا يعيشون إلى القرب من هذا المكان، أضف إلى ذلك أن لوكا أنفسهم ذُكروا مع أعضاء آخرين من مجموعة " شا Sha " من قبل رعمسيس الثاني، وكل هذا يوضح أن مجموعة شعوب "شا Sha" نشأت في مكان ما في جنوب ليديا وشمال كاريا، وكل تلك المنطقة. لذلك فإن هذه الدلائل مجتمعة تجعل أصل " شيكلش " من ليديا– كاريا.[١]

أما عن " تيرش " أو " تورشا " فقد جرى تقريبهم بـ " تارشا TARUISHA " التي ذُكرت في النصوص الحثية من عهد تودخاليا الرابع (١٢٥٠– ١٢٢٠ ق.م)[٢]، لكن " دي روجيه " وحّدهم بـ " تيرسينوي TERSENOI " (أي التيرانيون)، الذين اعُتبروا أسلاف " الأتروسكيين ETRUSCANS " المعروفين للإغريق وقد أخذ بهذا الرأي أغلب المؤرخين[٣]. وعلى كل حال فإن الحثيين يضعون " تارشا TARUISHA " في منطقة " أسووا ASSUWA " الشمالية الواقعة قرب إقليم طروادة، وإن وجدت كذلك في المنطقة التي أصبحت تعرف مؤخراً باسم ليديا (وسط غرب الأناضول)، ومن هذه المنطقة هاجر " التيرانيون TYRRHENIANS " حسب هيرودوت إلى وسط إيطاليا[٤]، وبالضبط إلى أتروريا ETRURIA " كما يرى وينرايت[٥].

وهكذا يمكن ربط " تيرش– تارشا– تيرسينوي مع الأتروسكيون ETRUSCANS، ولكن هناك بعض الاعتراضات على هذا الربط فـ " هول – كما يذكر سمولنسكي– لم يقبل بوجود " تيرسينون" شرقيين، وفي رأيه فإن " تورشا " قبيلة من سيليسيا تقطن " بلاد تارس TARSE "[٦]، أما " بول مارتنس " فيذكر أن النشيد الهوميري في ديونيسوس DIONYSOS يتحدث عن" التيرسينون " كقراصنة، وأن

---

[١] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٨٩, ٩٠.
[٢] Ibid, ٢٥, ١٩٣٩, P.١٤٨- ١٥٣.
[٣] TADEUSZ SMOLENSKI, Annales de Service des antiquités de L'Egypte, ١٩١٥, P.٧٥, ٧٦.
[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١١٢.
[٥] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٨٤.
[٦] TADEUSZ SMOLENSKI, Annales de Service des antiquités de L'Egypte, ١٩١٥, P.٧٧.

"توسيديد THUCYDIDE " يشير أنهم كانوا في جزيرة " لمنوس LEMNOS " الواقعة في مواجهة طروادة[١].

أما رأي " وينرايت " فهو قريب من رأي " هول "، يؤكد فيه أن " تورشا " في النصوص المصرية هم تارشا في النصوص الحثية التي ذكرت مع " آدانيا " على حدود " كيزوادنا " وبذلك فهي " ترسوس " الواقعة في سيليسيا، وإذا كان كذلك فقد أصبح من الحقائق الهامة أن عدداً من العلماء يريدون أن يضعوا " أخياوا " في سيليسيا، وأن أهالي سيليسيا كانوا يُسمون قديماً "هيباخيين"، ولذلك يمكن أن تكون " تورشا " في النصوص المصرية تمثل أهالي ترسوس لا أهالي طروادة.[٢]

وعموماً، فقد أصبح الأمر واضحاً الآن، أن شعوب البحر التي اتحدت مع الليبيين وهاجمت مرنبتاح لم تأت من جزر غرب البحر المتوسط كما كان يُعتقد، إنما أصولهم ترجع إلى آسيا الصغرى (بلاد الأناضول)، وهذا ما أميل إليه، ويبدو أن هذه الشعوب بعد انهزامها أمام مرنبتاح تفرقت، وربما لجأت إلى جزر غرب البحر المتوسط إلى صقلية وسردينيا وكورسيكا وحتى إيطاليا، ولكن في حالة " تيرش " وربطها مع الأتروسكيين يجب أن نُشير إلى أن التنقيبات الأثرية في إيطاليا لم تكشف عن بقايا حضارة الأتروسكيون قبل القرن الثامن قبل الميلاد مما يجعل هذا الربط مجرد تخمين قابل للجدل والمناقشة.

٥- وشوش

وشوش أو " وشش " (WESHESH)، هم إحدى القبائل التي هاجمت مصر في عهد رعمسيس الثالث، وقد ذُكر هذا الاسم في النقوش والسجلات المصرية مرتين، الأولى في تسجيل السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث[٣]، والثانية في بردية هاريس، إذْ وُصفوا مع الشردان أنهم من البحر ومن خلال هذه البردية يبدو أن رعمسيس الثالث أسر عدداً كبيراً منهم، ووضعهم في قلاع خاصة[٤]، والحقيقة أننا لا نعلم كثيراً عن هذا الشعب، لدرجة أن " جاردنر " يرى أنه ربما لم يكن سوى اسم من أسماء الأعلام[٥].

---

[١] PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٧٩, ٨٠.

[٢] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea-Peoples And Others In the Hittites Archives, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٢٥, ١٩٣٩, P.١٥١, ١٥٣.

[٣] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag. ٦٤, p.٣٨.

[٤] Ibid, IV, Parag. ٤٠٣.

[٥] جاردنر، سير ألن، مصر الفراعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل ابراهيم، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م، ص٣١٣.

أما عن الموطن الأصلي لـ " وشش " فإن " هول " يرى أنهم وزكار (الثيكر) قبائل كريتية أصلية، وقد افترض توحيدهم مع اسم منطقة في كريت تسمى AXOS (تقرأ أحياناً WAXOS)[١]. كما رأى بعضهم ربطهم أو توحيدهم مع اسم " إليوس ILIOS " وهي منطقة تقع في الشمال الغربي من طروادة، التي يفترض كذلك أن تكون لها روابط مع " تيرش– تورشا "[٢].

غير أن المتفق عليه بالنسبة للمؤرخين وعلماء الآثار هو ربط اسم " وشش " مع اسم مدينة " واسوس OUASSOS " الواقعة جنوب غرب كاريا، وبهذا فإن " وشش " قدموا من هذه المدينة[٣]، وهذا ما أرجحه وأميل إليه.

٦– الإقواش

(أقاواشا AKAWASHA ، أقايوشا AKAIWASHA أو ببساطة إقوش EKWESH) إحدى أكبر قبائل شعوب البحر الذين تحالفوا مع الليبيين لمهاجمة مصر في السنة الخامسة من عهد مرنبتاح، ولم يظهروا بعد ذلك شأنهم شأن اللوكا.

ومن المؤسف أنه لم يعثر في النقوش والرسومات المصرية على صور تمثل الإقواش، لكن وصفوا بأنهم " من البحر " في تسجيلين منفصلين، ففي لوحة أتريب ATHRIBIS " نجد أن " أقوش " فقط هم الذين وصفوا بأنهم " من بلدان البحر "[٤]، بينما نجد في نقوش الكرنك أن الشردان والشيكلش والإقواش كلهم من " بلدان البحر "[٥]، وهذا الوصف يجعل من " الإقواش " قوماً بحريين ربما كانوا يعيشون في جزر أو جزيرة ما، والغريب أن شعب اللوكا لم يُخصوا بهذا الوصف رغم تاريخهم الطويل كشعب بحري[٦].

وبصفة عامة، فإن المتفق بالنسبة للمؤرخين وعلماء الآثار هو أن " إقواش " في النصوص المصرية هم قوم " الآخيين ACHAEANS "، الذين ذكرهم هوميروس وأخخياوا Ahhiyawa " المذكورة في

---

[١] H.R.HALL, Annual of the British School at Athens, ١٩٠١-١٩٠٢, P.١٨٤.
[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ٢٠١.
[٣] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٧.
انظر أيضاً: PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٨٣.
[٤] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag. ٦٠١, p.٢٥٥.
[٥] Ibid, Parag. ٥٨٨, p.٢٤٩.
[٦] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٥٧.

النصوص الحثية، وبذلك فهم شعب " هندو- أوربي "[١]، لكن ما يُدهشنا أنهم قوم يُختتون- كما يُختن المصريون-، ومن المعروف أن عادة الختان كانت منتشرة بين المصريين والساميين فقط[٢].

وعموماً إن " أهييواوا أو أخييواوا ذُكروا في النصوص الحثية في وقت مبكر، ربما في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ولكن يجب أن نتعامل مع ذكر هذا الاسم في النصوص الحثية بحذر شديد بسبب عدم التأكد من تاريخ هذه النصوص[٣]، لكن يبدو أحياناً أن حاكم " أهييواوا " له مكانة ومنزلة رفيعة في نظر ملوك خاتي، ففي إحدى المعاهدات ذكرت أسماء الملوك الذين كانت خاتي ترى أنهم يقفون على قدم المساواة مع ملكهم، ومنهم ملوك آشور ومصر وبابل، وملك أهييواوا الذي سُجل ثم مُحيَ، مما يشير إلى أهميته وأهمية إقليمه[٤]. كما وُجدت إشارات عديدة في الحوليات تربط " أهييواوا " بطريقة ما مع منطقة " ميلاوندا MILLAWANDA "(ميلتوس MILETUS) الواقعة إلى الجنوب تماماً من ليديا على الساحل الشمالي لكاريا، وهي في ذلك الوقت كانت مركز الفوضى والاضطراب خصوصاً في أرض اللوكا[٥].

وعلى العموم فقد اختلف المؤرخون وعلماء الآثار في تحديد موقع " أهييواوا "، فبعضهم يرى أنها تقع في الساحل الغربي لآسيا الصغرى قرب " ميلتوس " أو في طروادة، ومنهم من يعتقد أنها في الأراضي اليونانية الداخلية، أما الآخرون فيضعونها في إحدى جزر بحر إيجه في رودس، أو ربما حتى في كريت[٦]، لكن هذا الاختلاف لا يمنعنا من التأكيد على أن " أهييواوا " الحثية كانت تقصد إما كل المسينيين المعروفين للحثيين، أو تقصد بعض المستعمرات المسينية في غرب آسيا الصغرى[٧].

وعموماً يجب أن نقبل توحيد قوم " إقواش " مع " أهييواوا " المذكورين في النصوص الحثية، أو على الأقل مع قسم منهم، ويرى " وينرايت " أن " إقواش " و " تيرش " متجاروين، ومن ثم هم يعيشون في ليديا، وإقواش قُبلت بصفة عامة كآخيين من نوع ما، ومن المعروف أنه كانت توجد مستعمرات مسينية في " ميلتوس " جنوب ليديا على شاطئ شمال كاريا، والحقيقة أن كل هذه الشعوب اضطرت إلى الهجرة عبر

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٠٧.
[٢] TADEUSZ SMOLENSKI, Annales de Service des antiquités de L'Egypte, ١٩١٥, P.٧٣, ٧٥.
[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٠٧,١٠٨.
[٤] A.GOETZE, OP. CIT, P.٢٦١.
انظر أيضاً: FRANK. H. STUBBINGS, OP. CIT, P. ٣٤٠.
[٥] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١١٠.
[٦] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea-Peoples And Others In the Hittites Archives, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٢٥, ١٩٣٩, P.١٤٨.
[٧] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١١١.

البحر، ومن الواضح أن الأحوال كانت سيئة في أوطانهم الأم، التي كانت في مكان ما قرب ليديا وكاريا وليسيا[١]. ومن هنا فإننا أمام مشكلة كبيرة في تحديد الموطن الأصلي للإقواش، فالمعروف أن " الآخيين " كانوا ينتشرون في كل بحر إيجه وبلاد اليونان الداخلية، وحتى سواحل آسيا الصغرى، ومن ثم يصعب علينا تحديد الموطن الذي قدموا منه إلى الحوض الشرقي للبحر المتوسط ومصر. وتميزهم في النصوص المصرية بأنهم " من بلدان البحر " يجعلنا نفكر في إحدى الجزر، لكن هذا الوصف أو التميز لا يجب تصديقه بسهولة، فغالباً ما كان هذا التعبير يقصد كل المسينيين القاطنين في اليونان وبحر إيجه. أضف إلى ذلك إننا لا نستطيع تفسير الاختفاء الغريب لاسم " إقواش " من جميع النصوص والسجلات المصرية، بعد هزيمتهم أمام مرنبتاح سنة ١٢٢٠ ق.م[٢].

وأخيراً يجب أن نذكّر بأن أصحاب الرأي القائل بربط " إقواش " مع " الآخيين " قد اعتمدوا أيضاً على تلك الرواية التي وردت في " الأوديسة"، التي تؤكد بأن الآخيين قاموا بغارة على مصر، لكنهم هُزموا[٣].

ويجب أن نقبل بأن " إقواش " هم " آخيين "، لكن بالنسبة لموطنهم الأصلي، يميل الباحث إلى رأي " وينرايت " الذي يؤكد أن موطنهم في " ميلتوس "، التي كانت مستعمرة آخية في شمال كاريا[٤].

٧- اللوكا

" لك LK " أو " لوكي LUKKI " وفي النصوص الحثية تكتب " لوكا LUKKA "، وهم القراصنة المشهورون في منطقة شرق البحر المتوسط[٥]، يُعتقد أن أول ظهور لهم كان مع بداية الألف الثانية قبل الميلاد[٦]، غير أن أول ذكر حقيقي لهم كان في رسائل العمارنة (الرسالة رقم ٣٨)، إذْ نجد ملك ألاشيا

---

[١] G.A.WAINWRIGHT, Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٦, ١٩٦٠, P.٢٦.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ٢٠٠.

[٣] G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, P.٧٣.

وبالنسبة للنص انظر: PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٨٢.

[٤] G.A.WAINWRIGHT, Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٦, ١٩٦٠, P.٢٦.

[٥] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٠٧.

[٦] اعتمد هذا الرأي على أساس وجود تسجيل هيروغليفي عُثر عليه في بيبلوس (جبيل) يشير إلى عدد من الشعوب، لكن هذا النقش لم يأخذ حقه في المناقشة إلى حد الآن، انظر: R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٢.

ينفي أن يكون حليفاً لهم، ويوجه كلامه للفرعون – أمنحوتب الرابع (أخناتون ١٣٦٧-١٣٥٠ ق.م)- قائلاً : " **هل أخي لا يعلم بأن شعب اللوكا يستولي سنوياً على مدينة صغيرة من بلادي؟**"[١].

أما في عهد رعمسيس الثاني فنجد " لوكا " بين حلفاء الحثيين، إذْ ذُكروا بصفة خاصة مع قرقش "أرض قرقش ولوكا"، وآخر إشارة لـ " لوكا " كانت في عهد مرنبتاح، حيث كانوا بين خمسة من شعوب البحر الذين اتحدوا مع أمير ليبو ضد مصر، وأما في عهد رعمسيس الثالث فلم يظهروا ولم توجد إشارة إليهم[٢].

وفي إحدى المعاهدات الحثية التي عقدها " مواتالي " مع " آلاك شاندوش ALAKSHANDUSH " ملك " ويلوسا WILUSA " نجد لوكا وُضعت بجوار " قرقيشا "و" ماشا " ضمن حلفاء ويلوسا.

والحوليات الحثية تذكر بأن أراضي " لوكا " كانت دائماً منطقة اضطرابات وقلائل في غرب الأناضول[٣].

وقد تم توحيد " لوكا " مع " الليسيين LYCIANS "، وأول من اقترح هذا التوحيد هو " دي روجيه " عام ١٨٦١م[٤]. ثم أصبحت الفكرة مقبولة الآن عموماً، ومن الواضح أن لوكا بالنسبة للحثيين كانت تدل على منطقة جغرافية وليس جنس معين[٥].

وقد اختلف العلماء حول موقع هذه البلاد في آسيا الصغرى، وطرحت ثلاث افتراضات: فبلاد لوكا، إما تقع في الشمال الغربي أو في المنطقة الداخلية في " ليكاونيا " أو في الجنوب الغربي على ساحل كاريا، ويبدو أن الرأي الأخير هو الأرجح، إذْ يأخذ به أغلب العلماء[٦]، ومنهم " وينرايت "، الذي يرى أن بلاد لوكا تمتد عبر وسط كاريا، وتخميناً في شمال ليسيا، إضافة إلى ذلك فنهاية أسماء مرافقيهم بـ " شا " يمكن أن يجعلهم جيران الكاريين أفضل ربما من بلاد طروادة[٧]. أما " جاردنر " فيذكر أن " سيدني سميث" يكتب أن أرض لوكا مجاورة لـ ميلاوند (ربما ميليس) إحدى بلاد أرزاوا على الشاطئ الجنوبي لآسيا

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٠٧.
[٢] A.H.GARDINER, OP.CIT, P. ١٢٨.
[٣] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦١.
[٤] TADEUSZ SMOLENSKI, OP. CIT, P.٥٥.
[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٢.
[٦] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ٣٧.
[٧] G.A.WAINWRIGHT, Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٦, ١٩٦٠, P.٧٢

الصغرى، وتبدو لوكا مستقلة، وربما كانت تملك ساحل ليسيا الإغريقي لأنه مكان مناسب لغارات القراصنة[١]. ولكن رغم ذلك فهناك رأي آخر لـ " بريسي "– كما يذكر ساندارز– يرى بأن أرض اللوكا يمكن أن تكون كاريا وليكاونيا[٢]. أما بارنت فيرى أن وجود " لو LU " كبداية للعديد من أسماء شعوب الأناضول (الليسيين ، الليديين، الليكاونيين، اللولاهي، اللويين) يفترض ربما الأصل المشترك لهذه الشعوب، وأن قبيلة من " ليكاون الداخلية " كانت تعيش حتى في فريجيا PHRYGIA الوسطى قرب أنطاكية الواقعة في بيسيديا في العهود الرومانية[٣]، ولكن هذا الرأي لا يمكن الأخذ به، لأن اللوكا اشتهروا كقراصنة، ولذلك فمن المستحيل أن تكون بلادهم في المناطق الداخلية.

وكل ما نستطيع الأخذ به وتأييده هو أن شعب اللوكا هم بدون شك " الليسيين LYCIANS " الذين كانوا يعيشون في منطقة الساحل الجنوبي الغربي من الأناضول في " كاريا، وليسيا" ويسيطرون على البحر الذي أخذ اسمهم " MARE LYCIUM "[٤].

٨– الشردان

" شردان SHERDEN " أو " شاردانا SHARDANA "، هم أحد أقوام البحر المشهورون في بداية ظهورهم كغزاة، ثم ما لبثوا أن أصبحوا مرتزقة في الجيش المصري، ويعود أول ظهور لهم في النصوص المصرية إلى بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وعلى وجه التحديد في عهد أمنحوتب الرابع (أخناتون)، إذ جاء ذكرهم في خطابات العمارنة (١٢٢، ١٢٣)، وقد كانوا يشكلون جزءاً من حامية مصرية في "جبيل"، وربما مرتزقة في خدمة ملك هذه المدينة " ريب عبدي RIB-ABDI "[٥].

أما في عهد رعمسيس الثاني فيبدو أن الشردان هاجموا الدلتا، فهناك لوحة من تانيس تتحدث عن قدوم الشردان في مراكب الحرب في وسط البحر، وليس هناك " من يستطيع أن يقف أمامهم"[٦]، وتضيف لوحة من أسوان تعود إلى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون (رعمسيس الثاني) وتقول: " **رعمسيس الثاني دمر محاربي الأخضر العظيم، وبذلك أمضى الوجه البحري الليل نائماً في سلام** "[٧].

---

[١] A.H.GARDINER, OP.CIT, P. ١٢٨.
[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ٢٠٩.
[٣] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦١, ٣٦٢.
[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ٣٧.
[٥] TADEUSZ SMOLENSKI, OP. CIT, P.٥٥
[٦] PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٧١.
[٧] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag, ٢٧٩.

وابتداءً من هذه الفترة أصبح الشردان يشكلون فرقاً عسكرية في الجيش المصري، وهذا ما يفسر ظهورهم في صفوف الجيش المصري في معركة قادش عام ١٢٨٥ ق.م، وفي ملحمة بنتاؤور في السطر الثامن نجد رعمسيس الثاني يتحدث عن " **أن جلالته قد جهز مشاته وعجلاته والشردان أسرى جلالته الذين أحضرهم بانتصار ذراعه القوية** "[١].

فتخصيص هؤلاء القوم بالذكر في الجيش المصري دليلٌ على الدور المهم الذي قاموا به في صفوف الجيش المصري، وفي عهد مرنبتاح نرى نقش الكرنك يصف لنا كيف حرَّض أمير ليبو أقوام البحر" إقواش، تيرش، لوكا، شردن، شيكلش " ضد مصر، وقد وُصف الشردان والشيكلش وإقواش أنهم " ممالك البحر الأجنبية "[٢].

أما في عهد رعمسيس الثالث فقد شارك الشردان في القتال، ربما مع كلا الطرفين سواء في صفوف الجيش المصري أو ضده، ورغم أن النصوص التاريخية لمدينة هابو لم تذكرهم، إلا أنَّ صورهم ظهرت على رسومات جدران المعبد، وفي مناظر المعركة البحرية تبدو سفينتان على الأقل من السفن الخمسة التي في حوزة شعوب البحر، تحمل مقاتلين يلبسون نفس الخوذة ذات القرون التي يلبسها الشردان، لكن بدون الشوكة البارزة التي تنتهي بقرص أو كرة[٣].

والحقيقة أن الشردان في عهد رعمسيس الثالث أصبحوا يتمتعون بمكانة رفيعة، ربما بسبب أعدادهم الكبيرة، وتدلنا على ذلك فقرات عدة من بردية هاربس منها ذلك الخطاب الذي يوجهه الملك في القسم التاريخي منها، إذْ نقرأ: " **قال الملك أوسر ماعت رع مر آمون " رعمسيس الثالث الإله العظيم، للأمراء وقواد البلاد والمشاة والفرسان وجنود الشردانا، والرماة العديدين، وكل موظفي أرض مصر**"[٤]، كما وجد في هذه البردية نص يذكر أن رعمسيس الثالث " **نظم مصر طوائف عدة تشمل سقاة القصر والأمراء العظام ومشاة عدة، وفرسانا يعدون بمئات الألوف، والشردان وقهق الذين لا يحصون وتابعين يعدون**

وأيضاً: A.H.GARDINER, OP.CIT, P. ١٢٨.

[١] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag, ٣٠٧.

انظر أيضاً: H.GOEDICKE, Journal of Egyptian Archaeology, ٥٢, ١٩٦٦, P.٧٢, ٧٩.

[٢] A.H.GARDINER, OP.CIT, P. ١٩٦.

[٣] PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٨٠.

[٤] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, IV, Parag, ٣٩٧, P.١٩٨.

بعشرات الألوف وعبيد سخرة لمصر "[1]، وهكذا كان الشردان يتمتعون بمكانة رفيعة في عهد رعمسيس الثالث، بل يكاد يعدّهم طائفة معينة من رعاياه.

وفي بردية من أواخر عهد رعمسيس الثالث نجد الشردان وقهق قد استقروا في المدن التي خصصها لهم وأقام بعضهم في حصون أو قلاع، كما أقام آخرون وسط المزارع التي سمح لهم بها دون خوف لأن قلوبهم كانت واثقة من حمايته، وفي النص نقرأ: " **كان الشردان والقهق في مدنهم مضطجعين على ظهورهم ولا يخامرهم خوف، لأنه لم يكن هناك عدو من كوش أو مناهض من سورية، وقد استقرت أسلحتهم في مخازنها، في حين أنهم كانوا راضين وسكارى في ابتهاج وكانت زوجاتهم معهم وأولادهم بجانبهم، ولم ينظروا خلفهم خوفاً، وكانت قلوبهم واثقة لأنني كنت معهم بمثابة درع وحماية لأعضائهم**"[2].

وهكذا استقر الشردان في مصر واطمأنوا على أنفسهم وابتسمت لهم الحياة فيها، وقد أعطيت لهم أرض لزراعتها، ويبدو أن هذه الأراضي كانت قد أعطيت لهم كمكافأة عن خدماتهم الحربية.[3]

أما بالنسبة للموطن الأصلي للشردان فإن النصوص المصرية لم تقدم لنا فكرة عنه، لكن المؤرخين وعلماء المصريات حاولوا معرفة أصلهم من خلال لباسهم وأسلحتهم، حتى من خلال اسمهم الذي ربط بـ " سردينيا "، وفي واقع الأمر فإن شخصية هؤلاء القوم عرفناها من منظر على جدران معبد مدينة هابو، إذْ نجد رسم مجموعة أمراء أجانب، ويتبع رسم كل أمير رواية هيروغليفية تفسر شخصيته، وقد وصف الأمير الشرداني أنه " شرداني البحر "، ويتميز هذا الأمير عن كل الأمراء الآخرين بالخوذة التي يلبسها، والمثبت فيها قرون، وشوكة بارزة تنتهي بقرص وكرة[4]. ويعتقد ساندارز أنه من المحتمل أن يكون هذا القرص أو الكرة علامة أو إشارة السلطة، ثم يضيف أن شكل هذه الخوذة لا علاقة له بأشكال الخوذات التي كانت موجودة في منطقة بحر إيجه وأوربا، لكنها كانت معروفة في الشرق وبلاد الرافدين، ففي كل هذه المناطق كانت قرون الثور تثبت على التاج أو الخوذة، وهي تدل على علامة الألوهية، وكلما كان الإله كبيراً كانت القرون كبيرة، وقد صور الملك الأكادي نرام سين (٢٢٩١-٢٢٥٥ ق.م) وعلى رأسه

---

[1] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, IV, Parag, ٤٠٢, p.٢٠٠.
[2] Ibid, Parag, ٤١٠, p.٢٠١.
[3] PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٨١.
[4] A.H.GARDINER, OP.CIT, P. ١٩٦, ١٩٧.

خوذة فيها قرنين من قرون الثور، وهذه الخوذة الخاصة تشبه إلى حد كبير الخوذة التي لبسها الأمير الشرداني على جدار معبد مدينة هابو[١].

والحقيقة أن هذا النوع من الخوذات كان قديماً جداً، وإن كانت من غير قرون، ومن المعدن، فقد وُجدت في مدافن أور[٢] التي تعود إلى منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، كما ارتدى الشردان تنورة قصيرة مميزة أيضاً، وكل من الخوذة والتنورة ظهرتا في لوحة لإله من المحتمل أن يكون "بعل BAAL " تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وُجدت في مدينة أوغاريت.[٣] كما تميّز الأمير الشرداني بأنف معقوف ولحية طويلة، ويوضع قرط كبير في أذنيه، وهذا القرط خُصَّ به الأمراء فقط، أما الجنود العاديون سواء من الشردان الذين كانوا مع شعوب البحر المُهاجمة لمصر أو الذين كانوا في صفوف الجيش المصري فقد كان معظمهم حليقاً، وكانت الخوذة التي يلبسونها خالية من الشوكة والقرص المثبت فيها كما كانت تحتوي على طوق يمر تحت الذقن[٤].

أما أسلحتهم فكان من بينها السيوف الطويلة العريضة ذات الحدين ومقابض مثلثة الشكل، وقد وُجد نموذج واحد فقط من طراز هذه السيوف عُثر عليه في " بيت داجون BEIT DAGAN " قرب مدينة يافا بفلسطين سنة ١٩١١م، وهو موجود حالياً في المتحف البريطاني[٥]، وقد اعتقد بعض الباحثين ومنهم "هول" و " سيدني سميث " كما يذكر " جاردنر " أن هذا النوع من السيوف الطويلة العريضة كانت في الأصل من القوقاز، وقد عُثر هناك على سيوف تشبهها.[٦] غير أن " ساندراز " يرى أن هذا النوع من السيوف لم يكن غريباً عن بلاد الشرق، إنما هو في الواقع تطور لخنجر كان معروفاً في بلاد الشرق الأدنى منذ العصر البرونزي الأوسط، ولذلك فإن ارتباط هذا النوع من السيوف مع تاريخ الشردان يعد مجرد صدفة[٧].

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٠٦, ١٠٧.

[٢] أور مدينة في بلاد الرافدين بالقرب من المصب القديم لنهر الفرات، وهي من المدن السابقة للوجود السومري في المنطقة، ودخلت في عداد المدن السومرية في عهد الملك لوجال زاجيزي في الألف الثالث قبل الميلاد. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص ١٤٧،١٥٠.

[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٠٧.

[٤] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٩٧.

[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨.

[٦] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٩٩.

[٧] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٠٦, ١٠٨.

كما حمل الشردان الدروع المستديرة، غير أن سلاحهم الرئيسي كان الحربة، ولم يستعملوا القوس إطلاقاً.[١]

أما بالنسبة للموطن الأصلي للشردان فقد تم التدليل عليه– كما سبق أن أشرنا– من خلال الملبس والتسليح، حتى من اسمهم الذي اقترن بجزيرة سردينيا، وأول من اقترح هذا التوحيد هو شاباس CHABAS ثم تبعه " دي روجيه " والعديد من الباحثين[٢].

والحقيقة أن هناك فكرتين متعارضتين حول أصل شعوب البحر، خاصة الشعوب التي ظهرت في عهد مرنبتاح وهاجمت مصر من جهة الغرب، والفكرة الأولى يتزعمها " ماسبيرو " الذي يرى أن جميع شعوب البحر كانت تقطن آسيا الصغرى ومنهم الشردان الذين ارتبطوا حسب رأيه بمدينة " سارادس SARDES " الواقعة في ليديا[٣]، غير أن هذه النظرية تلقى اعتراضات كما يذكر " جاردنر " منها أن "وينرايت" ذكر أن تورشا فقط من بين القبائل الثلاثة (تورشا، شيكلش، وشردان) هم الذين كانوا معروفين للعالم الحثي، وبالتالي فإن النتيجة الطبيعية لذلك هي أن شيكلش، وشردان كانا يقعان خارجه (أي العالم الحثي)[٤].

أما الفكرة الثانية فيقدمها " دي روجيه " الذي يرى بأن شعوب البحر قدمت إلى شرقي البحر المتوسط ومصر من الجزر الغربية للبحر المتوسط والسواحل الإيطالية[٥].

وعموماً فقد ارتبط اسم الشردان بسردينيا التي أعطوها اسمهم، كما نعلم ذلك من خلال تسجيل فينيقي عُثر عليه في مدينة " نورا NORA "، يعود ربما إلى القرن التاسع قبل الميلاد[٦]، ولذلك فإن طبيعة وتاريخ هذا الارتباط يثير مشكلة وهي : هل كانت هذه الطائفة من الناس التي ذكرها المصريون تحت اسم شردانا قد استقرت في سردينيا في ذلك الوقت، أم أنهم استقروا بها بعد هزيمتهم على أيدي المصريين، وبذلك فهي الوطن المتأخر لهم؟ وهذا ما يأخذ به أغلب الباحثين.

والحقيقة أن هناك قرائن أثرية تثبت ارتباط الشردان مع سردينيا، فقد عثر في هذه الجزيرة على تماثيل برونزية صغيرة، عليها صور لمحاربين مسلحين بدروع مستديرة، ويلبسون خوذات ذات قرون تشبه التي

---

[١] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٩٧.
[٢] TADEUSZ SMOLENSKI, OP. CIT, P.٧٧, ٨٤.
[٣] TADEUSZ SMOLENSKI, OP. CIT, P.٨٧, ٩٢.
انظر أيضاً: M.GEORGES DARESSY, OP. CIT, P.٦١.
[٤] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٩٨.
[٥] Ibid, P.١٩٧.
[٦] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٩.

يضعها الشردان على رؤوسهم، لكن دون الشوكة التي تنتهي بقرص، غير أن هذه التماثيل تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد وليس قبل ذلك[١].

ولم يكتف الباحثون بهذا الاقتراح، فالدكتور" R.GROSJEAN " افترض ربط الشردان بجزيرة كورسيكا أيضاً، ودليله على ذلك أن القبور الحجرية تظهر محاربين يرتدون خوذات ذات قرون، ويحملون أسورة وخناجر، وكانت هذه القرون توضع داخل حفرة في الحجر[٢]، وحتى داخل إيطاليا في منطقة "شيويزي CHIUSI " عثر على كأس من فضة رُسمت عليها بعض الخوذات التي تشبه خوذات الشردان[٣].

والحقيقة أن الموطن الأصلي للشردان لم يستطع الباحثون تحديده بالضبط، وكل ما طُرح عبارة عن تخمينات، ومنها ذلك الرأي الذي اقترحه العديد من الباحثين ومنهم " جاردنر "، الذي يعد منطقة القوقاز هي الموطن الأصلي للشردان[٤]، غير أن الرأي الأرجح في نظري هو رأي "ساندارز " الذي يعتقد أن الموطن الأصلي للشردان كان على ساحل أسيا الصغرى شمال سورية وأنهم بعد هجومهم على مصر في عهد رعمسيس الثالث وانهزامهم ارتدوا ليستقروا بعض الوقت في قبرص، ويفترض أنهم قدموا إلى قبرص مع لاجئين من أوغاريت، ومن قبرص انتقلوا إلى سردينيا ليستقروا فيها نهائياً[٥]، وهذا ما يعتقده " بارنت " أيضاً[٦]. ويستمر " ساندارز " في اعتقاده أن نزول الشردان إلى سردينيا تم ربما على مراحل. أما الدليل على قدومهم من قبرص فهو وجود قوالب " جلد الثور " وقوالب النحاس في سردينيا التي تشبه إلى حد كبير تلك التي كانت موجودة في قبرص، ومن المؤكد أن هذه القوالب قد جلبت إلى هذه الجزيرة بواسطة الشردان[٧].

---

[١] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨.
[٢] PIERRE ANTONETTI, OP. CIT, P.٥٦.
انظر أيضاً: R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٩.
[٣] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٩٧.
انظر أيضاً PAUL MERTEENS, OP. CIT, P.٨١.
[٤] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٩٩.
[٥] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٩٩.
[٦] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٨٦.
[٧] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٩٩.

ثانياً: قضية التعبير المصري القديم (الجزر التي في وسط الأخضر العظيم) وعلاقته بشعوب البحر:

لقد أطلق قدماء المصريين على شعوب البحر تسميات متشابهة منها " أجانب الشمال الذين في جزرهم"، أو " الأجانب الذين قدموا من بلدانهم ومن جزر وسط الأخضر العظيم "، أو ببساطة " الذين من بلدان البحر"، أو " من البحر"، ومن الواضح أن المؤرخين وعلماء المصريات قد استوحوا من هذه التعبيرات المصرية التسمية الحديثة التي أطلقوها على هذه الشعوب وهي" شعوب البحر "[١]، وتذكر" ألسندرا نيبي " أن الفضل في ذلك يعود إلى مقال كتبه " ماسبيرو " سنة ١٨٨١م استخدم فيه لأول مرة مصطلح " شعوب البحر " PEUPLES DE LA MER [٢].

هذه التعبيرات المتقاربة المعنى، كثيراً ما تصادف الباحثين في النصوص والسجلات المصرية، خصوصاً في نقوش معبد الكرنك من عهد مرنبتاح (١٢٢٤-١٢١٤ ق.م)[٣]، وفي نقوش معبد هابو المتعلقة بهجوم شعوب البحر في عهد رعمسيس الثالث (١١٩٤- ١١٦٢ ق.م)، وقد أثارت هذه النصوص صعوبات كبيرة لمترجميها، لدرجة أن " كيتشن " في طبعته كان يأمل بوجوب إعادة النظر والبحث مرة أخرى في هذه النصوص بطريقة جذرية ودون تصور سابق، حتى الباحثين الكبار الذين يرجع لهم الفضل في نقل وترجمة هذه النصوص، وخصوصاً نصوص معبد مدينة هابو، مثل" أدجرتون" و" ويلسون "، إذ يؤكدان بتواضع أن هذا العمل ليس إلا " محاولة لتقريب معنى السجلات "[٤].

ومهما كان الأمر، فإن دراسة موضوع " شعوب البحر " تعد بالغة الأهمية، ليس بالنسبة لعلماء المصريات فقط، إنما بالنسبة لعلماء الآثار والمؤرخين المهتمين بالحضارة الإيجية، ومنطقة شرق البحر المتوسط بصفة عامة، إذ كانت حركة هذه الشعوب واسعة شملت مساحات شاسعة من منطقة بحر إيجه وآسيا الصغرى وسورية وفلسطين حتى مصر[٥].

---

[١] R. DEVAUX.O. P, La Phenicie et Les Peuples de la Mer, Melanges de L universite Saint-Joseph, Beyrut (Liban), ١٩٦٩, p.٤٨١.

[٢] ALESSANDRA NIBBI, The Sea peoplos, Oxford, ١٩٧٢, P.١١.

[٣] هذه التواريخ من ساندارز:

N.K.SANDARS, The Sea Peoples Warriors Of the Ancient Mediterranean ١٢٥٠-١١٥٠ B.C. Thames and Hudson, London ١٩٧٨.

[٤] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.١١.

[٥] DANIAL ARNAUD, Le Proche Orient Ancien de L, Invention de L, ecriture L,hellesation. Collection etudes Super leureg Bordaa Tance, ١٩٧٠, P. ١٤٥

وليس هناك شك في أننا بأمسِّ الحاجة إلى معرفة أكثر حول هذه الشعوب المهاجرة، التي هاجمت شرقي البحر المتوسط ومصر في القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد، وعلاقتها بتلك التغيرات والتحولات والاضطرابات التي مسَّت كامل هذه المناطق، المرتبطة أساساً بنهاية عصر البرونز وظهور الحديد[١].

والحقيقة أن البحث في هذا الموضوع يفتح المجال للعديد من التساؤلات المختلفة حول أصل هذه الشعوب، وموطنها، وأسباب تحركاتها، ثم أماكن استقرارها بعد انهزامها، وليس هذا فحسب، بل إن الأمر يتعلق حتى بهذه التسمية " شعوب البحر "، فهل حقاً أن كل هذه الشعوب التي ذكرتها النصوص والنقوش المصرية والحثية هي شعوب بحرية قادمة من البحر أم أن بينها شعوباً من مناطق داخلية بعيدة ولو نسبياً عن البحر؟.

وبطبيعة الحال فالإجابة عن هذه التساؤلات تتطلب الرجوع إلى المصادر المصرية والحثية، بل تتطلب أيضاً العودة إلى الروايات والأساطير الإغريقية القديمة، ومحاولة مقارنة ما جاء فيها من أسماء الشعوب المشابهة لأسماء شعوب البحر، ولو كان ذلك من الناحية اللغوية[٢].

والحقيقة أن هناك عدة مصاعب فيما نجده في هذه المصادر، فالنصوص المصرية هي في الغالب عبارة عن روايات أو سرد لوقائع تلك الهجمات التي تعرضت لها مصر، ورغم أن هذه الشعوب قد ذُكرت بالاسم، إلا أن هناك مشكلة في صعوبة التعرف على الأسماء الأجنبية؛ بسبب النظام الصوتي للغة المصرية القديمة، كما أدى تشابه هذه الأسماء، خصوصاً أسماء الأعداء منهم إلى جدل كبير، وتخمينات تكون أحياناً لا أساس لها من الصحة، ، ولا يمكن ترجمة أو تفسير كلمات معينة بمعزل عن محتوى النص، وبعض النصوص المصرية تالفة، إذ غالباً ما نجد سطراً أو سطرين ضائعين أو تالفين، كما أن الترجمات الأولى لهذه النصوص في بداية ظهور علم المصريات غير دقيقة أحياناً[٣].

ومن هنا، يتضح جلياً من الوثائق المصرية، خاصة نصوص معبد مدينة هابو لرعمسيس الثالث، ونصوص معبد الكرنك من عهد مرنبتاح، أن قدماء المصريين عرفوا مكان قدوم هذه الشعوب، الذي يقع

---

[١] JEAN DESHAYES, Les Civilisat ions de l, orient Ancian, Collection des Grandes Civilisat ions dirigee par Raymond, Bloch Arihad, Paris, ١٩٦٩, P.١٠٧.

[٢] G.A.WAINWRIGHT, Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٢٥, ١٩٦٠, P.١٤٨,١٥٣.

[٣] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.١,٢.

في نظرهم في أقصى الشمال من العالم، وأن هذا المكان مليء بالجزر، لذلك أطلقوا عليهم كما قلنا من قبل " الشماليون الذين في جزرهم "، وفي نقوش الكرنك من عهد مرنبتاح قيل عن هذه الشعوب بعد ذكرها " الشماليون القادمون من كل البلاد[١].

والواقع: إن هناك مشكلة مهمة تستحق المناقشة والتحليل، تتمثل في ارتباط هذه الشعوب بالتعبير المصري " الأخضر العظيم "، والجزر التي في وسط الأخضر العظيم "، فما مدلول هذا التعبير بالضبط؟ وما علاقته بشعوب البحر؟.

إن نصوص مدينة هابو والكرنك حين تصف شعوب البحر تذكر كل شعب من هذه الشعوب بالاسم، ولا تطلق عليهم تسمية معينة أو شاملة لهم جميعاً[٢]. ويبدو أن إطلاق تسمية " شعوب البحر " على هذه القبائل كان نتيجةً للنصوص المصرية، التي تذكر هذه الشعوب أحياناً مرتبطة مع الكلمتين " الأخضر العظيم " و " اليم "، اللتين تقصدان البحر بشكل عام– كما سنرى فيما بعد–، فكثيراً ما نجد في لوحة أتريب[٣] ونصوص الكرنك وبردية هاريس[٤] التعبير المصري Ym يُذكر بعد العديد من هذه الشعوب، فيقال

---

[١] R.D. BARNETT, OP. CIT, P.٣٥٩.

[٢] J. VERCOUTIER, Les Haou-Nebout, Bulletin de L'institut Français d'Archéologie Orientale du Caire. ٤٨, ١٩٤٩, P١٧١.

[٣] **لوحة أتريب:** وجدت هذه اللوحة في الدلتا الوسطى من قبل " ماسبيرو " الذي نشر محتوياتها سنة ١٨٨٣م، وحسب وصف " ماسبيرو " فإنها عبارة عن قطعة من الجرانيت يبلغ طولها ٢ متراً، وقد كانت مكسورة من الأسفل وعلى الأجناب، ويؤكد " ماسبيرو " بأنه قدم وصفاً دقيقاً لها عندما كانت تنقل إلى متحف القاهرة، ومع الأسف فقد تحطمت هذه اللوحة أثناء ثورة عرابي، ومهما يكن فإن لوحة أتريب تتضمن قصة الحملة الليبية وتعتبر تتمة لنص الكرنك الكبير، وقدمت لنا التاريخ الصحيح لانتصار مرنبتاح وقائمة بالموتى والأسرى والغنائم. انظر: حسن، سليم، مصر القديمة (عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية)، الجزء السابع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص ٣٢٢، ٣٢٤.

[٤] **بردية هاريس:** محفوظة الآن بالمتحف البريطاني، وهي من أروع محفوظات الدولة المصرية وأكبر الوثائق حجماً إذ يبلغ طولها ١٣٣ قدماً، وتضم ١١٧ مقطعاً من الكتابة الهيروغليفية، ونجد في كل مقطع بين ١٢ و١٣ سطراً، عثر عليها عام ١٨٥٥م في مكان بالقرب من معبد الدير البحري، وقد وصلت إلى أحد تجار الآثار واشتراها منه في نفس العام السيد "هاريس" الإنكليزي الأصل والذي أهداها بدوره إلى المتحف البريطاني، وهكذا كانت أول مذكرة تصلنا عن هذه البردية في عام ١٨٥٨م، ويبدو أن بردية هاريس كانت في الأصل واحدة من وثائق المعبد الكبير في مدينة هابو، ولكن يبدو أن السرقات التي حدثت في مقابر الملوك في أخريات عهد الرعامسة هي التي ذهبت بها إلى حيث وجدها مكتشفوها. ويجمع العلماء في الوقت الحالي على أن هذه البردية قد كتبت في عهد رعمسيس الرابع ابن رعمسيس الثالث وخليفته في الحكم، وتحتوي هذه البردية على مقدمة تلخص النعم التي أضفاها رعمسيس الثالث على مختلف المعبودات في الأرض كلها، ثم يصف بعد ذلك في رواية طويلة بأسلوب بليغ مليء بالزهو كل المنشآت ومعدات المعبد والأراضي والسفن وغيرها مما منحه

ببساطة شردان البحر، تيرش البحر، أقواش البحر ...إلخ[١]. ولكن هناك من يرى أن هذا الربط مع مصطلح " الأخضر العظيم " قد ساهم في خلق صعوبات كبيرة في سبيل تحديد أصل وهوية هذه الشعوب (أي شعوب البحر)، وأنه أدى إلى تشويه الحقائق على اعتبار أن هذه الكلمة لا تقصد البحر[٢].

ومما لا شك فيه أن كلمة الأخضر العظيم، كانت في الأساس كلمة جغرافية، ولكن المعروف في اللغة المصرية القديمة أن بعض الكلمات الجغرافية لا تحتفظ بنفس المعنى، وغالباً ما يتغير مدلولها بمرور الوقت، وهذا ما حدث لكلمة " الأخضر العظيم " التي يُجمع أغلب المهتمين بعلم المصريات على أنها كانت تقصد البحر بشكل عام في بداية الأمر. ولكن في نصوص الدولة القديمة والوسطى كانت تقصد البحر الأحمر، ثم أصبحت في نصوص الدولة الحديثة تدل على البحر المتوسط[٣]. ولكن هناك من لم يقبل إطلاقاً هذا التفسير وعارضه بشدة، ومنهم " ألسندرا نيبي " التي تذهب إلى حد القول إن الباحثين من أجل فهم وشرح أصل هذه الشعوب لجؤوا إلى قبول فكرة أن التعبير المصري " الأخضر العظيم " يعني البحر المتوسط، وأن الجزر التي في وسط الأخضر العظيم هي جزر في البحر المتوسط، ثم تؤكد أن تفسير كلمة " الأخضر العظيم" تعني البحر، وبالضبط البحر المتوسط كان نتيجة قبولها كمعادل " لليم العظيم " التي ذكرت في اللغة العبرية، التي تقصد بدورها البحر المتوسط وهذا كله – حسب رأيها– ربما كان نتيجة الترجمة الخاطئة للنصوص الخاصة بشعوب البحر، التي ألزمتهم على أنهم قدموا من البحر[٤].

وترى " نيبي " أن كلمة الأخضر العظيم تقصد المياه، ولكن لا تقصد البحر بالضرورة، وأنه لا يوجد أي شيء في النصوص المصرية يبرر ترجمة هذه الكلمة وتفسيرها بأنها تعني البحر، وليس هناك مثال يمكن أن نجده في النصوص المصرية يكون فيه مصطلح " الأخضر العظيم " يعني البحر بطريقة لا تقبل المناقشة، وهناك العديد من الأمثلة من الفترة المتأخرة كان فيها " الأخضر العظيم " يشير إلى امتدادات داخلية لمياه النيل، بل إن أحد الأمثلة يشير حرفياً إلى " بحيرة الأخضر العظيم "[٥].

للمدينة، أما جزأها الأخير وهو الجزء التاريخي فنجد فيه استعراضاً للانتصارات التي حققها رعمسيس الثالث على أعدائه ومن ضمنهم شعوب البحر. انظر: حسن، سليم، مصر القديمة، ص ٣٣٧، ٣٣٩.

[١] PAUL MERTENS, OP. CIT, P.٦٨.

[٢] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.١١.

[٣] J. VERCOUTIER, Les Haou Nebout, Bulletin de L'institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, Vol ٤٦, ١٩٤٧, P١٣٦.

[٤] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٢,١٣.

[٥] Ibid, P.١٣.

وقد ناقشت " نيبي " بطريقة مفصلة مدلول مصطلح " الأخضر العظيم "، وقدمت لنا العديد من الأمثلة في النصوص المصرية سواء من الدولة القديمة والوسطى أو في نصوص الدولة الحديثة، ومن الفترة المتأخرة من التاريخ المصري القديم، لتؤكد في نهاية المطاف أن كلمة " الأخضر العظيم " تُستخدم كاسم لمنطقة محددة أو مساحة معينة، وأنها أحياناً تكون مرتبطة مع الدلتا، كما تُذكر في العديد من المرات مع تعبيرات مثل " أفواه النهر " و " البلاد الأجنبية " و " الآسيويين "، وأحياناً تكون مرتبطة مع التلال التي تظهر في وسط المياه.

أما في موقع آخر فقد كانت الكلمة تشير إلى تقسيم إداري مصري، أو إلى إقليم، إذ نجد في نص من الأسرة الثامنة عشرة في إحدى الغرف الجنوبية للفناء العلوي في قبر الملكة حتشبسوت (١٤٩٠– ١٤٦٨ ق.م) من الدير البحري قائمة لأقاليم مصر السفلى، كإقليم " منديس "و"هبليوبوليس" و"سايس"، وأقاليم أخرى، ثم نجد فجأة تعبير " جزر الأخضر العظيم" التي تبدو في محتوى النص أنها لا تقصد البحار، إنما أقاليم أو تقسيمات إدارية مصرية[١].

أما بالنسبة لكلمة " إي– يو iw " فقد استخدمت لتدل على الجزيرة سواء البحرية أو النهرية، ويجب أن نؤكد أنها لا تدل فقط على معنى الجزيرة التي يحيطها الماء تماماً، وإنما يمكن أن تقصد أيضاً الأرض الواقعة على ساحل البحر أو النهر، وبالتالي فإن الكلمة يمكن أن تدل على الجزر الحقيقية أو على مناطق ساحلية، أو على الاثنتين في نفس الوقت[٢]. لكن حتى لو قبلنا أن كلمة الأخضر العظيم تعني البحر، وأن كلمة " إي– يو iw " تعني الجزيرة الحقيقية أو مناطق ساحلية، فإن مشكلة مدلول هذا التعبير " الجزر التي في وسط الأخضر العظيم " تبقى مطروحة.

فما هو البحر المقصود ؟ وما هي الجزر المقصودة ؟ هل يُقصد جزر بحر إيجه، أم جزر البحر المتوسط وسواحلها؟ الواضح من النصوص المصرية أن هذه البحار الشمالية كانت في نظر المصريين مليئة بالجزر، وأن هذه الشعوب التي تسمى " شعوب البحر " قدمت عبر البحار، ومن هذه الجزر أو من المناطق الساحلية لهذه البحار، ويرى " ساندارز " أن المصريين عرفوا بعض الجزر كقبرص وكريت، وربما عرفوا شيئاً ما عن رودوس وكوس Cos[٣]، وإن كان الاحتمال الأكبر أنهم عرفوا هاتين الجزيرتين

---

[١] ALESSANDRA NIBBI , OP. CIT, p.١٣-٢٨.

[٢] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص٩٦.

[٣] كوس جزيرة صغيرة في بحر إيجه. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٦٢٠.

الأخيرتين سمعاً فقط، رغم العثور على الحُلي والمجوهرات المصرية في القبور المسينية فيهما، لكن من المحتمل أن تكون هذه الحُلي قد قدمت من قبرص. ثم يرى– ساندارز– أن الرؤوس البحرية والخلجان على الساحل الأناضولي لا يمكن تميزها عن الجزر، ولهذا فإن بعض " شعوب البحر " لم يطلق عليها تعبير " من البحر " أو "من وسط البحر"، إنما أطلق عليهم " الذين في جزرهم "[١].

وهكذا يتضح من رأي " ساندارز " بأن هذا التعبير بالنسبة له يقصد جزر البحر المتوسط والمناطق الساحلية لآسيا الصغرى. والواقع أن هذا التعبير المصري " الجزر التي في وسط الأخضر العظيم "هو في الأساس تعبير يدل على حقيقة جغرافية، ولكن هذا لا يمنع أن يقصد أيضاً الشعوب التي تسكن هذه المنطقة، على اعتبار أن المصري القديم غالباً ما يمزج في التعبير بين الاسم الجغرافي لمنطقة معينة وسكانها، ولهذا فإن هناك مجالاً لأن يكون وراء هذا التعبير حقيقة سكانية[٢].

ويذكر " جان فركوتيه " أن هناك من يرى أن هذا التعبير غير دقيق، وأنه يقصد منطقة واسعة معروفة بشكل غامض وخارجة إلى حد ما عن منطقة النفوذ المصري[٣].

وعموماً هناك تفسيرات مختلفة حول مدلول هذا التعبير، إذ يرى " جوتيه " أنه يقصد بحر إيجه وجزره[٤]، وكذلك " وينرايت "[٥]، ونفس الشيء بالنسبة لـ " كلير لا لوات "[٦] و" فركوتيه" الذي يرى أن هذا التعبير منذ أن عُرفت الحضارة المينوية كان يدل على الأرخبيل اليوناني، ثم يذكر أنه يميل إلى تفسيره حرفياً، ويجعل من الجزر الأرخبيل اليوناني بمجموعه.

لكن هذا التفسير الحرفي يواجهه اعترضان : فمن ناحية كريت (كفتيو) وقبرص (إيزي) لا يتضمنهما التعبير، ومن ناحية أخرى كلمة " أيو " لا تدل فقط على معنى الجزيرة – كما شرحنا من قبل –، وفي النهاية يؤكد " فركوتيه " أن تعبير " الجزر التي في وسط الأخضر العظيم" لم يُستخدم في اللغة

---

[١] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٥٩.
[٢] PAUL MERTENS, OP. CIT, P.٧٠.
[٣] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص٩٤.
[٤] H.GAUTHIER, Dictionnaire des Nome geographique, Contenus dans les Textes hieroglyphique. I. Cairo, ١٩٢٥, p.٤١.
[٥] G.A.WAINWRIGHT, The Journal of Hellenic Studies. ٣١, ١٩٣١, P.١,١٥.
[٦] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P.٣١٢.

المصرية إلا ابتداءً من حكم تحوتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ق.م)[١]، وأنه منذ حكم هذا الفرعون كان هذا التعبير يدل بالضبط على جزر البحر المتوسط الشرقي، وأنه إذا كان قد نشأ قبل هذا العصر لم يكن في الإمكان تطبيقه إلا على جزر البحر الأحمر، ومهما يكن فإن سكان هذه الجزر التي في وسط الأخضر العظيم بالنسبة لـ" فركوتيه " هم المسينيون، ولكن في النصوص التي ترجع إلى عصر الرعامسة يدل هذا التعبير بالضبط على الموطن الأصلي لشعوب البحر[٢].

أما " هول " فيرى أن هذا التعبير يقصد الجزر التي تقع غرب البحر المتوسط، وأن سكان هذه الجزر هم شماليون قدموا من جزر الغرب أو الشمال الغربي لمصر[٣]، أما " جاردنر " فيفسر مصطلح " الأخضر العظيم " دائماً بالبحر المتوسط، وأن الشعوب التي قدمت من جزر الأخضر العظيم هي شعوب من البحر المتوسط[٤].

أما " نيبي " فتذكر أن " BRUGSCH " لم يقبل إطلاقاً فكرة أن الشعوب التي هاجمت مصر قدمت من الجزر التي في غرب البحر المتوسط، إنما هذه الجزر في نظره قد تشكلت عن طريق روافد نهر النيل في الدلتا، وعموماً تفسير كلمة " الأخضر العظيم " بأنها تقصد البحر المتوسط، وأن الجزر التي في وسط الأخضر العظيم، هي جزر في البحر المتوسط بدأها " صموئيل بيرش SAMUEL BIRCH " عندما قام بدراسة نص محفوظ اليوم في متحف اللوفر، يعود إلى عهد تحوتمس الثالث، وهذا النص يتعلق بلقب القائد " توت TOTH " أو " توتي TUTHI " الذي يوصف بأنه : " **... الرجل الذي يثق فيه الملك في جميع البلاد الأجنبية، والجزر التي في وسط الأخضر العظيم، هو الذي ملأ المخازن بحجر اللازورد، والفضة والذهب، حارس البلدان الأجنبية قائد الجيش** ..."[٥]، وقد كان يحمل أيضاً لقب " حارس البلدان الشمالية "، ويعترف " بيرش " بأن كلمة " الأخضر العظيم " يمكن أن تقصد بركة أو بحيرة، ولكن وجود

---

[١] بالنسبة لهذا التاريخ هناك مشكلة كبيرة عرفت عند علماء المصريات بمشكلة الوراثة أو تتابع التحامسة، ففي عام١٤٩٠ ق.م عند موت تحوتمس الثاني أعلن ولده تحوتمس الثالث ملكاً على مصر تحت وصاية عمته حتشبسوت التي سرعان ما استأثرت بالحكم وظلت الملكة الحقيقية حتى عام ١٤٦٨ ق.م حيث انفرد تحوتمس الثالث حتى وفاته عام ١٤٣٦ ق.م واعتبر ولايته للعرش إنما تبدأ منذ وفاة أبيه تحوتمس الثالث متجاهلاً فترة حتشبسوت، وبالتالي فإن فترة حكمه إنما كانت بين ١٤٩٠- ١٤٣٦ ق.م، وللمزيد انظر:

مهران، محمد بيومي، مصر – الكتاب الثاني – التاريخ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٨٨، ص١٣-٢١.

[٢] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص٩٤، ١٠٤.

[٣] H.R.HALL, Cambridge Ancient History, II, ١٩٣١, P. ٢٨٦,٢٨٨.

[٤] A.H.GARDINER, OP.CIT, p.١٩٤.

[٥] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٢.

كلمة " الجزر" معها تجعلها تقصد البحر، وبالضبط البحر المتوسط، ثم يؤكد " بيرش " في النهاية أنه: "في عهد تحوتمس الثالث، إذا لم تكن جزر البحر العظيم ضمن ممتلكات مصر فعلاً، فهي على الأقل ترسل نواباً أو سفراء لهذا الملك[١].

ومهما كان الأمر، فإن تعبير " جزر الأخضر العظيم " استخدم في اللغة المصرية القديمة في فترة مبكرة، وليس في عهد تحوتمس الثالث كما يذكر " فركوتيه "، فقد أُشير إليه في قصة " سنوهي " التي تعود إلى عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١- ١٧٨٦ق.م)، إذ نجد " سنوهي " في معرض رده على طلب الفرعون بالعودة إلى مصر، يستهل ويتوسل لعدد من الآلهة منها جميع آلهة مصر وجزر الأخضر العظيم[٢].

وتؤكد " نيبي " من خلال انتقادها لتفسير جزر الأخضر العظيم بجزر البحر المتوسط، أنه من الصعب قبول فكرة أن رجلاً مثل " سنوهي " قضى معظم حياته في المنفى، بعيداً عن مصر يعيش حياة بدوية كفرد من أفراد القبيلة، يمكن أن يعرف آلهة جزر الأخضر العظيم، إذا كانت هذه الجزر في وسط البحر المتوسط، أو في أي منطقة بعيدة، إضافة إلى ذلك فليس من الضروري أن يبتهل " سنوهي " إلى بعض الآلهة الأجنبية، والواقع أن الأسرة الثانية عشرة تبدو على الأقل فترة مبكرة لكي يفترض أن لدى مصر معرفة جيدة بالبحار، ومن هنا يمكن أن نستنتج أن جزر الأخضر العظيم تقع في المنطقة التي عرفها " سنوهي " من تجربته المباشرة، التي كانت ذات معنى بالنسبة له، وهي منطقة من المحتمل أن تكون بين مصر وبلاد " رتنو "[٣]، ومن المنطقي أن تكون هذه الجزر هي جزر الدلتا، وهذا ما أكده " BRUGSCH " كما رأينا من قبل[٤].

لقد ذكرنا من قبل أن تفسير كلمة الأخضر العظيم على أنها تقصد البحر، وبالضبط البحر المتوسط كان نتيجة قبولها كمعادل للكلمة العبرية " اليم الكبير "، التي تُستخدم حالياً في اللغة العربية لتدل على البحر. وهذه الكلمة من الكلمات الأجنبية القليلة التي دخلت على اللغة المصرية القديمة وبدأ استخدامها منذ الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥- ١٣٠٩ ق.م). وقد شرح "جوتيه" هذه الكلمة " اليم " وأكد أنها لم

---

[١] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P. ٣.

[٢] J.D.S.PENDLEBURY, OP.CIT, P. ٨٥.

[٣] بلاد رتنو هو الاسم الذي كان يطلق على فلسطين وسورية في ذلك الوقت، وربما كان المكان الذي استقر فيه سنوهي إلى الشرق من جبيل، وعلى الأرجح في " البقاع " على الطريق الرئيسي بين الشاطئ ودمشق.

[٤] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٢٢,٢٣.

تستخدم لتقصد البحر فقط، وإنما تقصد أيضاً نوعاً من الاتساع أو الامتداد للمياه مثل النهر أو ضفة نهرية أو قناة، وتذكر " نيبي " أن هذه الكلمة من الممكن أن تنطبق على المياه الداخلية، مثل منطقة " الفيوم " التي اتخذت اسمها من هذه الكلمة، وهي تعني ببساطة المياه، وهناك من يرى أن الكلمتين أو المصطلحين " الأخضر العظيم " و" اليم " مترادفان، رغم الفارق الزمني في استخدامهما، وفي نقش من مدينة هابو استخدم " اليم " ليدل على أصل أو منشأ " التيرش TURUSH " والشردان SHERDEN "، فقيل عنهم أنهم من اليم، بينما في بردية " أنستاسي الثانية ANASTASI II " قيل عن الشردان أنهم من الأخضر العظيم[١].

وترى " نيبي " أن هذين المصطلحين يبدو أنهما مترادفان ظاهرياً، وأنهما يؤديان المعنى نفسه دائماً، ولكنهما في الحقيقة ليسا كذلك، فحينما يكون البحر في النص هو المقصود، فإن مصطلح اليم هو الذي يستخدم ليدل على أي امتداد للمياه بشكل عام، بينما الأخضر العظيم ليس كذلك. وفي كتاب العهد القديم كان لمصطلح " اليم " معانٍ عدة ويتطلب دائماً معنىً مخصصاً يرتبط بالمعنى المقصود، ففي قصة " ون– آمون "[٢] حين ذكر البحر لم يستخدم " اليم العظيم " فقط، بل وُصف بطريقة لا تقبل الشك، إذ عبر عن البحر بعبارة " اليم العظيم لخارو "[٣]، فالحقيقة أن هناك فرقاً بين الاستخدام الواسع لليم الذي يقصد البحر أو النهر، وأحياناً المياه الداخلية، والاستخدام الضيق والمحدود لـ " الأخضر العظيم " الذي يقصد اسم مكان أو منطقة معينة[٤].

ثم تذكر " نيبي " أن " فون بيسينج VON BISSING " كان غير راض عن التفسير العام للمصطلحين " الأخضر العظيم " و" اليم "، الذي يعده أساس فهم مشكلة شعوب البحر، وأنه –أي فون بيسينج – يرى أن الأخضر العظيم يمكن أن يقصد البحر بشكل محدود، لكنه لا يقصد البحر المتوسط

---

[١] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٢٦.

[٢] ون – آمون : كان العلماء يعتقدون بأن هذه القصة قد كُتبت في الأسرة الحادية والعشرين لكن أصبح الآن فيما يرى " جاردنر " أن تاريخها المؤكد هو الأسرة العشرون، وأن حوادثها وقعت في عهد رعمسيس الحادي عشر (١١١٤–١٠٨٧ ق.م)، انظر: جاردنر، سير ألن، مصر الفراعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل ابراهيم، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٧، ص٣٣٦،٣٤٣.

[٣] في هذه الفترة كانت " خارو Kharu " يُقصد بها سورية.

[٤] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٢٦,٢٨.

بشكل عام، ولم يكن مقتنعاً بذلك، فافترض أن " الأخضر العظيم " يقصد البحر الأحمر، لكن أكد في الوقت نفسه أنه لا يستطيع تبرير وجود كلمة " الجزر "[١].

وأياً كان الأمر، فإن النصوص المصرية المتعلقة بشعوب البحر من عهد مرنبتاح ورعمسيس الثالث، قد ذكرت الأعداء بطريقة عامة على أنهم من " الأخضر العظيم " أو من " اليم "، وكما سبق الذكر فقد قيل عن الشردان: إنهم من الأخضر العظيم في بردية " أنستاسي الثانية "، كما قيل عنهم في نصوص مدينة هابو: إنهم من اليم، وكذلك قيل عن " التيرش ": إنهم من اليم، وفي بردية هاريس قيل عن " الشردان " و " الوشوش ": إنهم من اليم.[٢]

وفي لوحة لرعمسيس الثالث نجد : " .....**البلست والتورشا قدموا من وسط البحر**"[٣]، ويذكر "ساندارز" أن " كيتشن " يؤكد أن كلمة " اليم " هي التي استخدمت لتقصد البحر في هذا النقش[٤]. أما في عهد مرنبتاح فقد استخدم " اليم " ليقصد " الإقواش "، لكن هنا يمكن أن يشمل الأسماء الأخرى المرافقة كالشردان والشيكلش، أما في لوحة " أتريب" فقد ذُكر الإقواش فقط بأنهم من بلدان "اليم".[٥]

والملاحظ في هذه النصوص أن شعوب البحر ارتبطت بمصطلح " اليم " أكثر مما ارتبطت بالأخضر العظيم، لكن وجود كلمة " الجزر " جعلت الارتباط بالأخضر العظيم أكثر أهمية، وقد رأينا من قبل أن مصطلح " اليم " يمكن أن يُعادل في بعض الحالات مصطلح " الأخضر العظيم "، وأنه يمكن أن يعني الامتداد للمياه الداخلية أو يعني البحر[٦]. كما أن كلمة " الجزيرة " في اللغة المصرية القديمة يمكن أن يُقصد بها الجزيرة الحقيقية المحاطة بالماء تماماً، ويمكن أن يقصد بها المناطق الساحلية، لذلك لا يجب المبالغة في القول إن شعوب البحر قدمت من جزر بحر إيجه أو البحر المتوسط فقط.

ومن دون شك فإن بعض الشعوب قد استقرت ولو لبعض الوقت في المناطق الداخلية، ربما في آسيا الصغرى، حيث إن نصاً من عهد رعمسيس الثالث لا يترك مجالاً للشك؛ لأنه يذكر: " **الأجانب الذين قدموا من بلدانهم ومن الجزر التي في وسط الأخضر العظيم** "[٧].

---

[١] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٨.
[٢] PAUL MERTENS, OP. CIT, P.٧٧.
[٣] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P.١٥٨.
[٤] Ibid, P.٢١١.
[٥] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٢٨.
[٦] Ibid, P.٢٨.
[٧] PAUL MERTENS, OP. CIT, P.٧٠.

وكما ذكرنا من قبل بأن الاستخدام الواضح للتعبير المصري " الجزر التي في وسط الأخضر العظيم " قد بدأ منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة، إلا أن مدلوله قد تغير على ما يبدو خلال فترة الرعامسة؛ لأن النقوش المصرية للأسرة الثامنة عشرة لم تكتف بذكر التعبير فقط، إنما هناك رسومات لسكان هذه الجزر، خصوصاً رسوم مقبرة " أوسر آمون " (مطلع حكم تحوتمس الثالث)، كما صوروا مع سكان بلاد "الكفتيو" وهم يقدمون الهدايا للفرعون، وذلك في نقوش مقبرة (رخمي رع)[1] إذْ نقرأ : " **أمراء بلاد الكفتيو وبلاد الجزر التي هي في وسط البحر جاؤوا مسالمين .... لعظمة جلالة تحوتمس الثالث لما سمعوا الحديث عن انتصاراته على كل البلاد الأجنبية، وقد حملوا هداياهم لكي يحصلوا على نسمة الحياة، لأنهم يريدون أن يخضعوا لجلالته حتى يحتموا بقوته**"[2].

وقد أكد " فركوتيه " أن كلمة " جزر وسط البحر " كانت تطلق منذ حكم تحوتمس الثالث على شعب واضح تماماً، وأن هذا الشعب من قدماء اليونان، ثم حاول مقارنة رسوم " أوسر آمون " والنقوش التي تزين مقبرة " رخمي رع "، ليؤكد أنه وجد أن السمات نفسها تميز النوعين: التلوين الداكن للجلد، والتسريحة الطويلة المعقوفة والأحذية العالية، وأن الزي فقط هو الذي يختلف، وفيما عدا هذا نجد تماماً الرجال نفسهم، ويبدو من نص رخمي رع أن سكان الجزر وسكان بلاد الكفتيو هم في نظر المصريين من نفس الجنس، وأن هذه الشعوب كانت في عهد تحوتمس الثالث على اتصال مباشر مع مصر، تجذبهم قوة مصر الكبيرة في شرق البحر المتوسط، لكن رغم أن سكان الجزر هم إيجيون مثل سكان بلاد الكفتيو، إلا أنهم مختلفون عنهم، وفي مناسبات عدة خارج مقبرة رخمي رع تُميّز النصوص المصرية بين الشعبين، ففي قصيدة كتبها أحد سكان طيبة في مدح تحوتمس الثالث نجد فقرتين مختلفتين، إحداهما لسكان الجزر والأخرى لسكان الكفتيو، وكذلك قائمة بلاد المناجم لرعمسيس الثاني التي تميز بين الشعبين[3].

---

[1] رخمي رع : شغل رخمي رع منصب وزير منذ منتصف حكم تحوتمس الثالث، وحتى أوائل حكم الملك أمنحوتب الثاني، وهو من أسرة شغل معظمها هذا المنصب (مثل جده أمنتشو وعمه وسر آمون) ولكنه كان آخر من عمل وزيراً فيها، ومن الأعمال العديدة التي قام بها رخمي رع اشرافه على بناء معبد تحوتمس الثالث بالدير البحري، وترجع شهرة هذا الوزير بصفة خاصة إلى مقبرته الموجودة بجبانة طيبة، والتي نقش على جدرانها نصين أساسيين عن مهنة الوزير هما " تعيين الوزير " و " واجبات الوزير "، وفضلاً عن ذلك نجد العديد من المناظر التي تصوره وهو يزاول مهام منصبه، وكذلك وهو يراقب حسن سير العمل بورش معبد الإله آمون، وصوره أيضاً وهو يتلقى الجزية من ممثلي البلاد الأجنبية ومنهم أمراء بلاد الكفتيو والجزر. انظر: فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص٩٥.

[2] المرجع نفسه ، ص ٩٧.

[3] المرجع نفسه ، ص ٩٦، ٩٧.

والمهم أن شعب الجزر في نظر المصريين كان يسكن في أقصى الشمال بالنسبة لمصر، إما أرخبيلاً أو منطقة ساحلية، أو المنطقتين معاً في وقت واحد، وأن هذا الشعب يشبه بملابسه ومظهره الجسماني سكان كريت من المينيويين، وكل هذا يجعل تعبير " جزر وسط الأخضر العظيم " ينطبق على المسينيين، الذين كانوا يبدون أمام المصريين من نفس عنصر سكان كريت من المينيويين، الذين اقتبسوا منهم حضارتهم واحتلوا القارة والجزر اليونانية، وأن حركة شعوب البحر قد مست ولو جزئياً الأراضي المسينية، وما يدعم هذا الرأي أن التعبير " جزر وسط الأخضر العظيم " استمر استخدامه في اللغة المصرية القديمة حتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين، في حين اختفت كلمة " كفتيو " قبل نهاية الأسرة الثامنة عشرة[١].

في واقع الأمر، يبدو أن اطلاق تسمية " شعوب البحر " على هذه القبائل المختلفة، أمر غير واضح إلى حد ما، رغم أنها مستوحاة من نظرة المصريين لهذه الشعوب، على أنهم قدموا من البحر ومن جزر الشمال.

لكن من المدهش أن هذه الشعوب قد قدمت عن طريق البر أيضاً، لهذا نجد " ر. دي. فو R.DEVAUX, O.P " يعارض هذه التسمية، ولم يقتنع أن هذه الشعوب هي شعوب بحرية، وحجته أن هذه الشعوب لم تُخلف وراءها أي عادة من عادات الشعوب البحرية، رغم اعترافه بأن " اللوكا " و "الشردان" كانوا يمارسون القرصنة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط منذ القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد[٢].

ومهما يكن، فإن هذه الشعوب كانت عبارة عن مجموعات من المهاجرين تسير قرب الشواطئ باحثة عن موطن جديد، رغم أن نقطة انطلاقها كانت مجهولة، إلا أنه يجب البحث عنها في مناطق أبعد من جزر وسواحل البحر المتوسط[٣].

ويعتقد " ماسبيرو " أن هذه الشعوب تحركت من سواحل آسيا الصغرى إلى مصر، وبعد انهزامها اتجهت إلى الجزر الغربية للبحر المتوسط لكي تستعمرها[٤]. ونفس الرأي تقريباً يذهب إليه " إدوارد مير EDOARD MEYER "، الذي يرى أن الشعوب التي هاجمت مصر تحركت جنوباً من آسيا الصغرى

---

[١] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص٩٦، ١٠٤.

[٢] R. DEVAUX, OP. CIT, P.٤٩٠.

[٣] Ibid, P.٤٩١.

[٤] G. MASPERO, Histoire ancienne des Peuples de l, orient, Paris, ١٩١٤, p.٦٧

واليونان[١]. أما " دانيال أرنو " فيرى أن شعوب البحر هم مجموعة قبائل اختلطت مع بعضها، واستقرت منذ زمن بعيد في الأناضول، وفي الجزر القريبة كجزيرة رودوس، وأن هذه الشعوب طردت من مواطنها نتيجة ضغط شعوب أخرى، فركبت البحر وهاجرت جنوباً إلى الحوض الشرقي للبحر المتوسط[٢].

وفي مقابل هذه الآراء هناك الرأي الذي يؤكد أصحابه أن شعوب البحر وخصوصاًالشعوب التي اتحدت مع القبائل الليبية وهاجمت مصر في عهد مرنبتاح قد قدمت من الجزر الغربية في البحر المتوسط كسردينيا وصقلية[٣].

أمام هذه الآراء المختلفة، يميل الباحث إلى أن شعوب البحر سواء التي ظهرت في عهد مرنبتاح أو رعمسيس الثالث، هي شعوب مهاجرة تبحث عن وطن للاستقرار، تركت أوطانها الأصلية نتيجة ضغوط فرضتها هجرات بشرية أخرى، وربما نتيجة حالة اقتصادية متدهورة، وبلا شك إن من بين هذه الشعوب قبائل يمكن أن تكون قد عاشت في جزر بحر إيجه والبحر المتوسط، وأيضاً في المناطق الداخلية والساحلية وخصوصاً السواحل الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى، كما يرى " وينرايت "[٤]، وما يهمنا أن هذه الشعوب هاجمت مصر وممالك بلاد الشام عن طريق البر والبحر، ومن الصعب أن نتصور أن كل هذه الشعوب بحرية تعيش في الجزر وتمارس القرصنة في البحر، إذ كيف تستطيع أن تقطع كل هذه المسافة الطويلة في عربات ثقيلة تجرها ثيران معروفة أنها بطيئة الحركة حتى تصل مصر؟.

أما بالنسبة للتعبير المصري " الجزر التي في وسط الأخضر العظيم "، فأعتقد أنه كان يُطلق على جزر البحر المتوسط، وسواحله الشرقية، ومن الممكن أن يقصد جزر بحر إيجه، كما أطلق على سكان هذه المناطق من المسينيين في عهد تحوتمس الثالث، حين كانت علاقتهم بمصر سلمية، لكن منذ حكم رعمسيس الثاني بدأت العلاقات تأخذ الطابع العدائي، حتى انهزمت هذه الشعوب على يد رعمسيس الثالث، وربما مسَّت حركة شعوب البحر هذه المناطق ولو جزئياً، فاستمر المصريون في تسميتهم سكان هذه الجزر الشمالية.

---

[١] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P.٦.
[٢] DANIEL ARNAUD, OP. CIT, P.١٥٠.
[٣] TADEUSZ SMOLENSKI, Les Peuples Septentrfonaux De La Mar Sous Ramses II Et Mirrphtah, ١٩١٥, P. ٧٣,٨٨.
[٤] G.A.WAINWRIGHT, Keftiu: Crete Or Cilicia? , Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٣١, ١٩٣١, P.٩٣.

ونخلص في نهاية الأمر إلى القول: إن ضغط البرابرة " الهندو – أوربيين " على الحدود الجنوبية لأوروبا، ودخولهم مناطق آسيا الصغرى وبحر إيجه، أدى إلى حوادث خطيرة قضت على إمبراطوريات وممالك في كامل الحوض الشرقي للبحر المتوسط، مما خلق فجوة عميقة استمرت بين عهد هذه الاضطرابات وبداية ظهور شعوب جديدة، ذات أصول أوربية في قلب العالم القديم نفسه.

ولم تكن مأساة هذه المناطق في ظهور شعوب جديدة ذات ثقافات مختلفة فقط، إنما الأمر أدى إلى تقويض جميع الأسس التي اعتمدت عليها الحضارة القديمة، ليس فقط من الناحية العرقية والسياسية، بل حتى من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، إذْ جاء الحديد بعد البرونز، وهكذا وعلى أساس قواعد جديدة تماماً وبشكل تدريجي، وخصوصاً في اليونان التي بدأت فيها حضارات مختلفة ومتميزة في الظهور[١].

ثالثاً: مسار تحركات شعوب البحر

لم يكن تحرك شعوب البحر في خط سير واحد، وقد اختلفت الآراء، وإن بشكل بسيط، حول تحديد المحاور التي سلكتها هذه التحركات، فقد ذكر " دونالد ب رودفورد " خطين للسير سلكتهما هذه التحركات، هما:

١- الأول : وهو الطريق الأكثر وضوحاً، على امتداد ساحل المتوسط الشرقي، ويستخدم جزيرة قبرص (ألاشيا) كمحطة توقف مؤقتة.

٢- الثاني: الأقل وضوحاً، رغم أنه مطروق جيداً، حيث يمر عبر كريت، ومن ثم جنوباً إلى ساحل إفريقيا الشمالي، ويصل إلى البر بجوار مرسى مطروح الحالية في مصر، وقد كشفت التنقيبات الأثرية مؤخراً عن وجود نقطة دخول لخدمة التجارة بين كريت وقبرص والدلتا في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[٢].

بينما تذكر بعض المصادر، أن شعوب البحر قدموا في هجرتهم هذه من الغرب والشمال الغربي، عبر ثلاثة خطوط، هي:

---

[١] JEAN DESHAYES, OP. CIT, P.١١١.

[٢] ردفورد، دونالد ب، مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، ترجمة: علي خليل، دار الرأي للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ص٢١٣.

١- الأول : من البلقان، وقد تألف من الفريجيين والميسينيين (الموكينيين)، وقد اتحدوا مع قبائل الكاشكيين (الكازكاز) الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، لاسيما السواحل الجنوبية من البحر الأسود، وقد دمرت هذه القبائل قلب الإمبراطورية الحثية.

٢- الثاني: اتجه بسفنه من جزيرة كريت إلى جزيرة قبرص، فدمر جزءاً منها، لاسيما مدينة أنكومي، وأجبر حكامها على الانضمام إليه، ثم اتحدت هذه القبائل مع الليبيين ضد مصر.

٣- الثالث: توغل قبائل البلست والثيكر منطلقة من كريت باتجاه ساحل بلاد الشام، في الجنوب وقد تصدى لهم رعمسيس الثالث في معركتين برية وبحرية[١].

بينما ذكرت مصادر أخرى أن تلك الشعوب سلكت في تحركها طريقين، هما:

١- الأول : انطلق من البلقان، وهو مؤلف من الفريجيين والماسا إلى سواحل آسيا الصغرى، واتحدوا مع قبائل الكازكاز (الكاشكا)أعداء الحثيين، الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، لاسيما السواحل الجنوبية من البحر الأسود وبحر مرمرة، وتحركوا نحو العاصمة الحثية خاتوشا، وعملوا على إحراقها وتدميرها، وبعد خاتوشا، سار الغزاة نحو كركميش، ثم جعلوا قاعدتهم بعدها في أراضي مملكة أمورو.

٢- الثاني: انطلق من جزيرة كريت إلى قبرص فدمرها وأجبر حكامها على الانضمام إليه، ثم تابع مسيره إلى جزيرة كريت، فدمرها أيضاً، واتجه إلى جزيرة أرواد وجعلها قاعدة له للهجوم على الساحل السوري كله[٢].

وتذكر مصادر أخرى أيضاً أن محاور التحرك كانت على الشكل التالي:

١- الأول: من اليونان (البلقان) إلى آسيا الصغرى، وتألفت من الفريجيين والميسينيين(الموكينيين) والكاشكيين (الكازكاز)، وأدى إلى دمار الإمبراطورية الحثية.

---

[١] سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة من أقدم العصور حتى عام ١١٩٠ ق.م- الشرق الأدنى القديم " بلاد ما بين النهرين- بلاد الشام"، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥م، ص٣٨٦،٣٨٧.

[٢] توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العددان ١٣٣- ١٣٤، جامعة دمشق، ٢٠١٦ م، ص١٠١.

٢- الثاني: من كريت إلى قبرص ومن ثم إلى مصر، وتتألف من قبائل الشردان واللوكا والقبائل الميسينية، وقد تحالفت هذه القبائل مع القبائل الليبية، وتمكن رعمسيس الثالث من وقف تقدمهم في معركة فاصلة في دلتا النيل، فارتد قسم منهم باتجاه فلسطين.

٣- الثالث: من كريت إلى قبرص إلى الساحل السوري، ويتألف من قبائل البلست والليرية والزّاكارية، وكان من شأن هذا الهجوم بالتعاون مع القبائل المهزومة أمام رعمسيس الثالث، تدمير معظم المدن الكنعانية الساحلية[١].

من خلال استعراض الطرق والاتجاهات التي سلكتها تلك الشعوب والقبائل نجد أن هناك قواسم مشتركة، تصل إلى حد التطابق فيما بينها، نخلص منها إلى تصور نهائي مقبول يوجز هذه التحركات بما يلي: لقد كان لهذه التحركات اتجاهات عدة، هي:

١- الأول: خرج من بلاد البلقان، وهو مؤلف بشكل خاص من القبائل الميسينية (الآخيين) والفريجيين، إضافة إلى بعض القبائل الأخرى، متجهين نحو الساحل الأيوني في آسيا الصغرى، وقد أدى وصولهم- بعد القضاء على طروادة- إلى تحرك القبائل الساكنة شمال وشمال شرق خاتوشا، فتحالفت مع القادمين الجدد، لتشكيل حلف كبير زحف باتجاه العاصمة الحثية خاتوشا وقضى عليها، ومن ثم اتجه نحو كركميش، فقضى على كل المدن في طريقه إليها ومن ثم دمر كركميش، ثم اتجه نحو أمورو في وسط سورية واتخذها قاعدة لانطلاقه نحو مصر والساحل السوري.

٢- الثاني: هو الاتجاه الذي اتخذ من كريت قاعدة له، ثم اتجه نحو قبرص، ومنها نحو سواحل بلاد الشام، فدمر أوغاريت، ثم استقر في جزيرة أرواد، ومنها انطلق نحو الجنوب والداخل نحو آلالاخ، وقسم توجه بشكل خاص نحو فلسطين، وهو مؤلف من البلست والثيكر.

٣- الثالث: وهو الذي انطلق من كريت أو قبرص نحو سواحل ليبيا، وقد اتحد مع القبائل الليبية، فشكلوا تحالفاً ضد مصر خلال فترة زمنية تجاوزت الخمسين سنة على الأقل.

---

[١] الحكيم، صالح، الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني قبل الميلاد، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠١٠، ص١١٣.

الفصل الثالث

غزو شعوب البحر للإمبراطورية الحثية وبلاد الشام والامبراطورية المصرية

أولاً: غزو الإمبراطورية الحثية.

- **حرب طروادة.**
- **سقوط العاصمة الحثية خاتوشا.**

ثانياً: غزو بلاد الشام.

- **غزو كركميش.**
- **غزو مملكة أمورو.**
- **غزو مملكة ألالاخ.**
- **غزو مملكة أوغاريت.**

ثالثاً: المملكة الآشورية الوسطى تواجه شعوب البحر.

رابعاً: غزو الامبراطورية المصرية

أولاً – الاحتياطات في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق.م).

ثانياً – الغزو في عهد مرنبتاح (١٢٢٤ – ١٢١٤ ق.م).

ثالثاً – الغزو في عهد رعمسيس الثالث (١١٩٤ – ١١٦٢ ق.م):

١– حرب السنة الخامسة (١١٨٩ ق.م).

٢– حرب السنة الثامنة (١١٨٦ ق.م).

أولا: غزو الإمبراطورية الحثية

لم تكن تحركات شعوب البحر في اتجاه واحد أو في زمن واحد، بل كانت تحركات شملت منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط، وخلال أكثر من ٢٠٠ سنة، ومن ضمن هذه التحركات كانت تلك التي استهدفت الإمبراطورية الحثية في منطقة آسيا الصغرى، وقد اتحدت شعوب البحر مع بعض القبائل التي كانت تعيش في كنف الإمبراطورية الحثية، وكانت تنتظر الفرصة المواتية للانتفاض ضد السلطة المركزية في العاصمة خاتوشا.

- حرب طروادة

لقد دمرت هذه التحركات مدينة طروادة التي كانت تابعة لخاتوشا سياسياً، فقد تأخر الدعم الحثي لها، وبعد حصار دام نحو عشر سنوات سقطت هذه المدينة قبل وصول إمدادات الحثيين إليها، فكان ذلك بوابة لسقوط خاتوشا نفسها، وعلى الرغم من وقوف طروادة إلى جانب بعض المنتفضين على السيادة الحثية في أواسط القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فقد واجه تودخاليا الرابع (١٢٥٠- ١٢٢٠ ق.م) تحالفاً معادياً مؤلفاً من اثنتين وعشرين دولة متمردة على امتداد الساحل الأيوني[١]، من كاريا (ليسيا) إلى ويلوسا (إليون أي طروادة)، وقد دحر الحثيون هذا الحلف، لكن الأطراف الغربية من إمبراطوريتهم بدأت تتصدع[٢].

وعلى الرغم من عدَّ طروادة من أعداء حاتوشا، في بدايات القرن الثالث عشر قبل الميلاد، إلا أنها كانت تابعة لها سياسياً في أواخر هذا القرن، وإلى حين سقوطها نحو العام ١٢٠٠ ق.م تقريباً.

ولكن يبدو أن انتصار الآخائيين في حرب طروادة كان بداية نهايتهم، وذلك بسبب إنهاكهم الطويل في حصار وحرب طروادة، ما أدى إلى تشتتهم في جزر بحر إيجه واستقرارهم فيها، الأمر الذي شجع القبائل على مهاجمة بلاد اليونان (ميسينا)، وعلى دفعات متتالية استمرت مدة من الزمن[٣]، أدت هذه الهجمات إلى دمار ميسينا وتشكل تحالف جديد ضم ما تبقى من الأسطول الآخي الميسيني إضافة إلى الدوريين

---

[١] الساحل الغربي لآسيا الصغرى، تركيا حالياً. انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٥٥٣.

[٢] ردفورد، دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم ، ص٢١٢.

[٣] سارة، خليل، دراسات في تاريخ الإغريق- مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، دمشق، ٢٠٠١- ٢٠٠٢، ص١٥٦.

والآريين من آسيا الصغرى، ومن جزيرة كريت، واتجه جزء من هذا التحالف نحو العاصمة الحثية خاتوشا التي سقطت بأيديهم[١].

- سقوط العاصمة الحثية خاتوشا

كان لوصول طلائع شعوب البحر إلى البر الأيوني، وتغلغلها داخل آسيا الصغرى، أن تحركت قبائل وشعوب آسيا، وتحالفت مع الشعوب القادمة عبر البحر، ومن ثم الانقضاض على خاتوشا وتدميرها، وكان لمجمل الأسباب التي أضعفت الدولة الحثية، وعلى رأسها المناخ الجاف الذي ساد الخمسين سنة الأخيرة من حياة الدولة أثره الكبير في ضعفها ووقوعها بيد شعوب البحر.

لقد بدأ ضعف المملكة الحثية في عهد أرنوواندا الثالث ١٢٢٠- ١٢٠٠ ق.م إذ تأثرت بانفصال بعض المقاطعات البعيدة عن العاصمة، ونشوب بعض الحروب الداخلية التي أفقدت العاصمة هيبتها، واستمر ذلك في عهد أخيه شوبيلوليوما الثاني ١٢٠٠- ١١٩١ ق.م، على الرغم من تمكنه من تحسين أوضاع البلاد قليلاً، حيث أشارت بعض تقاريره عن انتصار على قبرص (ألاشيا)، ولكن ازدياد تغلغل شعوب البحر وغزوها لبلاد الأناضول وسورية الشمالية، أنهى الكيان السياسي للحثيين[٢].

تشير بعض الدراسات والأبحاث العلمية أن جفافاً كبيراً شهدته منطقة الأناضول، مما أدى إلى حدوث عوز كبير، وتتحدث الكثير من الوثائق من مصر وأوغاريت عن حالة المجاعة التي أصابت الإمبراطورية الحثية[٣]، الأمر الذي أدى إلى استقلال بعض الولايات الحثية عن السلطة المركزية في خاتوشا، بالإضافة إلى أن شح المحاصيل وفقر البلاط الملكي كان عاملاً أساسياً في تفكك البنية السياسية للإمبراطورية الحثية، فانتشار المجاعة في أرجاء البلاد دفع البلاط الملكي إلى طلب المساعدة واستجداء القمح من مصر وأوغاريت[٤].

---

[١] بولس، جواد، لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣م، ص١٠٧- ١٠٨.

[٢] إسماعيل، فاروق، الحثيون وحملاتهم على سورية، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العددان ٨١-٨٢، ٢٠٠٣، جامعة دمشق، ص ٢٨.

[٣] عبد الرحمن، قصي، أوغاريت، منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٨، ص١٩٦- ١٩٧.

[٤] السواح، فراس، آخر أيام أوغاريت- عوامل طبيعية أم بشرية، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٥٠٧، ٢٠٠٥ م، ص ١٨٢.

وتشير نصوص متعددة من أوغاريت عن دور المدينة في تزويد بلاد الأناضول بالمواد الغذائية، وبخاصة الحبوب، نذكر هنا رسالة من الملك العظيم إلى ملك أوغاريت يطلب منه فيها الانتباه إلى الحبوب القادمة من بلاد موكيش (آلالاخ)؛ والمنوي إرسالها إلى خاتوشا عبر ميناء (أورا) البحري في كيليكيا ، وذكر أن الموضوع عاجل جداً، أي أنه قضية حياة أو موت، وقد تحولت أوغاريت في تلك الآونة إلى مركز لشحن المواد الغذائية القادمة من سورية، عبر ميناء مدينة (أورا) في كيليكيا، أو إلى أماكن أخرى، وهذا ما يؤكده لوح أُرسل إلى ملك أوغاريت، الذي لم يذكر اسمه، من قِبَلِ شخص يُدعى KPgn ربما يتطابق مع بوكانا المذكور على خاتم اكتشف في طرسوس في كيليكيا، والذي كان وجيهاً كبيراً في الإمبراطورية الحثية[1].

كما أرسل الفرعون المصري مرنبتاح شحنة عاجلة من الحبوب إلى الدولة الحثية، وطلب من ملك أوغاريت عمورابي إيصالها إلى خاتي، فقد دلت إحدى الوثائق إرساله لهذه الشحنة من الحبوب، وقد ورد في نص الرسالة حدثان هما: المجاعة والعدو، فنقوش معبد الكرنك من عهد مرنبتاح تذكر إرساله بعثة إلى خاتي، ويبدو أن هدف الفرعون المصري من مساعدة الدولة الحثية عدوته اللدود هو علمه بأن خطر شعوب البحر بدأ يدنو من بلاده، وأن الدولة الحثية كانت تشكل الدولة العازلة بين تلك القبائل الغازية وبين دول المنطقة، ومن بينها وادي النيل[2].

ويتبين لنا الوضع المأساوي الذي وصلت إليه المناطق الحثية التي كانت تشهد اعتداءات شعوب البحر، وهو ما تذكره رسالة موجهة من الملك الحثي (الملك الشمس كما كان يلقب) إلى ملك أوغاريت عمورابي، يأمره فيها بلا مقدمات ولا تحيات على عكس ما كانت عليه العادة في المراسلات " اجمع ما عندك وابعث به إلي "[3]

ويبدو أن طلب المساعدة الحثية لم يقتصر على المساعدات الغذائية فحسب، فقد بلغ الضعف في الدولة الحثية أن أقدمت على طلب المساعدة العسكرية من حلفائها، فقد أشارت رسالة موجهة إلى الملك الأوغاريتي، من قبل الحثيين يطالب كاتبها الملك بتجهيز وإرسال ١٥٠ سفينة، وكذلك ذكرت الرسالة التي

---

[1] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠- ٣٠٠ ق.م، ص١٦٢- ١٦٣.

[2] سعادة، صفية، أوغاريت، مؤسسة الفكر للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٠٣، ١٠٤

[3] المرجع نفسه، ص١٠٤.

كانت موجهة من آخر ملوك الحثيين شوبيلوليوما الثاني إلى عمورابي آخر ملوك أوغاريت، إذ يطلب فيها مساعدةً ضد العدو الذي يهدد بلاده، ولمواجهة المجاعة التي حلت بالبلاد[١].

ويبدو أن حالة الضعف التي وصلت إليها العاصمة الحثية خاتوشا، وقبل فترة وجيزة من سقوطها، دعت بالملك الحثي أن ينقل الأسرة الحاكمة خارج العاصمة، وهذا ما بينته رسالة موجهة إلى أوغاريت، من أجل تأمين عدد كبير من السفن لنقل جنود، وبشكل خاص لإخلاء أفراد العائلة المالكة إلى مكان غير محدد، فقد تحدثت إحدى رسائل الملك الحثي إلى ملك أوغاريت " **سُفنك وأنت عليها، تعال لمقابلة الشمس– سيدك** "، ووعده مقابل ذلك بكمية كبيرة من الذهب والفضة[٢].

وهناك رسالة أخرى كُتبت من قبل ملك كركميش تتعلق بتفقد فرق المشاة والعربات الأوغاريتية التي أُرسلت كفرق مساعدة لدعم الحثيين، وقد تم التفقد من قبل حاكم كركميش المدعو تالمي تيشوب الذي كان يعمل في خدمة الملك الشمس (أي الملك العظيم)، وتشير الجملة الأخيرة في الرسالة إلى وضع خطير جداً ، ربما كان سببه هجوم آشوري[٣].

وقد يكون الصراع على قبرص بين الحثيين وشعوب البحر هو السبب الذي جعل هذه الشعوب تهاجم خاتوشا وتدمرها، وعبثاً حاول شوبيلوليوما الثاني أن يُنقذ الموقف، فها هو يصف صراعه معهم، فيقول: "**اصطفت السفن من قبرص ثلاث مرات في منتصف البحر ضدي– دمرتها، استوليت على السفن، وأضرمت النار فيها، وهي في عرض البحر** "، ومع ذلك نسمعه بعد بضعة أسطر، يقول مرة أخرى: "**خرج عليَّ العدو من ألاشيا (قبرص) بحشود لا حصر لها** "، فقد كانت سفن المغيرين تظهر على كامل الشاطئ السوري والقبرصي[٤] في انتظار تدميرها لخاتوشا، ومن بعدها أوغاريت.

يبدو أن القبائل التي هاجمت خاتوشا، جاءت من البلقان وهم من الفريجيين والماسا، الذين وصلوا إلى سواحل آسيا الصغرى واتحدوا مع قبائل الكازكاز أعداء الحثيين التقليديين، الذين كانوا يقطنون في المناطق الشمالية من آسيا الصغرى، ولا سيما السواحل الجنوبية من البحر الأسود وبحر مرمرة، فتحركوا

---

[١] عبد الرحمن، قصي، المرجع السابق، ص١٤٩.

[٢] الشواف، قاسم، أخبار أوغاريتية وموسيق من أوغاريت، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٩، ص٨١.

[٣] كلينغل، هورست، المرجع السابق، ص١٦٠.

[٤] ردفورد،دونالد ب، المرجع السابق، ص٢١٨.

نحو العاصمة الحثية خاتوشا، وعملوا على إحراقها وتدميرها[1] نحو العام ١١٩١ ق.م رغم مؤازرة الدول المؤيدة لها كأوغاريت.

ثانياً: غزو بلاد الشام:

- غزو كركميش:

اختلفت الروايات حول صحة دمار كركميش على يد شعوب البحر التي دمرت خاتوشا، وما يدل على سقوط هذه المدينة نص لرعمسيس الثالث على جدران معبد مدينة هابو يذكر من خلاله خط سير شعوب البحر القادمة من خاتوشا نحو كركميش، ومنها باتجاه أمورو، فيقول: " **وقد بدؤوا بخاتي وقرقميش وأرزاوا وألاسيا** .... "[2].

وهذا ما أكده ليوناردو وولي في وصفه لخط سير شعوب البحر بعد تدميرهم لخاتوشا، يقول وولي: "دُمِّرت مدينة (بوغازكوي) في الأناضول، فاتجهت – جحافل الغزوات– نحو الجنوب، واجتاحت سورية كالسيل العارم.... وكان يرافقهم أسطول بحري على امتداد الساحل السوري، كانوا يجتاحون المدن التي أخذت تتساقط تباعاً.... ثم سقطت كركميش، حلب...."[3].

وفي المقابل أظهرت الحفريات الأثرية التي جرت في جرابلس (كركميش) تتابع الفخار الأمر الذي يشير إلى استمرار الحياة فيها، وما من دليل على حدوث دمار كبير في نهاية عصر البرونز المتأخر، ومن هنا فإننا لا نستطيع أن نعد ذكر كركميش في نقوش رعمسيس الثالث برهاناً كافياً على سقوطها[4]، فمن الممكن أن يكون رعمسيس الثالث قام بتضخيم القوات التي حاربها من أجل إعطاء عظمة أكبر لانتصاره الكبير في معركة زاهي، ومن ثمَّ قد لا تكون كركميش من بين المدن التي دُمِّرت على يد شعوب البحر، والأمر الذي يبرهن ذلك هو بقاؤها عامرة بعد فترة الاجتياح، واستمرارها كمركز للنفوذ الحثي لفترة من الزمن.

---

[1] توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط١، ٢٠٠٥ م، ص٧١٤.

[2] جاردنر، آلن، مصر الفراعنة، ص٣١٤.

[3] وولي، ليوناردو، آلالاخ مملكة منسيّة– دراسات ونصوص قديمة، ترجمة: فهمي الدالاتي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢ م، ص١٥٠.

[4] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠– ٣٠٠ ق.م، ص٢٠٤

- غزو مملكة أمورو

تابعت شعوب البحر تقدمها بعد تدميرها خاتوشا، حتى اجتمعت في أرض أمورو وجعلوها قاعدة لهم، وقد ذُكرت أمورو في الكتابات المسمارية منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد باسم (مارتو Martu)، وبالصيغ الأكادية بـ (Amurru)، إذ تشير إلى جهة الغرب من وجهة نظر سكان بلاد الرافدين، ولا سيما المنطقة الواقعة غرب نهر الفرات الأوسط، ومن ثم أصبحت أمورو اسماً لمنطقة جغرافية تقع بين ساحل البحر المتوسط وسهول حمص[١]، وقد لعب ملكاها عزيرو وابنه عبدي عشيرتا دوراً بارزاً في الصراع الحثي المصري، ولم يكن معروفاً من كان يحكم أمورو عندما وصلت جحافل شعوب البحر إلى المنطقة، ولكن هناك رسالة ذات أهمية مرسلة إلى ملك أوغاريت من قبل شخص يدعى (برصو)، طلب فيها من ملك أوغاريت وبأدب أن يوصِلَ كل الأخبار المتعلقة بتحركات عدو (لم يذكر اسمه)- كما كانت العادة سابقاً بين أوغاريت وأمورو-، وهذا يدل على أن العدو كان قريباً من أوغاريت، ما يشكل تهديداً لأمورو، وهذا ينطبق تماماً على الحالة التي توضح قتال جماعات شعوب البحر في شمال شرق البحر المتوسط، وقد وصلت أخبارها إلى ملك أوغاريت عن طريق حاكم ألاشيا (قبرص)[٢].

وفيما يأتي نص الرسالة المرسلة من (برصو) إلى ملك أوغاريت، الأغلب أنه عمورابي، ويطلب منه إخبار بلدان أمورو بتحركات العدو المتربص بهم يقول فيها:

سيدي قل :

هكذا (يقول) خادمك بَرصو

اسجد عند قدمي سيدي

٥- بالنسبة لك ليت (كل شيء) سالم

يا سيدي! هكذا (يقول) ملك بلدان أمورو

٧-٨- ألم أقل أمامك حقاً: عندما

---

[١] كلينغل، هورست، المرجع السابق، ص١٧٥.

[٢] المرجع نفسه، ص١٩٠.

٩-١١- تسمع خبراً يخصّ الأعداء الغرباء، فأرسل إلى بلداني (خبراً).

والآن يا سيد لماذا لم ترسل (خبراً) إلينا

١٥- بخصوص كلام الأعداء الغرباء

مثلما تسمع؟

أمرٌ ثان، يا سيدي:

بلدان أمورو وبلدان أوغاريت هي وحيدة

٢٠- يا سيدي! إن تسمع خبراً

عن الأعداء الغرباء فليت سيدي

٢٢-٢٣- يرسلـ (ـه) إلينا. يا سيدي!

الآن أنا سأرسل ما يلي:

٢٥- حقاً سأرسل السفن التابعة لنا للقائك

فليت سيدي يعرف (بذلك)[١].

والمُتتبع لهذا النص يُدرك أن كتابته كانت في المرحلة، ما قبل وصول تلك الشعوب إلى أوغاريت وأمورو، ويبدو أن حاكم أمورو الذي يعلن نفسه تابعاً لأوغاريت إذ يُخاطب ملك أوغاريت بـ (سيد) وبلهجة استجداء، ويبدو أن الأخبار قد وصلت إلى أمورو عن طريق آخر، وليس عن طريق ملك أوغاريت، ففي كلامه شيء من العتب: " ألم أقل أمامك حقاً : عندما تسمع خبراً يخصُّ الأعداء يا سيد لماذا لم ترسل (خبراً)؟"، لكن الأمر يُبدي حالة من اليأس والخوف والتبعية:" يا سيدي إن تسمع خبراً عن الأعداء الغرباء فليت سيدي يرسله إلينا....".

[١] محمد، جيهان عزت، أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، وزارة الثقافة، سورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، ٢٠١١، ص٢٤٨، ٢٤٩.

وعلى الرغم من تجاهل ملك أوغاريت، وعدم إخبار أمورو بالتحركات البحرية التي عَلِمَ بها من ملك آلاشيا (قبرص)، فإن ملك أمورو سوف يرسل سفنه لتلاقي سفن أوغاريت، لكن دمار أمورو على ما يبدو لم يأتِ من جهة البحر، وإنما كان عن طريق البر، ويبدو أن سقوط أمورو كان محققاً حيث يذكر نص يعود إلى السنة الخامسة من عهد رعمسيس الثالث، يذكر: " **ملك أمورو الذي أصبح رماداً، أما أهالي أمورو فقد أُسروا وشُتتوا، وأُخضِعوا...**"[١].

- غزو مملكة آلالاخ[٢]:

ارتبط تاريخ مملكة آلالاخ بشكل مباشر بتاريخ مملكة يمحاض (حلب) الشهيرة، وذلك بسبب القرب الجغرافي بين المملكتين، بالإضافة إلى أن مملكة آلالاخ كانت تابعة في معظم مراحل تاريخها للنفوذ الحلبي، خاصة في القرنين الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد، فقد حكمت فيها أسرة حلبية، وقد سيطر عليها الحثيون في عهد شوبيلوليوما الأول عندما سيطر على النصف الشمالي من سورية عام ١٣٦٦ ق.م، وقد لاقت آلالاخ المصير ذاته لمدن شمال سورية، عام ١١٩٠ ق.م بعد مرور شعوب البحر[٣].

ويقدم ليوناردو وللي وصفاً لدمار المدينة على يد هذه الشعوب، إذ يقول :" أما أطلال الحرائق التي التهمت أكبر بيوتات المدن، فتؤكد أن آلالاخ تقاسمت مع جيرانها الآخرين الأقوى منها الدمار والفناء، ويعود وللي ليقدم دليلاً أثرياً على دمار المدينة الكامل، في حادث تمثال الملك (إدريمي)[٤] المُحطم، والذي حاول أحد سكان المدينة مجازفاً بحياته جمع ما بقي من قطع التمثال وإعادته إلى مكانه السابق، ولكنه لم يعد، وبعد مرور خمسين عاماً على مأساة آلالاخ، قامت محاولة لبعث المدينة القاحلة من جديد، وجعلها مدينة مزدهرة تعجُّ بالحياة، ولكنَّ ذلك لم يتم[٥]، وما يدل على صحة ما قدمه ليوناردو وللي في

---

[١] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠- ٣٠٠ ق.م، ص٢٠٥.

[٢] مملكة آلالاخ : يعرف موقعها الحالي باسم تل العطشانة، الواقع عند المجرى السفلي لنهر العاصي، بالقرب من أنطاكية في لواء إسكندرون المُغتصب، وقد جرى التنقيب في هذا الموقع على سبعة مواسم بين أعوام ١٩٣٦- ١٩٣٩ و ١٩٤٦- ١٩٤٩ م، وذلك من قبل بعثة بريطانية برئاسة السير ليوناردو وللي مكتشف مدينة آلالاخ.

[٣] عبد الرحمن، عمار، مملكة آلالاخ- ألق التاريخ على العاصي، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٨م، ص١٥٥.

[٤] أحد أشهر ملوك آلالاخ، وقد حكم نحو ١٥٠٠- ١٤٨٠ ق.م.

[٥] وولي، ليوناردو، آلالاخ مملكة منسية، ص١٥٠.

الرغبة في إعادة إحياء المدينة عثوره – أي وللي– على قبر يحتوي منحوتة مصرية، وهي (جُعَلٌ) أو خنفساء رعمسيس الرابع، ويعود تاريخها إلى نحو ١١٤٠ ق.م، ولكن المدينة لم تقم لها قائمة، وبنيت مدينة أخرى على تل مجاور فيما بعد، ولكن لم يكن لها مجدٌ مشرقٌ كآلالاخ[١].

- غزو مملكة أوغاريت[٢]:

سُكن موقع أوغاريت منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد، لكن عصر ازدهارها كان في أواخر عصر البرونز الحديث، ما بين ١٤٠٠– ١٢٠٠ ق.م، وقد حكم نيقمادو الثالث ١٢٢٠– ١٢١٠ ق.م كآخر الملوك الشرعيين في عصر ازدهار أوغاريت قُبيل وصول آخر حكامها غير الشرعيين، وهو عمورابي ١٢١٠– ١١٩٠ ق.م، وفي عصره سقطت أوغاريت على يد شعوب البحر عام ١١٩٠ ق.م[٣].

تشير أغلب الدراسات على أن عمورابي ١٢١٠– ١١٩٠ ق.م، ليس ابناً شرعياً لنيقمادو الثالث ١٢٢٠ ١٢١٠ ق.م، وعندما اعتلى عمورابي العرش، كان تالمي تيشوب ما يزال في كركميش، ومن المؤكد أن عمورابي كان معاصراً لشوبيلوليوما ١٢٠٠– ١١٩٠ ق.م آخر الملوك الحثيين[٤].

ولقد شهدت أوغاريت في أواخر أيامها دماراً شاملاً، فقد أتت الحرائق والدمار على كل شيء، وتُجمع أغلب الآراء على أن دمار المدينة كان على يد شعوب البحر، حيث اتبعت هذه الشعوب المحور الذي اتجه من جزيرة كريت بعد سقوطها نحو جزيرة قبرص، ومنها نحو سواحل بلاد الشام، ومن ثم إلى أوغاريت[٥]، فبعد سيطرة هذه الشعوب على قبرص تابعت مسيرها إلى أوغاريت حيث دمرتها، واتجهت إلى أرواد فجعلتها قاعدة لها في الهجوم على باقي الساحل السوري كله[٦].

لكن أوغاريت لم تكن لقمة سائغة في يد شعوب البحر، فقد قاومت القطع البحرية والبرية المتبقية في أوغاريت، وبعد قتال مستميت استطاعت القوات الأوغاريتية تدمير الخطوط الأولى لشعوب البحر وإحراق

---

[١] أحمد، محمود عبد الحميد وآخرون، آثار الوطن العربي القديم– العراق– سورية– مصر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣– ٢٠٠٤م، ص٣٩٠.

[٢] يقع تل رأس الشمرا حيث عثر على أنقاض مدينة أوغاريت، على الساحل السوري الشمالي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وعلى نحو ٩– ١٠ كم شمال مدينة اللاذقية.

[٣] الحمد، محمد عبد الحميد، حضارة طريق التوابل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧م، ص١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.

[٤] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠– ٣٠٠ ق.م، ص١٦١– ١٦٢.

[٥] الحكيم، صالح، الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي، ص١١٣.

[٦] توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، الموسوعة العربية، ص٧١٤.

بعض السفن المعادية، ومن ثم طلبت النجدة من قبرص، وإبلاغها فيما إذا كانت هناك سفنٌ أخرى معادية مبحرة نحوها، لكن الغزاة كانوا أقوى، فسقطت أوغاريت، وقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن المدينة أُحرقت وفرَّ منها سكانها[1].

وكانت لأوغاريت علاقات دبلوماسية وسياسية وعسكرية مع جزيرة قبرص القريبة منها، وهذه العلاقات دعت الطرفين إلى تبادل المعلومات العسكرية بينهما، ومن هذه المعلومات ما تعلق باقتراب سفن غريبة من ساحل الدولتين، فهناك رسالة موجهة من كبير وجهاء آلاشيا (قبرص) المدعو إشوورا إلى ملك أوغاريت، يحذره فيها من أعداء هاجموا سفناً وأناساً من أوغاريت، ويستعدون مع عشرين سفينة لاعتداءات جديدة، ثم هناك رسالة أخرى موجهة من ملك آلاشيا نفسه، إلى ملك أوغاريت عمورابي تذكر سفن الأعداء واعتداءات جديدة، وتوقع هجوماً على مملكة أوغاريت، وينصح ملك آلاشيا – حليفه عمورابي– بتحصين مدنه بالأسوار، وأن يضع جنوده وعرباته الحربية خلفها ويستعد للدفاع عن مدينته، وكان هناك رد من ملك أوغاريت برسالة إلى ملك آلاشيا يناديه فيها بعبارة " أبي "، يخبره باقتراب سفن معادية وأن بعض المناطق قد دمرتها النيران: " **ليعلم أبي أن سفن العدو أتت هنا، أحرقت مدني، لقد قاموا بأعمال مؤذية في بلدي، ألا يعلم أبي بأن كل جنودي وعرباتي في بلاد خاتي، وأن كل سفني في بلاد لوكا؟ وهكذا تركت بلدي لوحدها، ربما يعلم أبي بأن سبعة سفن للعدو أتت هنا وأصابتنا بأضرار كبيرة** "[2].

كما نجد في رسالة موجهة من ملك آلاشيا (قبرص) إلى ملك أوغاريت عمورابي يشكو فيها (استنكاراً) قيام بحَّارة أوغاريتيين كانوا راسين في قبرص بتسليم سفنهم إلى عدو (غير محدد)، في دلالة واضحة على (خيانتهم) لمدينتهم، فيما نجد في رسالة أخرى موجهة من ملك قبرص– يبدو أنها جاءت رداً على رسالة سابقة– إلى عمورابي ملك أوغاريت، أجابه فيها بقوله: " **ما كَتبتهُ لي: شوهِدت سفن في البحر، حتى لو لم يكن ذلك صحيحاً، ابق حازماً، فيما يختص بك، أين هم إذن جنودك وعرباتك ؟... أليست بالقرب منك؟ ... إن لم يكن الأمر كذلك فما الذي يجعلك تعدو خلف العدو؟ ... احم مُدنك بالأسوار، أَدخل إليها جنودك وعرباتك، وانتظر العدو بحذر ...**"[3].

---

[1] أبو عساف، علي، نصوص أوغاريت– دراسات ونصوص قديمة (٣)، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ١٩٨٨م، ص١٩.

[2] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠– ٣٠٠ ق.م، ص١٦٢، ١٦٣.

[3] الشواف، قاسم، أخبار أوغاريتية وموسيقا من أوغاريت، ص٨١– ٨٢.

كما وجد في فرن مطبخ القصر في أوغاريت، من بين الألواح، رسالة يأمر فيها " الملك– الشمس " (الملك الحثي) بلا المقدمة المعتادة والتمنيات الطويلة، ملك أوغاريت عمورابي " **اجمع ما عندك وابعث به إليَّ** "[1].

وكان عمورابي قد أرسل سفنه إلى خاتوشا لإنقاذها، وترك أوغاريت خالية من السفن والقوات العسكرية، ففي رسالةٍ مُرسَلةٍ من خاتوشا، يطلب كاتبها من ملك أوغاريت تجهيز وإرسال ١٥٠ سفينة، وفي رسالة أخرى ومرسلة على الأغلب من ملك الحثيين إلى عمورابي، يقول فيها :" **سُفنكَ، وأنت عليها، تعال لمقابلة الشمس سيدك**"، وهناك رسالة مُرسلة من عمورابي إلى ملك ألاشيا تقول ترجمتها: " **وصلت سفن الأعداء إلى بلادي، ومن ثم أحرقوا مدني، وسببوا دماراً كبيراً، ألا يعرف والدي أن جنودي موجودون في بلاد خاتي، وأن سفني بعيدة؟ .... عندما تظهر سفن العدو مرةً أخرى، أرسل لي الخبر بأي طريقة...**"[2].

ويبدو أن الأوغاريتيين بعد أن استطاع ما تبقى لديهم من سفن وجنود أن يدمّروا الموجات الأولى لشعوب البحر أدركوا أن المدينة ساقطة لا محالة، فلجؤوا إلى معبد بعل (حامي المدينة) عبر ابتهال له لحماية المدينة ولكنه لم يُجدِ نفعاً، فدُمرت أوغاريت، ودُمرت في الوقت نفسه تقريباً مستوطنة وقصور رأس ابن هانئ التابعة لأوغاريت أيضاً، ولم تقم قائمة لأوغاريت بعد ذلك، أما مستوطنة رأس ابن هانئ فقد أُعيد استيطانها بعد الكارثة بوقت قصير، ربما من قبل الغزاة أنفسهم[3] .

ثالثاً: غزو الامبراطورية المصرية

أولاً – الاحتياطات في عهد رعمسيس الثاني (١٢٩٠ – ١٢٢٤ ق.م)

لم تكن علاقة مصر بشعوب البحر منذ بداية ظهورهم في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد علاقة عدائية، لكن مع بداية الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨ – ١١٨٤ ق.م) تغيرت الأمور، وبدأت تأخذ طابع الصراع بين هذه الشعوب التي كانت ترغب في الدخول إلى الدلتا للاستقرار والاستيطان، وبين مصر التي كانت تريد الدفاع عن حدودها، كما يجب أن نؤكد أنه في هذه المرة لم يعد الأمر يتعلق باحتفاظ مصر

[1] سعادة، صفية، أوغاريت، ص١٠٣.

[2] عبد الرحمن، قصي، أوغاريت، ص ١٤٩– ١٥٠.

[3] كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠– ٣٠٠ ق.م، ص ١٦٤.

بسيادتها على الأقاليم الأخرى في آسيا، بل بأن الخطر كان على حدودها نفسها، وبالضبط حدودها الغربية، ويبدو أن نشاط سيتي الأول (١٣٠٨- ١٢٩٠ ق.م) الحربي على الحدود الغربية ضد القبائل الليبية لم يكن عملية حربية كبيرة استطاعت أن تقضي على الأخطار من هذه الناحية، وإنما عملية نجحت فقط في أن تحجب المتاعب المتوقعة من هذا الركن منذ زمن طويل[١].

وفي هذه الفترة – القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد- تعرضت منطقة حوض البحر المتوسط، والبلاد الواقعة إلى الشرق منه إلى تغيرات هائلة نتيجة هجرات جديدة لشعوب عدة ، أثارت التوتر في الشرق، وكانت في أصلها " هندو – أوربية " قادمة من القوقاز والبلقان، وقد انتشرت في كامل الحوض الشرقي للبحر المتوسط، واختلطت بسكان سواحله وجزره، وخلقت الرعب والتوتر والاضطراب[٢].

وقد أشارت المصادر الحثية إلى التوتر والنزاع الذي كان قائماً في المناطق الساحلية الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى بين ملك إقليم " أهييا‌واوا " وصاحب إقليم " زيباسلا "، كما أشارت إلى تلك المجاعة التي حلّت بهذه المنطقة، والتي جعلت مرنبتاح يقوم بتقديم مساعدات للإمبراطورية الحثية، فأرسل لها مدداً من القمح في السنة الرابعة من حكمه (١٢٢٠ ق.م)، وكذلك فعل ملك أوغاريت، ويبدو أن هذه الاضطرابات لم تقتصر فقط على سواحل آسيا الصغرى، وإنما امتدت حتى شمال سورية، لذلك نجد ما يشير إلى أن مرنبتاح لم يكتف بإرسال الحبوب إلى الحثيين، وإنما أرسل أيضاً جنوداً لمساعدة أوغاريت، وعلى أية حال، فإن وجود سيف هناك يحمل خرطوش مرنبتاح إنما يشير إلى نشاط عسكري للفرعون بغية القضاء على الاضطرابات في الشمال[٣].

وقد أرغمت هذه الظروف السيئة سكان هذه المناطق على الرحيل مع نسائهم وأطفالهم للبحث عن موطن جديد، إذْ اتجه بعضهم غرباً لينزلوا على شواطئ الشمال الإفريقي ويختلطوا بالسكان الأصليين من الليبيين ثم يحاولوا الهجوم على مصر، بغية التوغل إلى داخل الدلتا، وأول إشارة لهذا الهجوم والصدام مع شعوب البحر في النصوص المصرية تعود إلى عهد رعمسيس الثاني، وهنا تجب الإشارة إلى تلك الفقرة التي وردت في قصيدة " بنتاؤر " الخاصة باستعدادات رعمسيس الثاني لمعركة قادش ضد الحثيين، حيث

---

[١] جاردنر، سير ألن، مصر الفراعنة، ص٢٩٨.

[٢] مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، ص١١٤.

[٣] G.A.WAINERIGHT, Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٦, ١٩٦٠, P. ٢٤-٢٨.

نقرأ في السطر الثامن : " **إن جلالته قد جهز مشاته وعجلاته، والشردان أسرى جلالته، والذين أحضرهم بانتصار ذراعه القوية** "[١].

وقد خلقت هذه الفقرة اختلافات في وجهات النظر بين علماء المصريات، إذ يرى " دي روجيه " أن هذه الفقرة تعدّ أول إشارة إلى قتال بين شعوب البحر ومصر، وحسب رأيه– أي دي روجيه– فإن هذا القتال لم يكن في عهد رعمسيس الثاني، وإنما كان أثناء حملة والده " سيتي الأول " ضد التحنو، ثم يفترض بأن هذه الحملة كانت تحت قيادة رعمسيس الثاني الذي شارك والده في الحكم.[٢]

والرأي نفسه يذهب إليه " شاباس CHABAS "، فيؤكد أن هذا التعبير يدل على أن رعمسيس الثاني في بداية حكمه وقبل حملته للسنة الخامسة ضد الحثيين هزم الشردان[٣].

أما " ماسبيرو " فقد ذهب في تحليله إلى أبعد من ذلك، فيرى أنه في نهاية حكم سيتي الأول نزلت شعوب آسيا الصغرى (الشردان، تورشا) سواحل إفريقيا الشمالية، وأن الأمير الشاب رعمسيس الثاني هزمهم واستخدم أسراهم في جيشه، أما من أفلتوا من الهزيمة فقد رجعوا إلى آسيا الصغرى، وبذلك سلمت مصر من غزواتهم مدة قرن تقريباً[٤].

وفي مقابل هذه الآراء نجد رأي " ميلر M.MILLER "، الذي يعارض إمكانية قيام شعوب البحر بغزو مصر في عهد سيتي الأول، وبالنسبة له فإن تعبير " قصيدة بنتاؤر " يمكن تفسيره حرفياً على أن المصريين وعلى رأسهم الفرعون لم تكن لهم الجرأة الكافية على التصريح باستخدام الشردان كمرتزقة، فوصفوهم بأنهم أسرى، وحسب رأيه فإن هناك قراصنة من مناطق مختلفة وقعوا في الأسر، ولكن ليس بدرجة كافية ليصبحوا فرقة عسكرية كبيرة في الحرس المصري[٥].

وكانت هناك دلائل تشير إلى قيام رعمسيس الثاني بمحاربة شعوب البحر، ولو أنه لم يذكر سوى الشردان، ففي لوحة من تانيس تعود إلى عهده نجد فقرات تصف انتصاراته على عدد من الشعوب، ومن بينهم الشردان الذين خصصت لهم فقرة نقرأ فيها : " ..... **فيما يخص الشردان بقلب ثائر ... قدموا في مراكب الحرب من وسط البحر، وليس هناك من يستطيع أن يقف أمامهم** ". ويتضح من هذه الفقرة أن

---

[١] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٧٧, P.٣٠٧.
[٢] TADEUSZ SMOLENSKI, OP.CIT, P.٧٨.
[٣] Ibid, P.٧٩.
[٤] G. MASPERO, OP.CIT, P. ٢٦٢, ٢٦٦.
[٥] TADEUSZ SMOLENSKI, OP.CIT, P.٧٩,٨٠.

رعمسيس الثاني يتفاخر بأنه الأول الذي هزم الشردان[١]، وهذا ما تؤكده لوحة أخرى من أسوان تعود إلى السنة الثانية من حكم رعمسيس الثاني أيضاً، وفيها نقرأ: " **الملك دمر محاربي الأخضر العظيم، وبذلك أمضى الوجه البحري الليل نائماً في سلام** ".

ويؤكد " جاردنر ": أن هاتين الفقرتين المترابطتين توضحان أن الدلتا هُوجمت منذ سنوات عدة قبل عهد مرنبتاح عن طريق البحر، وأن الشردان قد اشتركوا في الهجوم، ولكن" جاردنر " مازال يشك في إمكانية قيام رعمسيس الثاني بصد هذا الهجوم، ويعتقد بأنه حدث في عهد أحد الملوك الذين سبقوه مباشرة[٢].

يظهر من بين المناظر مشهد للملك رعمسيس الثاني يشرف على توزيع السلاح، إذْ يذكر النص الملحق بالمنظر أن الجيش المصري يستعد لملاقاة العدو، يتوسط المنظر كاتبان يشاركان في توزيع الأسلحة كتب أعلاهما:

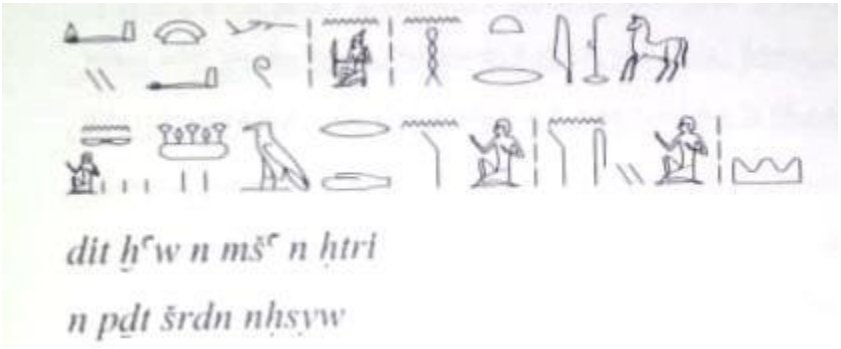

" **إعطاء الأسلحة للمشاة وراكبي العجلات ولقوات الشردانة والنوبيين** "[٣]

إضافة إلى كل هذا هناك دليل آخر يثبت على الأقل قيام رعمسيس الثاني باحتياطات مهمة تحسباً ربما لقيام شعوب البحر أو القبائل الليبية بالهجوم على مصر، وتتمثل هذه الاحتياطات في بناء سلسلة من القلاع والحصون الممتدة على طول شاطئ البحر المتوسط من " راكوته RHACOTIS " (وهو الموقع الذي قامت عليه مدينة الاسكندرية فيما بعد) إلى ما وراء منطقة العلمين، وقد بلغ عدد هذه القلاع التي كانت تحمي الركن الشمالي الغربي للدلتا ستاً، تمتد على مسافة ٢١٣ ميلاً، ومن أهمها: حصن الغربانيات جنوب بحيرة " مريوط MAREOTIS "، وحصن " البردان EL-BORDAN " في النهاية

[١] PAUL MERTENS, OP.CIT, P.٧١,٧٢.
[٢] A.H.GARDINER, OP.CIT, P.١٩٥,١٩٦.
[٣] W.F.EDGERTON, and J.A.WILSON, OP. CIT, P.٣٦.

الغربية من البحيرة، وحصن آخر عند العلمين[١]، وفي منطقة زاوية أم الرخم على بعد ١٨ كلم إلى الغرب من مرسى مطروح عثر على حصن آخر أيضاً، هذا إلى جانب العثور على لوحات من عصر رعمسيس الثاني عند العلمين، بل إلى أماكن أخرى بعد ذلك إلى الغرب منها[٢]، لكن هذه القلاع والحصون لم تلبث أن دُمرت بعد سبعين سنة من ذلك الوقت، بعد أن اندفعت القبائل الليبية ومعها خمسة من شعوب البحر صوب مصر، وذلك في السنة الخامسة من عهد مرنبتاح.

ثانياً – الغزو في عهد مرنبتاح (١٢٢٤– ١٢١٤ ق.م)

تولى مرنبتاح الابن الثالث عشر لرعمسيس الثاني الحكم خلفاً لوالده وهو شيخ طاعن في السن يناهز الستين من عمره، وكان قبل ذلك ولياً للعهد، وقائداً للجيش، وقد حكم عشر سنوات (١٢٢٤– ١٢١٤ ق.م) في رأي أغلب المؤرخين، وعشرين سنة في رأي أقلية منهم، وإن كانت الوثائق التي وصلت إلينا من عهده لم تذكر سوى السنة الثامنة من حكمه[٣].

لقد شهد عهد هذا الفرعون ازدياد خطر شعوب البحر على مصر من جهة الغرب، وأصبحت مشكلة الحدود الغربية خطيرة جداً، ويبدو أن الإجراءات التي اتخذها رعمسيس الثاني قد أثبتت كفاءتها لعدة سنوات إلا أن فترة الراحة الطويلة التي منحها لنفسه في نهاية حكمه أدت إلى إهمال الحراسة على الحدود وكذلك إهمال الجيش، وهذا ما يوضحه نقش الكرنك من عهد مرنبتاح ": .... **لقد هُجرت وأصبحت كمرعى للماشية بسبب الأقواس التسعة[٤]، وتُركت قاحلة منذ عهود الأجداد، جميع ملوك مصر العليا يقيمون في أهراماتهم .... ملوك مصر السفلى (استراحوا) في وسط مدنهم .... بسبب فقدان الجيش، فليس هناك رماة النبال يقفون ضدهم** "[٥].

---

[١] G.A.WAINERIGHT, The Meshwesh, Journal of Egyptian Archaeology, ٤٨, ١٩٦٢, P.٩٣.
انظر أيضاً: R.O.FAULKNER, Egypt: From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III, Cambridge Ancient History II, Chapter ٢٣, ١٩٧٥, P. ٢٣٠.

[٢] مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، ص١١٦.

[٣] مهران، محمد بيومي، مصر، ص١٤٠.

[٤] الأقواس التسعة: أعداء مصر، قسمهم المصريون إلى تسعة أصناف من الآسيويين والنوبيين والقبائل الليبية والبدو وغيرهم. انظر: سعد الله، محمد علي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الاسكندرية، ٢٠٠١، ص٨٥.

[٥] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٧٧, P.٢٤٢.

كما أن هذه السياسة السلمية التي اتبعها رعمسيس الثاني لم تكن تتفق والتحركات التي كانت تجري فيما وراء الحدود الغربية لمصر، ومن هنا تعرضت البلاد للخطر من جديد، ذلك أن الليبيين ظلوا يتدفقون نحو غرب الدلتا، ولم يكونوا يشكلون خطراً كبيراً يهدد مصر في أول الأمر حتى انضمت إليهم هذه الشعوب الجديدة القادمة من جزر بحر إيجه وسواحل آسيا الصغرى، وتذكر النصوص المصرية من هذه الفترة بعض " شعوب البحر " التي اتحدت مع القبائل الليبية المكونة من " الليبو والمشواش والقهق "[١]. فنجد " **الإقواش، التيرش، اللوكا، الشردان، الشيكلش، الشماليون القادمون من جميع البلاد** "[٢] وهذه الشعوب كما يرى "جاردنر" هم طلائع الهجرة الكبرى التي سيقدر لها أن تنزل على مصر وفلسطين من الشمال والغرب[٣].

وهناك أسباب عديدة وراء زحف الليبيين وشعوب البحر الذين اتحدوا معهم على مصر، ربما كان منها زوال شخصية رعمسيس الثاني ذات الشهرة الحربية، ولكن الأرجح أن الأسباب الاقتصادية هي التي كانت وراء هذا الزحف، إذ إن ليبيا بلد فقير لا يستطيع تلبية حاجات سكانه الأصليين، ولذلك كان سكان هذه المناطق المجاورين لمصر على مر التاريخ يحاولون الدخول إلى مصر التي كانت تستهويهم خصوبة تربتها، وليتمتعوا بالأمن والراحة فيها، وليتخلصوا من حياة الصحراء القاسية، وهذه الحقيقة نجدها في النصوص المصرية حين تصف تحركاتهم بأنهم: " **ظلوا يهيمون خلال الحدود ويقاتلون في سبيل ملء بطونهم يوماً بيوم، ثم أتوا إلى أرض مصر يبحثون عن طعام لأفواههم** "[٤].

وهذا يعني أنهم كانوا في قحط شديد، وما زاد الأمر سوءاً هذه المرة انضمام " شعوب البحر "، الذين وصلوا إلى الشاطئ الإفريقي مع نسائهم وأطفالهم، واختلطوا بالسكان الأصليين، وأجبروهم على الخضوع لهم، ومن ثم تحركت هذه الجموع طامعة في أن تعبر البراري إلى الدلتا، لتستقر في أرضها الخصبة، وقد فسر "ويلسون" الأسباب الاقتصادية لهذه التحركات تفسيراً آخر، فهو يرى أن شعوب البحر حين أخضعوا كريت أصبحوا الخلفاء الطبيعيين للتجارة المصرية الكريتية، وأنهم حين فكروا في الاتجاه جنوباً كان الشاطئ الإفريقي عند برقة أقرب إليهم من أية نقطة أخرى (١٨٠ ميلاً)؛ لأن أقرب ميناء مصري كان يبعد ضعف تلك المسافة تقريباً، ومن هنا نشأت علاقات ودية بين شعوب البحر وليبو برقة، وفضلاً عن

---

[١] R.O.FAULKNER, OP.CIT, P. ٢٣٣.

[٢] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٧٧, P.٢٤١.

[٣] جاردنر، سير ألن، مصر الفراعنة، ص٢٩٩.

[٤] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٨٠, P.٢٤٤.

ذلك فإنه من المحتمل أن التجارة المصرية البحرية قد تراجعت في تلك الفترة، ومن هنا ربما كان الصراع بين شعوب البحر ومصر من أجل تجارة البحر المتوسط، وربما كان هو السبب نفسه الذي جعلهم ينضمون إلى الليبيين ضد مصر في هذه الحرب[١].

ويبدو أن هذا الرأي منطقيٌّ إلى حد ما، إذ إن هناك تاريخاً طويلاً في حركة المرور البحرية بين ليبيا وكريت وبحر إيجه، وفي فترات مختلفة يظهر أن سكان بحر إيجه لهم علاقة مع ساحل إفريقيا الشمالية مستقلة عن مصر، ووجود رسومات للجنود السود في كريت، وبيض النعام في أحد القبور المسينية مؤشر على هذه العلاقة[٢].

إن هناك من يرى بأن العلاقة بين ليبيا ومصر من ناحية وكريت من ناحية ثانية تعود حتى إلى عصر ما قبل الأسرات، ولكن هذه العلاقة لم تتوطد إلا في عهد الدولة الحديثة[٣]، ويبدو أن المصريين كان لهم بعض المعرفة عن جغرافية كريت والمناطق الداخلية، ويتضح ذلك من خلال القائمة الجغرافية لأمنحوتب الثالث (١٤٠٥– ١٣٦٧ ق.م)، وفي القبور المصرية صور لمبعوثين إيجيين، أقدمهم يعود إلى بداية القرن الخامس قبل الميلاد (عهد حتشبسوت ١٤٩٠ – ١٤٦٨ ق.م)[٤].

إن الليبيين – العنصر الرئيس في هذه الحرب– لم يكونوا من الليبيين الذين يقطنون الصحراء، والذين كانت تربطهم بمصر صلة، بل كانوا من منطقة برقة المطلة على البحر[٥]، وإنهم قد هاجموا التحنو في طريقهم إلى مصر[٦]، ويعدّ هذا التهديد الخطير ضد مصر الأول من نوعه منذ أيام الهكسوس.

وهناك عدة مصادر مصرية تتناول غزو شعوب البحر والليبيين لمصر وهي : نقوش الكرنك[٧] ولوحة أتريب، وعمود القاهرة[١]، وجميع هذه المصادر تشير إلى الحوادث نفسها تقريباً وتحمل تاريخاً مُحدداً هو

---

[١] مهران، محمد بيومي، المغرب القديم، ص١١٧،١١٨.

[٢] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١٩٩.

[٣] فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق، ص٣٠،٣٥.

[٤] H.J.KANTOR, OP.CIT, P.٤١-٤٩.

[٥] ويلسون، جون، الحضارة المصرية، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦، ص٤٠٥.

[٦] R.O.FAULKNER, OP.CIT, P.٢٣٣.

[٧] هناك نص طويل على الجدار الشرقي من الداخل بمعبد آمون رع بالكرنك، ورغم أن الأسطر العليا بما فيها التاريخ قد ضاعت فبإمكاننا أن نكملها من المصادر الأخرى، ويعد هذا النص هو مصدرنا الأساسي عن هذه الحرب. للمزيد انظر Manassa .C, The Great Karnak Inscriptions of Merneptah: Grand Strategy in the ١٣th Century BC, New Haven, ٢٠٠٣.

السنة الخامسة من عهد مرنبتاح حوالي (عام ١٢٢٠ ق.م)، ويتضح من خلال هذه النصوص المصرية أن القبائل الليبية وحلفاءها من شعوب البحر شكلوا اتحاداً منظماً تحت قيادة الأمير الليبي " ماراي MARAYE " بن " ديد DID " ملك قبيلة الليبو التي ظهرت لأول مرة، وقد استطاع هذا الأمير كما ذُكر أن يجمع بين الحلفاء من جنسه " القهق والمشواش " إلى جانب خمسة من شعوب البحر " الإقواش، التيرش، اللوكا، الشردان، الشيكلش "، وتصفه النصوص المصرية بأنه: " **يأخذ معه كل محارب حسن، وكل رجل محارب من بلده، وقد أحضر معه زوجه وأطفاله** "[٢]، وكذلك فعل حلفاؤه إذ جاؤوا بنسائهم وأطفالهم، كما جاؤوا بالماشية، وثروة من الأسلحة والأدوات التي تم الاستيلاء عليها فيما بعد.

ومع ذلك فإن الحاجة هي التي دفعت بهم إلى هذه المغامرة، وتصورهم نقوش الكرنك بأنهم: " .... **كالديدان، لا يهتمون بأجسامهم، بل كانوا يحبون الموت ويحتقرون الحياة، وقلوبهم متعالية على أهل (مصر) ..... رؤساؤهم لقد أتوا إلى أرض مصر سعياً وراء الطعام الذي يسدون به أفواههم** " ويرى " جاردنر " أن الهجوم لابد أن يكون قد جاء من مكان بعيد في الغرب؛ من " برقة "، وربما من ورائها، ما دام التحرك الأول لـ " ماراي " كان يستهدف النزول على أرض تحنو واحتلالها، ولم يمض وقت طويل حتى غزوا القلاع الأمامية، بل إن بعضهم شق طريقه إلى واحة الفرافرة، ومع ذلك فإن النهر الكبير أو الفرع الكانوبي للنيل جعل حداً لتقدمهم[٣].

ومن خلال النصوص المصرية التي تروي قصة قدوم هؤلاء الغزاة يتضح أن رد فعل مرنبتاح لم يكن سريعاً، إذ نجد في عمود هليوبوليس[٤] أن الغزاة قدموا في الشهر الثاني من فصل الصيف[٥]، بينما لم تقع المعركة نفسها إلا في الشهر الثالث من عام ١٢٢٠ ق.م حسب نقوش الكرنك، مما يعطي مدة شهر كامل لـ " ماراي " لكي يتوغل في الدلتا، وهذا ما أخبرنا به نقش الكرنك: " ..... **الأقواس التسعة دمرت**

---

[١] عمود القاهرة: عبارة عن قطعة كبيرة من عمود الجرانيت اكتشفها في بداية الأمر " بروجش " ولكن لم ينشر محتواها، وقد تم نقلها من ساحة وزارة الأشغال العمومية إلى متحف القاهرة من قبل " ماسبيرو " الذي نشر محتواها عام ١٨٨١م. انظر: TADEUSZ SMOLENSKI, OP.CIT, P.٦٩ -٧٠

[٢] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٧٩, P.٢٤٣

[٣] جاردنر، آلن، مصر الفراعنة، ص٣٠٠.

[٤] ذكرت " كلير لا لوات " عمود هيلوبوليس، وربما المقصود هو عمود القاهرة، إذ إن عمود القاهرة هو المصدر الوحيد من بين المصادر المصرية الأربعة التي تتناول حروب مرنبتاح– نقوش الكرنك، لوحة أتريب، لوحة إسرائيل، عمود القاهرة– التي ذكرت الشهر الثاني من الفصل الثالث، وهذه المعلومات من " عمود هليوبوليس " نقلتها " كلير لالوات " من BAKRY, Aegyptus ١٩٧٣, Annol III, P.١١.

[٥] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P. ٢٧١.

الحدود والمتمردون يجتازونها .... لقد توغلوا لمرات عديدة في حقول مصر حتى النهر، إنهم هنا يقضون الأيام والشهور .... لقد وصلوا إلى تلال الواحة واستولوا على إقليم الفرافرة " تااحت "[١].

يتضح من هذا النص أن الهجوم كان على منطقة الفيوم وجنوبها أكثر منه على الحدود الغربية للدلتا، ويبدو أن غرض الليبيين حين هاجموا الحدود الغربية هو احتلال واحتي البحرية والفرافرة، لكي يجعلوا منهما مركزاً لاعتداءاتهم، والواحات في الصحراء كالجزر في المحيطات تعد ملجأً، ولكنها أرفع منزلة في أهميتها الحربية، ففيها الماء الذي يجعل الصحراء تحت إدارته التامة، كما يجعل طريق القوافل تحت رحمته، وتاريخ الحروب في الصحراء– في الأزمنة الحديثة والقديمة– يُظهر أهمية احتلال الواحات[٢].

ولكن هناك عقبات تقف أمام هذا الرأي، منها أن القوات العسكرية الكبيرة تصل إلى مصر عادة على طول ساحل البحر، ولكنها تصل بصعوبة من خلال الصحراء، وإن وجود شعوب البحر ضمن الغزاة واهتمامهم الواضح بموانئ مصر البحرية يوجههم نحو الدلتا، وبخاصة المنطقة التي حول الاسكندرية[٣].

وقد انتشرت أخبار الغزو في البلاد، وبدأ المصريون يشعرون بالخطر الداهم الذي يهدد وطنهم، خاصة أن ظهور هذه الأفواج كان مفاجأة للمصريين الذين لم يستعدوا لها، وقد أخذ القلق والفزع بفرعون مصر مأخذه[٤]، ولكنه أثبت بأنه فرعون عظيم قادر على ردع أعدائه، حيث جمع رجال بلاطه وهو " ثائر كالأسد "، وخطب فيهم قائلاً: "**.... إنكم تنزعجون كالطيور..... هل ستخرب البلاد..... وأقوام الأقواس التسعة قد أتوا إلى أرض مصر ليبحثوا عن طعام لبطونهم....؟**"[٥]، ثم أمر بتحصين الحدود والاهتمام بقلاع عين شمس ومنف " **ليحمي هليوبوليس** " **مدينة آتوم** "، **وليدافع عن حصن بتاح تاثنن، ولينجو من الشر**"[٦]، ثم يحشد جيوشه ويجهزها للقتال في ظرف أربعة عشر يوماً: " **وقد أمرت أرض مصر قائلاً .... تستعد للمسير في أربعة عشر يوماً** "[٧].

كما تضيف النصوص في وصف استعدادات مرنبتاح للحرب إذ يأمر " **بتجهيز الحشد العظيم في** " **مبر MEBER** "**حيث احتشد خير رفاقه وجيء بعرباته الحربية من كل مكان .... فهو لم يكن يهتم**

---

[١] Ibid, P. ٢٧١.

[٢] مهران، محمد بيومي، المغرب القديم، ص١١٨.

[٣] المرجع نفسه، ص١١٩.

[٤] أبو بكر، عبد المنعم، كفاحنا ضد الغزاة، ص٤٢.

[٥] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٨٠, P.٢٤٣.

[٦] Ibid, Parag ٥٧٦, P.٢٤١.

[٧] Ibid, Parag ٥٨٠, P.٢٤٥.

بمئات الآلاف في يوم الإعداد للقتال، وسار بمشاته، ووصلت الفرق العسكرية بالسلاح الثقيل وكان مظهرهم جميلاً وهم زاحفون ومن ورائهم رماة النبال ضد كل البلدان ".[١]

أحضر الأمير الليبي زوجه وأطفاله، وكذلك فعل حلفاؤه، كما جاؤوا بالماشية وكميات كبيرة من الأسلحة ، حيث تصفه نصوص مرنبتاح بالكرنك بالسطور (١٣-١٥) ما يلي:

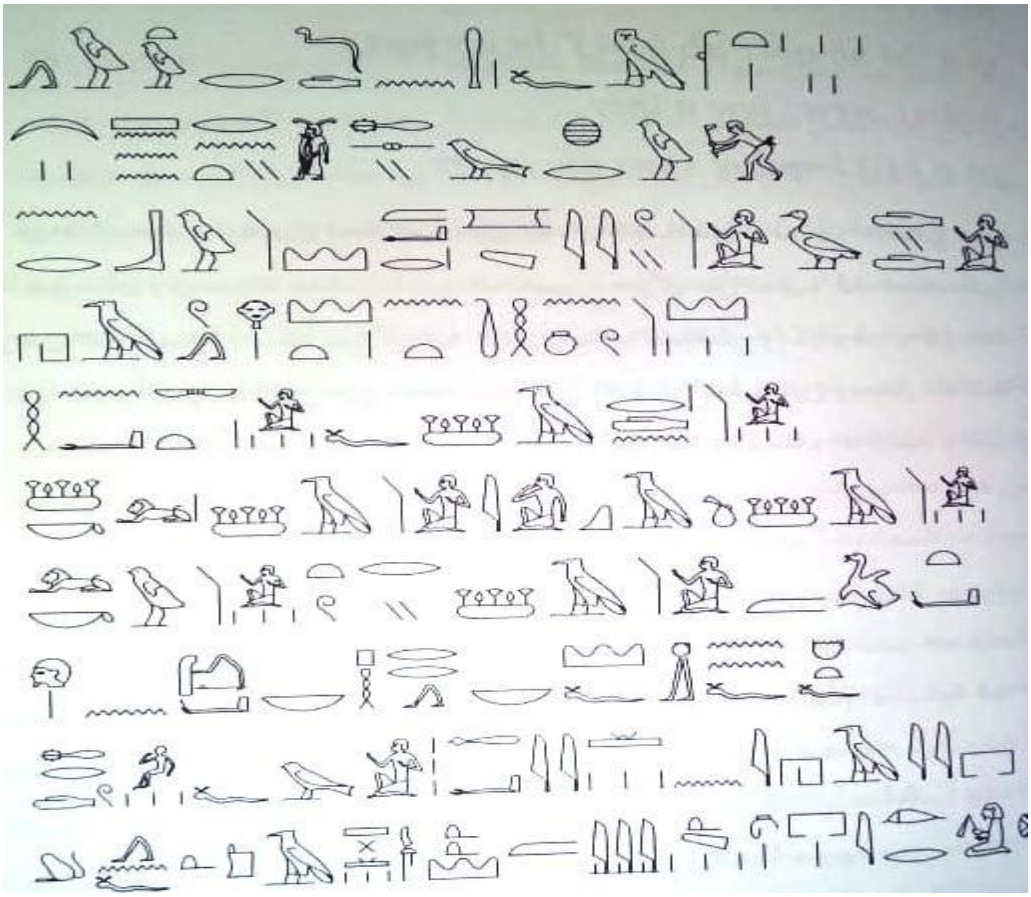

iw.tw r ḏd n ḥm.f m ḥ3t-sp 5

3bd 2 šmw r-nty wr ḫsy ḫrw

n rbw Mry s3 Ddy

h3 ḥr ḫ3st nt Ṯḥnw

[١] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٨١, P.٢٤٢.

" جاء شخص ليقول لجلالته، في العام الخامس، الشعر الثاني من الشمو، أن رئيس الأعداء الليبو الخاسئ مري بن ديد، قد صعد إلى أرض التحنو الأجنبية مع قواته الشردان والشكليش والإقواش واللوكا والتيرش، الذي يتكون من محاربين من أفضل المقاتلين وكل المشاة من بلاده الأجنبية، وقد أحضر زوجته وأطفاله ورؤساء الخيمة، ووصل إلى حقول برايرر عند الحدود الغربية"[١]

ويبدو أن مرنبتاح قبل أن يخرج للمعركة لملاقاة الغزاة هرع إلى إلهه " بتاح " يبتهل إليه ويدعوه النصر على عدوه، وأن ينجي وطنه من شرور المحن، ويتضح من النص المصري أن "بتاح" إله منف استجاب لدعائه حين أتاه في المنام يبشره بالنصر، ويشجعه على الخروج للقتال، ويعطيه بيده سيفاً ليضرب به العدو، ونقرأ في النص: " **وبعد ذلك رأى جلالته في المنام كأن تمثال بتاح واقف أمام الفرعون – له الحياة والفلاح والصحة – وكان مثل ارتفاع .... فتكلم إليه: خذ أنت، ومد له يده بالسيف وأبعد عنك أنت القلب الخائف** "[٢].

وخرج مرنبتاح على رأس قوته– وإن كان رأي " جاردنر " أنه لم يظهر بشخصه للقتال[٣]– لمقابلة العدو الذي كان قد عسكر على الجانب الغربي للفرع الكانوبي[٤]، ويعد هذا أول خروج للجيش المصري من مراكزه بعد خمسين سنة تقريباً من السلام[٥]، وقد توقف الجيشان في مكان اسمه " بر– ير Pr-Yr " في الدلتا الغربية، حيث وقفت طلائع القوات المتحالفة، واستمرت تحشد يوماً كاملاً استعداداً للهجوم[٦]، ورغم أن النصوص المصرية لم تذكر أعداد الجيش الليبي وحلفاءه من شعوب البحر، لكن قياساً على عدد القتلى والأسرى يظهر أن الغزاة كانوا يعدون بين ٢٠ إلى ٢٥ ألف محارب[٧]، وإن كان " عبد المنعم أبو بكر " يرى أنّ أية معركة تنتهي بقتل وأسر ما يقرب من ١٨ ألف شخص لابد أن تكون قد بدأت بجيش قد قارب في عدده على الأقل ثلاثة أمثال هذا العدد[٨].

---

[١] حسن، سليم، مصر القديمة، عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية، ج٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠، ص٨٦.

[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P. ٢٧٢.

[٣] جاردنر، سير آلن، المرجع السابق، ص٣٠٠.

[٤] الفرع الكانوبي أبعد فروع النيل غرباً.

[٥] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P. ٢٧٢.

[٦] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٨٣, P.٢٤٥.

[٧] البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم، ص١١٤.

[٨] أبو بكر، عبد المنعم، كفاحنا ضد الغزاة، ص٤٤. ، وانظر: ويلسون، جون، الحضارة المصرية، ص٤٠٥.

لقد أحسن مرنبتاح اختيار موقع المعركة في منطقة الدلتا الغربية، مما سهل عليه الانتصار على أعدائه، فلم يكن من السهل على القوات المهاجمة أن تجتاز هذا الموقع، كما أحسن القيادة أيضاً، إذ أعطى المغيرين الوقت الكافي ليستكملوا تنظيم صفوفهم، ولم يضيّع أي جهد في الدخول في مناوشات أو حرب غير حاسمة مع قواتهم المتقدمة، ولما تم كل شيء واصطف الجيشان وجهاً لوجه بدأ المشاة المصريون يطلقون وابلاً من سهامهم التي كانت تفوق في مداها وقوتها سهام الغزاة، ونتيجة لذلك دبت الفوضى بين صفوفهم وبدؤووا يتراجعون، وقد حاول " ماراي " عبثاً أن يعيد تنظيمهم، ولكن تراجعهم تحول إلى هزيمة ساحقة، وراح الفرسان المصريون خلالها يطاردونهم، بينما استمروا هم في الهرب[١].

ولا شك في أن هذا النصر الذي حققه المصريون يمكن أن يُعزى إلى اختيار مرنبتاح الموفق لمكان المعركة، وما تميز به هذا الفرعون من شجاعة وإقدام فضلاً عن الدور الكبير الذي لعبه النبالة المصريون الذين تمكنوا من صد المهاجمين[٢].

ويبدو أن هذه المعركة كانت مجزرة بشرية رهيبة، بلغ فيها القتال غاية الشدة والعنف، رغم أنها لم تستمر أكثر من ست ساعات حسب ما ورد عنها في النصوص المصرية، ودليل هذه الشدة عدد القتلى والأسرى الذين سقطوا أو أُسروا بعد انتهاء المعركة، إذ بلغ عدد القتلى من الليبيين ٦٢٠٠، ومن شعوب البحر ٢٣٧٠ كما بلغ عدد الأسرى من الفريقين ٩٣٧٦ بين رجل وامرأة، من بينهم نساء القائد الليبي وأولاده وأخوته[٣]، ومن الواجب أن نذكر بالتفصيل عدد أسرى شعوب البحر، إذ نلاحظ أن " الإقواش " كانوا يشكلون أكثرية الأسرى، إذ بلغ عددهم ٢٢٠١ أسيراً مقابل ٧٤٢ من تيرش، و٢٢٢ من شيكلش، بينما لم تذكر النصوص عدد أسرى الشردان واللوكا[٤].

وقد اجتاح المصريون المعسكر الليبي، وأشعلوا النيران في خيامه، كما استولوا على أمتعة الأمير " ماراي " الخاصة بما فيها فضته وذهبه وأوانيه البرونزية وأثاث حريمه وعرشه وسهامه، وكل ما كان قد أحضره معه من بلاده بالإضافة إلى ثيرانه وغنمه، وكانت الغنائم التي استولى عليها المصريون ضخمة،

---

[١] البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم ص١١٤.

[٢] مهران، محمد بيومي، المغرب القديم، ص١٣١.

[٣] أبو بكر، عبد المنعم، كفاحنا ضد الغزاة، ص٤٤.

[٤] N.K.SANDRAS, OP.CIT, P. ١١٤.

وقد أدرجت في قائمة الغنائم لمرنبتاح، فنجد في نقش الكرنك أن هناك: " **٩١١١ من سيوف المشواش النحاسية، مواشي متنوعة : ١٣٠٨، الأواني المتنوعة : ٣١٧٤** "[١].

وتضيف " كلير لا لوات " مؤكدة أن عمود هليوبوليس يذكر نفس عدد الأسرى، لكن بالنسبة للغنائم والأسلاب فهو أكثر إيضاحاً، ومنه: " **حلي الذهب والفضة : ٥٣١، الأواني البرونزية: ٣١٧٤، الأحصنة : ٤٤، الثيران الحية، الحمير، الماعز، الكباش : ١١٥٩٤، قطع الكتان الملكي : ٦٤، السيوف : ٩٢٦٨، الأقواس : ٦٨٦٠، السهام والرماح : ١٢٨٨٦٠ ... وهكذا كل أمتعتهم** "[٢].

لقد انتهى غزو الليبيين وحلفائهم من شعوب البحر لمصر بهزيمة ساحقة للمهاجمين، وكُتب النصر للمصريين، وقد وصف النص المصري هروب أمير الغزاة وحيداً، فنقرأ : " **وهرب العدو الخسيس أمير الليبو وحيداً في جنح الظلام، ولم تكن فوق رأسه ريشة، وقدماه حافيتان وزوجاته مقبوض عليهن أمام ناظريه، وقد أخذت منه وجبة طعامه، ولم يكن هناك في سقائه ما يحفظ عليه حياته، وبدت وجوه أخوته متوحشة للبطش به، وقواده يحارب الواحد منهم الآخر، أما معسكرهم فقد أُحرق وتحول إلى رماد، وأصبحت كل أمتعته طعاماً للجنود** "[٣].

وأثناء هروبه كان قد مر بمركز مصري على الحدود الغربية، وعلم ضابط القلعة به فبعث للبلاط المصري بتقرير عن الحادثة جاء فيه: " **(قائد القلعة الغربية بعث بتقرير للبلاط قائلاً):" جاء ماراي المنهزم، لقد هرب بسبب جبنه، ومر بالقرب مني في منتصف الليل ... لقد انهزم لأن جميع الآلهة تحمي مصر، كل مفاخره أصبحت عديمة وكل ماقاله وقع ثانية على رأسه، لا ندري الآن إن كان حياً أو ميتاً** "[٤].

وكان " ماراي " قد اكتشف بعد انهزامه أن سلطته على قومه تتوقف على نجاحه العسكري، شأنه في ذلك شأن زعماء البربر القدماء، لذلك انقلب عليه رجاله وأطاحوا به، ولم يبقوا على حياته إلا احتراماً لإمارة أسرته : " **.... وعندما وصل إلى بلاده كان كل واحد ... ناقماً عليه، وكان يتعثر في خزيه...** "[٥]،

---

[١] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٨٩, P.٢٥٠,٢٥١.
[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP.CIT, P. ٢٧٤.
[٣] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٦١٠, P.٢٦٠.
[٤] ,Ibid, Parag ٥٨٦, P.٢٤٦.
[٥] Ibid, Parag ٦١٠, P.٢٦٠.

ثم يضيف نص آخر : " ... **إذا كان حياً، فإنه لا يستطيع أن يتولى القيادة، لأنه أخفق وأصبح عدواً لجيشه .... لقد وضعوا (قائداً) آخر في مكانه اختير من بين إخوته....** "[١].

كما نجد وصفاً لوقع النكبة على الغزاة المغلوبين، وعن حالة ليبيا: " .... **شاباً يقول لزميله : لم يحدث لنا شيء من ذلك (إطلاقاً) منذ عهد رع، وشيخاً يقول لولده : وانكبتاه على ليبيا، حرم أهلها المعيشة الطيبة، وما عادوا يمرحون في الحقول، فقد قضي على تجوالهم في يوم واحد، كما قضي على التحنو في عام واحد، فقد حول الإله ست ظهره عن رئيسهم، وخربت مساكنهم بسلطانه، ولا يوجد عمل لحمل السلال في ذلك اليوم ....** "[٢].

وهكذا انتهى تهديد الليبيين وشعوب البحر للحدود الغربية لمصر، واطمأنت مصر فترة من الزمن، وقد احتفل المصريون بهذا الانتصار، وصور الشاعر عودة السلام في اللوحة المسماة بـ " لوحة مرنبتاح "، ومنها: " **يستطيع الإنسان أن يمشي بخطوات ثابتة؛ لأنه لا أثر للخوف في قلوب الناس، وقد تركت الحصون وشأنها، وأصبحت الآبار مباحة، يستطيع أن يردها كل مسافر، وأبراج الجدران هادئة تغمرها الشمس حتى يستيقظ حراسها، والمجا (المازوري)[٣] يتهددون خارجها، وكأنهم نيام، أما " ناو Nau " و " تكتن Tekten "[٤]، فهم في المروج يمرحون كما يرغبون، وماشية الحقول منطلقة على حريتها، تسير بدون راع، حتى في أثناء عبورها مياه القنوات، وليس هناك صياح بالليل : قف : انظر : إنه شخص قادم، قد أتى يتكلم لغة الأجانب، بل يذهب الإنسان ويجيء وهو يغني ولا يسمع المرء إنساناً يصيح كأنما هناك حزن، وعمرت المدن ثانية، والذي حرث محصوله سوف يأكله (يحصده)؛ لأن " رع " أعاد نفسه ثانية إلى مصر، وقد ولد، وهو مقدر له أن يدافع عنها، ملك مصر العليا والسفلى با ان رع، مري آمون، ابن رع، مران بتاح، حوتب حرماعت** " [٥] .

وفي نهاية هذه القصيدة نجد ذكراً لعدد من البلدان والقبائل التي لم تكن في هذه الفترة في حرب مع مصر، ولكن مع ذلك تؤكد القصيدة بأنها خضعت جميعها لمصر، فنقرأ : " **لقد خضع الملوك صائحين :**

---

[١] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, III, Parag ٥٨٦, P.٢٤٧.

[٢] Ibid, Parag ٦١١, P.٢٦١.

[٣] المجا أو المازوري كانت تطلق على قبائل نوبية قوية اشتهرت بالقيام بالحراسة. انظر: مهران، محمد بيومي، المغرب القديم، ص١٢٢.

[٤] ناو ، تكتن : هم حرس الحدود الصحراوية. انظر: المرجع نفسه، ص ١٢٣.

[٥] مهران، محمد بيومي، المغرب القديم، ص١٢٢-١٢٣.

سلاماً سلاماً، ولم يرفع رأسه فرد من قبائل الأقواس التسعة، أتلفت أرض التحنو، وخربت خاتي أراضي كنعان سلبت بقسوة، عسقلان أخذت وكذلك جازر، يانوعام (YANOAM) أصبحت كأنها لم تكن، إسرائيل أتلفت، بذرتها اختفت، أما سورية فأصبحت أرملة لمصر، لقد اتحدت جميع البلدان، وخيم السلام، وكل واحد من الذين تشردوا جميعهم الآن ملك مصر العليا والسفلى، با ان رع، ابن رع، مران بتاح، واهب الحياة، مثل رع كل يوم "[١].

عموماً، فقد استطاعت مصر أن تهزم هذا التحالف على طول الحدود الغربية للدلتا، ويعود الفضل في ذلك – كما أشرنا – إلى شخص مرنبتاح الذي صوره الشاعر بأنه: " **الشمس التي أزاحت الغمام العاصف من فوق مصر، والتي جعلت مصر (توميري) ترى أشعة القرص تزيح جبال النحاس عن رقاب أبناء البيوتات ومانح الأنفاس للعامة الذين كادوا يختنقون، محرر قلب حيكو بتاح (منف) من أعدائها** "[٢].

لقد أظهرت مصر قوتها وتفوقها على هؤلاء الغزاة الأجانب، ولو أن ذلك كله كان لفترة، إذ ما لبث أن عاودت شعوب البحر هجومها على مصر براً وبحراً، وإن كان هذه المرة من الجهة الشرقية، إذْ تصدى لهم رعمسيس الثالث واستطاع أن يفسد محاولتهم.

ثالثاً – الغزو في عهد رعمسيس الثالث (١١٩٤– ١١٦٢ ق.م)

١– حرب السنة الخامسة (١١٨٩ ق.م):

جاء رعمسيس الثالث إلى الحكم خلفاً لوالده " ست نخت "، ويعده (مانيتون) المؤسس الحقيقي للأسرة العشرين، وقد ولد له من زوجه " تي مرن إيزه " التي كانت تلقب بـ " زوجة الإله العظيمة وزوجة الملك "، وصُورت على لوحة من أبيدوس جالسة ومتعبدة مع " ست نخت "، مما يدل على أنها كانت زوجة له، كما صُورت على قطعتي حجر من أبيدوس أيضاً تالية لرعمسيس الثالث، وبدون أي لقب مما يشير إلى أنها كانت أماً له[٣].

حينما تولى رعمسيس الثالث العرش كانت الأوضاع الخارجية في غاية الخطورة، فمن الجهة الغربية لمصر لم تتوقف القبائل الليبية ومعها شعوب البحر منذ هزيمتهم أمام مرنبتاح من تنظيم أنفسهم والتسلل

---

[١] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P.٢٧٦,٢٧٧.

[٢] جاردنر، آلن، مصر الفراعنة، ص٣٠١.

[٣] مهران، محمد بيومي، مصر، ص١٤٤.

داخل الدلتا[١]. أما من الجهة الشرقية والشمالية فإن علاقة مصر بإمبراطوريتها الآسيوية كانت قد مرت بفترة هدوء بعد المعاهدة المصرية- الحثية في عهد رعمسيس الثاني، إذْ شهدت خلالها بعض الازدهار التجاري بين مصر والمدن الفينيقية، إلا أن هذا الهدوء لم يستمر طويلاً إذ تعرضت دول وممالك الشرق الأدنى القديم في هذه الفترة إلى هجرات الأقوام الهندو – أوربية التي تسببت بدورها في موجات هجرات أخرى من الأقوام الذين اندفعوا إلى هذه المناطق، وكانوا السبب الرئيسي في انهيار الإمبراطورية الحثية واختفائها من خريطة الشرق الأدنى القديم رغم المجهودات الجبارة التي بذلها الامبراطور الأخير "شوبيليوما الثاني".

وقد توسعت موجة هذه الهجرات نحو الجنوب من سيليسيا، ونهارينا، وبلاد أمورو، كما دمرت وحرقت الموانئ الفينيقية الكبيرة مثل أوغاريت، وقد تعرضت جزيرة قبرص بدورها إلى التدمير، ثم بعد ذلك سيطرت هذه الشعوب الهندو- أوربية على كنعان واستقرت في الممتلكات المصرية في سورية وفلسطين، وأصبحت تهدد مصر نفسها، ولكن رعمسيس الثالث استطاع صد هؤلاء المحاربين سواء الذين قدموا عن طريق البر أو عن طريق البحر[٢].

أما عن تطورات هذه الحرب أو هذا الغزو الذي تعرضت له مصر، وسير المعركة والاستعدادات التي قام بها رعمسيس الثالث، فإن هناك سلسلة من المناظر الرائعة المصورة على جدران معبد مدينة هابو، بالإضافة إلى النصوص المصاحبة لها[٣]. كما تقدم لنا بردية هاريس المشهورة تفاصيل هذه الحوادث وهذه النقوش تشير بصفة عامة إلى الحروب التي خاضها رعمسيس الثالث، وهي مكتوبة بلغة شعرية لكنها مليئة بالعبارات الرنانة والمبالغة الكبيرة، شأنها في ذلك شأن النقوش والنصوص التي تعود إلى عهد رعمسيس الثاني، إذ يلعب المجاز فيها دوراً كبيراً، فضلاً عن كثير من الصفات والنعوت وعبارات المديح والإطراء للفرعون ونصره على العدو، وذلك على لسان موظفيه من رجال البلاط، ولكن ذلك لا يخلو- بطبيعة الحال- من الحقائق،- وإن قلّت-، ورغم هذا فهي ذات أهمية قصوى خاصة أنها مصدرنا الوحيد عن هذه الحروب.

---

[١] R.O.FAULKNER, OP.CIT, P.٢٤٢.

[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P. ٣٠٠, ٣٠١.

[٣] إرمان، أدولف، ورانكة، هرمان، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، د.ت، ص٦٢٢.

كما أن هناك اختلافاً بين المؤرخين حول نقش السنة الخامسة الذي يتناول في الأساس الحرب الليبية، ولكن وُجدت بعض الفقرات من هذا النقش تشير إلى حروب قام بها رعمسيس الثالث ضد الآسيويين والشماليين، وهذه الفقرات مشابهة لما ورد في نقوش السنة الثامنة الخاصة بحربه ضد شعوب البحر، ويرى كل من " دريوتون وفانديه " أنه ليس من المحال أن يكون رعمسيس الثالث قد قام بصد هجوم شعوب البحر مرتين خلال أربعة أعوام، إلا أنه أكثر قرباً إلى الحق أن نظن أن نصوص السنة الخامسة– الخاصة بالحملة الليبية الأولى– مؤرخة بتاريخ سابق، وأنها تشير إلى حملة السنة الثامنة، وأنه من المؤكد أن كتابات مدينة هابو نُقشت بعد الحوادث، فلا عجب إن وجدنا شيئاً من عدم الدقة في التتابع الزمني للحوادث[١].

وتؤكد " كلير لا لوات " أنه من الممكن أن يكون هذا الجزء من النقش يتعلق في الواقع بحملة السنة الثامنة، التي حارب فيها المصريون شعوب الشمال، وأنه وُضع هنا خطأً، ولعل هذه هي الفرضية الأكثر قبولاً[٢].

ولكن هناك من يعتقد أنه حدث تحالف بين شعوب البحر والليبيين في هذه الحرب كما حدث في أيام مرنبتاح، فـ " برستد " يرى أن هناك فريقاً من شعوب البحر اتجهوا بأساطيلهم التي يقودها رجال مغامرون إلى شواطئ الدلتا، متبعين أساليب النهب والقرصنة أينما حلوا، وحينما وصلوا إلى شواطئ إفريقيا انضم إليهم الليبيون الذين كانوا يأملون في نهب أراضي الدلتا الخصبة واحتلالها، ثم تقدموا معاً – براً وبحراً – حيث قابلهم رعمسيس الثالث وحدثت بينهم معركة انتهت بهزيمتهم[٣] . ونفس الرأي تقريباً تذهب إليه " كلير لا لوات "، إذ تؤكد أن هذه الفقرات – التي وضعت في مجرى القصص المتعلقة بالحملة الليبية للسنة الخامسة – تحمل شهادة على أن شعوب البحر المستقرين في آسيا قاموا بإرسال بعض الجنود المشاة والسفن الحربية لمساندة الليبيين[٤].

أما " جون ويلسون " فيرى أن مناظر الحرب العشرة الموجودة بمدينة هابو لا تصور أعداءً، باستثناء جيش (ريبو أو ليبو– تحنو)، وشعوب البحر المصورين كانوا يحاربون من جانب مصر كمرتزقة، كما

---

[١] دريوتون، فانديه، مصر ، ص٤٨٢،٤٨٣.

[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P.٣٠٦.

انظر أيضاً: ALESSANDRA NIBBI, OP.CIT, P. ٤٥- ٤٨.

[٣] مهران، محمد بيومي، حركات التحرير في مصر القديمة، ج٣، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧٦، ص٢٥٢.

[٤] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P. ٣٠٦.

أن النقوش المصاحبة لم تذكر الشماليين إطلاقاً، وأن نقش السنة الخامسة الذي يعطي بيانات عن هذه الحرب يقسم قسمين، قسم يعالج الحرب الليبية الأولى، وقسم منفصل يعالج الحرب ضد شعوب الشمال، وأن المعركتين بقيتا مختلفتين، ومن هنا فليس هناك تحالف، خاصة أن الاشتباك الحاسم كان على حافة الصحراء في الركن الشمالي الأقصى من الدلتا[١].

وهذا الرأي أكده " ساندارز " أيضاً الذي يعتقد أن الشماليين لم يكونوا قط في صفوف الأعداء الليبيين الذين هاجموا مصر في السنة الخامسة من عهد رعمسيس الثالث، ولكن من الممكن أن يكون بعض الأعداء القدماء الذين حاربوا مرنبتاح في الحرب الليبية مثل " الإقواش، تيرش، شيكلش "، وبشكل خاص " الشردان " قد أصبحوا محاربين في صفوف الجيش المصري يقاتلون ضد حلفاءهم السابقين؛ لذلك ظهروا في الرسومات الحربية[٢].

وعموماً يبدو أن حرب السنة الخامسة كانت في جملتها من الليبيين، وإن كان هذا لا يمنع من أن بعضاً من شعوب البحر قد ساعدوا الليبيين في حملتهم هذه على مصر، وإن لم يكن ذلك بصورة رئيسة، ويتضح هذا من خلال فقرتين مميزتين من هذا النقش، إذْ تشير إلى قيام رعمسيس الثالث بحرب ضد الآسيويين والشماليين من شعوب البحر، ويتعلق الأمر في الفقرة الأولى ببلاد أمورو إذْ نجد: " **أن رئيس أمورو قد أصبح رماداً، وبذرته قد انقطعت وأخذ كل قومه أسرى وشتتوا وأخضعوا، وكل من بقي على قيد الحياة في بلاده، كان يأتي بالثناء ليروا شمس مصر العظيمة تطلع عليهم، جمال قرص في وجودهم، والشمسان (شمس السماء الملك شمس مصر) اللذان يطلعان ويضيئان الأرض : شمس مصر، والشمس التي في السماء. ويقولون الرفعة لرع، إن أرضنا قد خربت، ولكننا في أرض الحياة التي محي منها الظلام، ملك مصر العليا والسفلى : أوسر ماعت رع مري آمون، ابن رع : رعمسيس الثالث** "[٣].

---

[١] مهران، محمد بيومي، المغرب القديم ، المرجع السابق، ص١٢٦.

[٢] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٣٢,١٣٣.

[٣] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, Historical of Ramsses III, PLS ٢٧-٢٨, P.٢٢,٢٣.

كما نجد في السطور ٢٠-٢٢ : " **لقد أحضر الأعداء مع الآسيويين والليبيين (أسرى) هؤلاء الذين خربوا مصر فيما مضى، حتى جعلوا الأرض قاحلة، وفي خراب تام منذ بدء الملوك، في حين أنهم قد اضطهدوا الآلهة، وكذلك كل فرد، ولم يكن هناك بطل يستقبلهم (للقتال) عندما ثاروا** "[١] .

وهكذا يبدو أن رعمسيس الثالث قام بحرب ضد الآسيويين في بلاد أمورو – ربما في الفترة السابقة لحرب السنة الخامسة –، وقد استطاع أن يقضي عليهم كما يبين ذلك النص المذكور.

لكن الفقرة التي أثارت الجدل والاختلاف بين المؤرخين تبدأ من السطر الخمسين، إذْ يدور الكلام على وقائع أكثر دقة فنعلم أن مصر كانت مهددة من قبل شعوب البحر المتجهة نحو الدلتا براً وبحراً، وإن اقتصر ذكر هذه الشعوب على شعبين أو ثلاثة، وقد عدَّ " ساندارز " هذه الحوادث غير حقيقية، والنص (ليس إلا تفاخراً) مبالغ فيه لرعمسيس الثالث[٢]، إذ نقرأ فيه : " **بلدان الشمال ارتعدت في أجسادها، وبالتحديد البلست والثيكر .... الذين اقتطعوا من أرضهم، وكانت روحهم محطمة حين قدموا. وقد كانوا محاربين thr[٣] في البر، وفي البحر (الأخضر العظيم) الذين قدموا عن طريق البر هزموا وذبحوا .... لأن آمون رع كان وراءهم وحطمهم، أما الذين دخلوا في أفواه النيل فقد كانوا كالطيور التي وقعت في الشبكة المنصوبة.... وقد اقتلعت قلوبهم ولم تعد داخل أجسادهم، ورؤسائهم سلبوا وذبحوا وأصبحوا أسرى....**"[٤].

وبالإضافة إلى هذا النص الذي يذكر اسم شعبين فقط من الغزاة نجد أن هناك منظراً يظهر الملك وهو يقدم الأسرى إلى آمون إذ نقرأ : " **ذراعي القوية هزمت الذين قدموا ليثنوا على أنفسهم : البلست، الدنن، وشيكلش** "[٥].

وهكذا يتضح من خلال هذه النصوص أنه من الممكن أن يكون رعمسيس الثالث قد أرسل أسطولاً بحرياً إلى البحر المتوسط، ليقضي على سفن شعوب البحر التي توغلت في الدلتا، في الوقت الذي أوقف فيه الجيش المصري تقدم الشعوب الليبية من الناحية الغربية، ولذلك فمن المحتمل جداً أن هناك معركة

---

[١] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, Historical of Ramsses III, pls ٢٧-٢٦, p.٢٣.
[٢] N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١٣٢- ١٣٣.
[٣] كلمة لم يُعرف معناها الحقيقي إلا أنها تُستخدم في الغالب لتقصد جنود العربات، وقد استخدمت للمحاربين الحثيين في معركة قادش. انظر: مهران، محمد بيومي، مصر، ص ١٢٥.
[٤] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON OP. CIT, PLS ٢٧-٢٨, P.٣٠,٣١.
[٥] Ibid, PLS ٤٤, P.٤٧.

بحرية أولى في السنة الخامسة، أما معركة السنة الثامنة فهي المعركة الثانية، ورغم أن تفاصيل هاتين المعركتين متقاربة أحياناً، إلا أن معركة السنة الثامنة شارك فيها شعوب أخرى من غير البلست والثيكر، كما أن حوادثها رُويت بطريقة مختلفة إلى حد ما.

ومن الممكن أيضاً أن يكون الأسطول المصري قد أنزل بعض الجنود المشاة لكي يردوا العدو المتقدم عن طريق البر، وربما هذا ما تعنيه عبارة " آمون رع وراءهم "[١].

٢ – حرب السنة الثامنة (١١٨٦ ق.م)

كانت السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث من أقسى السنوات على مصر، إذ تغيرت الأمور، وازداد خطر شعوب البحر الذين قدموا هذه المرة من الناحية الشرقية والشمالية، وعن طريق البر والبحر وبأعداد غفيرة بهدف الاستقرار في أراضي المراعي الغنية، ليس في الدلتا وحدها بل في سورية وفلسطين أيضاً، لذلك جاؤوا ومعهم نساؤهم وأطفالهم في عربات ذات عجلات تجرها ثيران ذات سنام[٢].

وقد وُصفت هذه الشعوب المعادية لمصر وصفاً رائعاً في النقوش المصرية وبشكل خاص الصور التي سجلت المعركة البحرية الفريدة من نوعها. أما النصوص المكتوبة فقد امتزجت بحديث مليء بالزهو موجه من رعمسيس الثالث إلى أبنائه ورجال بلاطه.[٣] وأشهر هذه النصوص نص السنة الثامنة الذي يذكر : "**.... إن البلاد الأجنبية قد قامت بمؤامرة في جزرها وقد زعزعت المعركة وبعثرت البلاد كلها في وقت واحد، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم، وقد ابتدؤوا بـ " خاتي " وقودي (قدي) وقرقميش ويرث (أرزاوا) ويرس (ألاشيا– قبرص)، لكنهم سحقوا في وقت واحد وأقاموا معسكراً في مكان واحد في أمور (أمورو)، وقضوا على شعبها وأرضها فأصبحوا كأن لم يكن لهم وجود من قبل، وقد اتجهوا نحو مصر، واللهب مُعد أمامهم، وكان حلفهم مكوناً من " البلست والثيكر والشيكلش ودنين (دانونا) ووشش " متحدين جميعاً، ووضعوا أيديهم على البلاد جميعها إلى محيط الأرض كلها، وقلوبهم تردد في ثقة " سوف تنجح خُططنا "**[٤].

---

[١] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P. ٣٠٧,٣٠٨.

[٢] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON OP. CIT, PLS ٣٢-٣٤, P.٣٨.

[٣] جاردنر، سير آلن، مصر الفراعنة، ص٣١٣.

[٤] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON OP. CIT, PLS ٤٦, P.٥٣.

ويتضح من خلال النص أن هجرات شعوب البحر تحركت جنوباً في آسيا الصغرى ناشرة الخراب والدمار في جنوب الأناضول وسورية وقبرص، ويبدو أن هذه الجماعات قد اتخذت لها مركزاً برياً في بلاد أمورو التي كانت دائماً المركز العدائي القديم للامبراطورية المصرية، وقد ذكرنا أعلاه أن رعمسيس الثالث أخضعها منذ سنوات قليلة.

ولكن الهجوم على مصر لم يقتصر على البر من أمورو، وإنما كانت هناك تحركات أخرى عن طريق البحر، ولم يكن رعمسيس الثالث غافلاً عن تحركات هذه الشعوب، لذلك نجده يقوم بالاستعدادات اللازمة لمواجهتها سواء من ناحية البر أو البحر، وقد وصفت النصوص المصرية هذه الاستعدادات، إذْ نقرأ : " **قلب هذا الإله، سيد الآلهة، كان مستعداً ومجهزاً لاقتناصهم كالطيور لقد دعمت حدودي في زاهي، وأعددت أمامهم الأمراء المحليين، وقواد الحاميات والماريانو**[١] **وأمرت بأن يجهز مصب النهر (دلتا النيل) كسور قوي بالسفن الحربية والغلايين والقوارب التي كانت مجهزة تماماً من مقدمتها حتى مؤخرتها بمحاربين شجعان مسلحين، ومن المشاة من خيرة رجال مصر الذين كانوا كالأسود المزمجرة فوق الجبال، أما العربات فكان بها المحاربون الأكفاء وكل الضباط الممتازين ذوي الأيدي القادرة، وكانت خيولهم ترتعد، كل مفاصلها مستعدة لسحق البلاد الأجنبية تحت حوافرها**"[٢].

ولم تقف النقوش عند الوصف الكتابي فقط، بل إن مناظر من مدينة هابو تقدم لنا صورة لهذه الاستعدادات تصاحبها النصوص– التي تعود إلى نقش السنة الخامسة الذي أثار الجدل الكبير كما ذكرنا من قبل،– ويبدو أن رعمسيس الثالث قد بدأ استعداداته وتجهيزاته للمعركة مع الجنود المشاة وجنود العربات، وقد سهر بنفسه على تجهيز الجيش، حيث نشاهده يقف على المنصة؛ ليشرف على توزيع المهمات، وفوقه رجل ينفخ في البوق للنداء، بينما حاملو الأعلام والضباط يحيونه، أما أسفل ذلك فنشاهد أحد الأمراء يُصدر أوامره التي يقوم الكاتب بتدوينها، وآخرون يسجلون وحدات الجيش ويُحصون التجهيزات الموزعة من خوذات وحراب وأقواس وسيوف ودروع وكنانات وغيرها من معدات الحرب.

وقد خاطب رعمسيس الثالث موظفيه ورفاقه وقادة جيشه من المشاة وجنود العربات قائلاً : " **أخرجوا أسلحتكم وأرسلوا الجيوش لتدمر البلدان الثائرة التي لم تعرف مصر من خلال قوة أبي آمون** "[٣]. كما قام

---

[١] الماريانو: طائفة من الجنود المرتزقة امتازوا بشجاعتهم وقوة بطشهم كانوا منتشرين في آسيا، ولمزيد من الاطلاع، انظر: N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١٣٢- ١٣٣.

[٢] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON OP. CIT, PLS ٤٦, P.٥٤,٥٥.

[٣] Ibid, PL. ٢٩, P.٣٥.

بنفسه بتوزيع الأسلحة على الجنود الأكفاء، إذْ نجد " الأمير " الكاتب الملكي الكبير والابن الملكي الذي قال لقادة الجيش ونقباء الفرق العسكرية والضباط : **هكذا تكلم الفرعون : بأن كل رجل كفء، وكل جندي شجاع يعرف جلالته دعوه يمر أمامه ليتسلم أسلحته**"[١]. ثم يرد الموظفون والقادة في حضور رعمسيس الثالث قائلين : " **هيا! هيا! لقد تجمع الجنود، ثيران البلد، صفوة مصر كلها.**"[٢] كما وجد منظر آخر يمثل الفرعون وهو في طريقه إلى زاهي لمحاربة شعوب البحر، حيث ينطلق الفرعون في عربته يرافقه في ذلك جنوده المصريون والمرتزقة من الأجانب : " **وينطلق جلالته إلى زاهي مثل " مونتو " ليحطم كل بلد اعتدى على حدوده، وجنوده كالثيران مستعدة في ميدان المعركة، وخيله كالصقور في وسط الطيور الصغيرة أمام الأقواس التسعة حاملة النصر، ووالده الفاخر آمون رع كدرع له** "[٣].

وهكذا يتضح من النصوص أن هناك معركتين واحدة برية وأخرى بحرية ويبدو أن المعركتين منفصلتان إذْ يظهر أن المعركة البرية كانت قبل المعركة البحرية، لكن اختلف المؤرخون حول تحديد مكان المعركتين بالضبط، فالنص يذكر أن معسكرهم كان في بلاد أمور (أمورو)، ومن الطبيعي أن يكون هذا المعسكر قد أُقيم لتجميع القوات والاستعداد والتجهيز للهجوم على مصر، ويعني هذا أن الهجوم أو المعركة قد حدثت في مكان ما شمال كنعان المقاطعة أو المحافظة المصرية القديمة، وقد اتفق العلماء على أنها وقعت ربما شمال مدينة طرابلس مباشرة[٤].

وعموماً، فإن تجمع شعوب البحر وتعسكرهم في أمورو شمال سورية، يدل على أن هذه الشعوب كانت لها السيطرة التامة على هذه المنطقة التي كانت تعد من المراكز التقليدية المهمة المعادية لمصر، وفي فترة العمارنة كانت هذه المنطقة مركزاً لنشاطات " عبدي–عشيرتا" وابنه ضد مصر، ثم إن نقش السنة الخامسة من عهد رعمسيس الثالث نفسه يشير إلى هزيمة أمورو واستيلاء مصر عليها.

وبالنسبة لـ " ألسندرا نيبي " فإن هذه الشعوب التي استطاعت أن تقضي على العديد من الممالك والدويلات في الشرق الأدنى القديم، وخصوصاً الإمبراطورية الحثية لابد أنها كانت معروفة للحثيين والمصريين، وأن منطقة تمركزهم لابد أنها كانت تقع بين الامبراطوريتين القويتين مصر وخاتي، مما سهل

---

[١] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON OP. CIT, PL.٢٩, P.٣٦.
[٢] Ibid, PL.٢٩, P.٣٦,٣٧.
[٣] Ibid, PL.٣١, P.٣٧,٣٨.
[٤] N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١٢٠,١٣٢.
انظر أيضاً: R.DEVAUX,O.P, OP. CIT, P.٤٨٥.

عليهم مهاجمة حدودهما معاً، إذ لا نستطيع التصور أن قوماً غرباء بعيدين عن المنطقة يقومون بغزو هذه الممالك كلها، حتى يصلوا الحدود المصرية على عربات تجرها ثيران بطيئة الحركة ومتنقلة في أراضي وعرة لا يمكن اجتيازها ومعهم النساء والأطفال، وتؤكد " نيبي " أن التعبير المصري " لم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمامهم "، لا يقصد أي معنى خاص أو مميز باستثناء المبالغة في وصف قوة العدو، ذلك أن هذا التعبير نفسه قد أُشير إليه في مواقع أخرى من النصوص المصرية كما هو الحال في معبد " حور محب " إذْ نجد: " **لم تستطع أي أرض أن تقف أمامه** "[١].

أما بالنسبة للمصطلح الجغرافي " زاهي " الذي تحدث عنه رعمسيس الثالث بأنه نظم فيه حدوده، فقد كان يقصد به منطقة في فينيقيا[٢] ، ولكنه كان يقصد – في البداية– منطقة في فلسطين[٣]، ويعتقد "ساندارز" بأن " زاهي " منطقة من المحتمل أنها كانت تقع في جنوب فلسطين، أو بين مصر وفلسطين[٤]، ويجب التأكيد على أن مصر في هذه الفترة لم تكن لها القدرة على بسط نفوذها إلى أبعد من شمال فلسطين، كما أن رعمسيس الثالث نفسه يذكر في النص كلمة " حدودي " التي غالباً ما تستخدم لتدل على خط الحصون الحدودية التي تحرس الدلتا على الجانب الشرقي، ولذلك فمن المحتمل جداً أن تكون هذه المعركة قد حدثت قرب هذا الخط من القلاع والحصون[٥] ، وهذا ما أميل إليه.

أما بالنسبة للمعركة البحرية فإن هناك اختلافاً كذلك حول موقعها، إذ يرى بعض العلماء أنها كانت في سورية قرب معسكر أمورو، وأن التعبير المصري " أفواه النهر " يمكن أن يقصد مصب نهر ساحلي[٦] ، بل إن شيفر SCHAEFFER " يعتقد أن هذه المعركة قد حدثت أبعد من شمال الحدود المصرية قرب جزيرة " أرواد ARWAD "[٧]، لكن تعبير " أفواه النهر " غالباً ما يطلق على مصبات نهر النيل، لذلك فمن المحتمل أن تكون المعركة البحرية قد حدثت في الدلتا. وهذا ما يؤكده " نلسون " الذي يرى أن موقع المعركة البحرية – على الأقل– يكون كما أراد الفنان المصري أن يصوره – وربما يتفق كذلك مع تقرير

---

[١] ALESSANDRA NIBBI, OP.CIT, P. ٤١,٤٣.
[٢] R.DEVAUX,O.P, OP. CIT, P.٤٨٥.
[٣] A.H.GARDINER, OP. CIT, P. ١٤٥,١٤٦.
[٤] N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١١٩,١٣٢.
[٥] R.DEVAUX,O.P, OP. CIT, P.٤٨٥.
وكذلك: N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١١٩,١٣٢.
[٦] R.DEVAUX,O.P, OP. CIT, P.٤٨٥.
[٧] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٢.

النقش – قد كان عند مصب نهر ربما كان واحداً من فروع النيل بالدلتا[١]. وهذا رأي " بارنت " أيضاً[٢] ، وكذلك " أدجرتون " و " ويلسون " اللذان يميلان إلى أن هذه المعركة البحرية قد حدثت عند مصبات النيل[٣].

أما الدكتور " مهران " فيرى أن معركة رعمسيس الثالث البحرية، ربما قد حدثت في مكان ما إلى شرق بورسعيد الحالية قريباً من مخرج الفرع البيلوزي للنيل، وأن السفن المصرية التي اشتركت في هذه المعركة إنما خرجت من منف إلى الفرع البيلوزي، ومنه إلى البحر المتوسط، إذْ اشتركت في المعركة البحرية مباشرة وهذا محتمل جداً خاصة وأنه لا نعلم بوجود أسطول مصري في البحر المتوسط أو البحر الأحمر منذ أقدم العصور إلى عصر النهضة المصرية، والأمثلة القليلة التي نعلمها عن سفر البعثات إلى لبنان أو بلاد البونت (الصومال) لا تكفي للتدليل على وجود أساطيل مصرية بحرية، وكل ما ورد من إشارات عن حروب بحرية سواء في عهد الفوضى الأول، أو فترة طرد الهكسوس أو أسطول تحوتمس الثالث، أو في غزو بعنخي لمصر، كلها توحي بأن هذه كانت سفناً نيلية تستخدم عند الضرورة في البحر المتوسط، ولذا يعتقد– أي الدكتور مهران– أن المعركة البحرية قد حدثت عند مصبات النيل في البحر المتوسط[٤].

أما فيما يخص تفاصيل المعركتين، فقد قدمت لنا مدينة هابو عدة صور ومناظر لهما بالإضافة إلى الوصف اللفظي، فبالنسبة للمعركة البرية نجد منظراً للفرعون في عربته وهو يهجم في قلب قوات شعوب البحر، الذين ساد بينهم الارتباك وسوء النظام، ويساعده مشاة مصريون وفرسان وجنود أجانب من الشردانا الذين ظهروا بخوذاتهم ذات القرون المميزة[٥].

أما بالنسبة لشعوب البحر فإن طريقة قتالهم تشبه إلى حد بعيد طريقة الحثيين، إذ كانت كل عربة تحمل ثلاثة أشخاص، اثنين من المحاربين والشخص الثالث للقيادة[٦]. أما العربات المصرية فقد كانت تحمل شخصين فقط (سائق ومقاتل) والمعركة في حد ذاتها كانت عبارة عن شجار وتشابك بالأيدي بين راكبي العربات والرجال المشاة، ولكن المفاجأة هي تلك العربات التي تجرها الثيران، التي تحمل النساء

---

[١] HAROLD H.NELSON, The Naval Battle Pictured at Medinet HABU, Journal of Near Eastern Studies,Vol ٢, ١٩٤٣, P.٤٥.

[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٢.

[٣] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON OP. CIT, P.٣١.

[٤] مهران، محمد بيومي، مصر والعالم الخارجي في عصر رعمسيس الثالث، الاسكندرية، ١٩٦٩، ص٢٢٩.

[٥] N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١٢٠,١٣٢.

[٦] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٢.

والأطفال، مما يؤكد أن هذه الشعوب كانت تتحرك بحثاً عن مأوى أو وطن جديد، ويبدو أن معسكرهم قد هُوجم بغتة (أُخذوا بعنصر المفاجأة) مما شكل هذا الاضطراب، وربما هوجموا أيضاً أثناء تحركهم[١]، ويتضح من المنظر أن هذه العربات التي تجرها الثيران هي عربات خشبية في الغالب من الطراز الحثي، خاصة العجلات الصلبة، وهي تشبه تلك العربات التي استخدمها الحثيون في معركة قادش[٢]. والواقع أن عجلات هذه العربات كانت معرضة للتحطيم عند الاصطدام بالصخور، أو الحفر رغم قوتها وصلابتها، ومن الجائز جداً أن تكون هذه العربات قد تم فكها وحملها في السفن عن طريق البحر إلى فلسطين إذْ تم تركيبها من جديد[٣]. وهناك لوحات مسينية عليها رسومات لعربات بدون عجلات مما يدعم هذا الاحتمال.

وعموماً، فإن هذه العربات لم تكن من وسائل النقل الثقيلة التي بها أربع عجلات ويجرها اثنين أو أربعة ثيران أحياناً، وهناك العديد من النماذج البرونزية أو الطينية لبعض هذه العربات في الأناضول، وفي الشرق الأدنى، بينما العربات الحقيقية قد بقيت في مدافن التلال بالقوقاز قرب بحيرة " سيفان SEVAN "[٤] ، وقد تحطم الكثير منها على صخور نفس المنطقة، لكن العربات التي كانت مع شعوب البحر مختلفة تماماً، وربما كانت من نوع فريد، فهي عربات للنقل بعجلتين يجرها زوجان من الثيران يربطان مع بعضهما جنباً إلى جنب[٥].

ومهما يكن، فإن عدم وجود الخيالة أو فرق عسكرية من المشاة لحماية الجنود الذين كانوا في العربات التي تجرها الثيران، جعل هؤلاء مكشوفين ومعرضين لخطر السهام المصرية، ونلاحظ في مناظر المعركة إحدى العربات تحمل ثلاثة نساء ومعهن طفلان، وأحد الأطفال سقط أو رمي خارج العربة، والأم تمسك ولداً صغيراً عارياً تماماً من ذراعيه ربما لترميه أو لتنقذه، كما أن هناك عربة أخرى تحمل رجلاً مقاتلاً وربما رجلاً آخر وامرأة وطفلاً، أما العربة الثالثة فقد أتلفت صورتها، لكن يبدو أنها كانت تحمل امرأتين وطفلين[٦].

لقد انتهت المعركة بين مصر وشعوب البحر بهزيمة ساحقة للغزاة وبانتصار عظيم لرعمسيس الثالث الذي يصف انتصاره بقوله : " **وأما الذين وصلوا حدودي فقد أفنيت بذرتهم، وقد قضي على قلوبهم**

---

[١] N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١٢٠, ١٢١ , ١٣٢.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٢.
[٣] W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥٠٨.
[٤] سيفان: بحيرة في أرمينيا تبلغ مساحتها ١٤٠٨ كلم٢.انظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، ص٦٦١.
[٥] N.K..SANDARS, OP. CIT, P.١٢٠, ١٣٢.
[٦] Ibid, P.١٢٤.

وأرواحهم إلى الأبد "[١]، وهكذا نجح رعمسيس الثالث في أول لقاء بينه وبين هؤلاء المتبربرين، واستطاع أن ينال منهم، وأن يهزمهم شر هزيمة.

وبعد المعركة البرية تصف النصوص الهجوم عن طريق البحر إذْ نقرأ : " .... **أما الذين أتوا بمجاميعهم معاً عن طريق البحر، فإن اللهيب الشامل[٢] كان أمامهم عند مصبات النيل، في حين أن سياجاً من الحراب قد أحاطت بهم على الشاطئ، ولذلك ألقوا أرضاً على الشاطئ، وذبحوا وأصبحوا أكواماً من مؤخرة السفينة حتى المقدمة، أما سفنهم وبضائعهم فقد سقطت في الماء** "[٣].

لكن بالنسبة لتفاصيل هذه المعركة البحرية، فمن الأفضل أن نلجأ إلى النقوش أكثر من أن نعتمد على اللفظي، إذْ نجد منظراً لخمسة سفن من سفن شعوب البحر إحداها مقلوبة، بينما أربعة من السفن المصرية تطاردهم وتحاصرهم بشدة، ويبدو أنهم يقودونهم نحو الشاطئ حيث يقابلون بالنبالة المصرية[٤].

ويرى " نلسون " أن المناظر تبين لنا أن سفن العدو تبدو كأنها لم تستعد للقيام بمناورة، إذ كانت أشرعتها مطوية بينما تبدو السفن المصرية تهاجم بطريقة منتظمة بمقدمتها المتجهة جميعاً نحو العدو، أما سفن شعوب البحر فلا يوجد لديها مثل هذا التشكيل، وربما كان هدف الفنان من ذلك أن يُظهر لنا مدى اضطراب أسطول العدو حين يقارن ذلك بالتقدم المنظم للأسطول المصري، ومن الواضح أن هذا الأسطول قد قبض على عدوه بمهارة.

ثم يرى " نلسون " بعد ذلك أن الفنان حين رسم هذا السطر، قد وفر في ذهنه ما كان يفكر فيه الكاتب المصري[٥]، حين كتب يقول: " **شبكة كانت معدة لهم لاصطيادهم، وأما الذين دخلوا في مصبات النيل فقد وقعوا في وسطها مقيدين في أماكنهم** "[٦]، وحين كتب: " **وأما هؤلاء الذين دخلوا مصبات النيل فقد كانوا كالطيور التي وقعت في مصيدة** "[٧]، وفي موقع آخر نجد " **أما الذين قدموا بجموعهم معاً عن طريق**

---

[١] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, OP. CIT, PL.٤٦, P.٥٥.

[٢] اللهيب الشامل: ربما بالتخمين يُقصد به الأسطول المصري.

[٣] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, OP. CIT, PL.٤٦, P.٥٥,٥٦.

[٤] Ibid, PLS ٣٧-٣٩, P.٤١.

[٥] H.NELSON, OP. CIT, P.٤٦.

[٦] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, OP. CIT, PL ٤٢, P.٤١.

[٧] Ibid, PLS ٢٧-٢٨, P.٣١.

البحر، فإن اللهب الشامل كان أمامهم عند مصبات النيل، في حين أن سياجاً من الحراب قد أحاط بهم على الشاطئ "[١].

وكل هذا يعني بأن الأسطول المصري قد قطع انسحابهم عن طريق البحر، كما منع الجيش فرارهم من ناحية البر، وهكذا كانت الخطة كاملة لدرجة أن العدو قد وقع في المصيدة التي أُعدت له، ومن هنا فإنهم قد دُمروا تماماً عندما التقى المصريون بهم.[٢]

ويظهر من النقوش أن هناك ثلاثة سفن من السفن المهاجمة بما في ذلك السفينة المقلوبة تحمل رجال ارتدوا نفس غطاء الرأس العالي الذي لبسه المدافعون عن العربات التي تجرها الثيران في المعركة البرية، أما رجال السفينتين الباقيتين فقد ارتدوا خوذات ذات قرون، ربطت ربما خطأً مع خوذات حراس الفرعون من الشردان. والحقيقة أن القرون هي الشيء الوحيد الذي كان مع الحرس الخاص، أما التنورات والملابس الضيقة ذات الأشرطة فقد كانت متماثلة مع تلك الملابس التي يرتديها المهاجمون الآخرون.

ولم يذكر نص السنة الثامنة الشردان ،بالرغم من أنهم ذُكروا في بردية هاريس، والرابطة الأساسية التي تربط بين الرجال الذين في السفن والشردان هو التشابه الكبير بينهم وبين رئيس هذه القبيلة الذي ظهر بين أسرى رؤساء القبائل الأخرى، وقد ذُكر بالاسم.

وقد ارتدى رئيس الشردان نفس الخوذة التي ارتداها المهاجمون في السفن مع انثناء منخفض على الجانبين وعمود بين القرون ينتهي بقرص، ويعد هذا العمود العلامة المميزة للحرس المصري، كما كان هذا الأسير بلحية، بينما كان المهاجمون بدون لحية، وقد افترض " ساندارز " أن هذا الأسير يمكن أن يكون خائناً من الحرس المصري أُلقي القبض عليه مرة أخرى.[٣]

وهناك قضية مشاركة رعمسيس الثالث في المعركة البحرية، إذ إن " نلسون " يميل إلى الشك في أن الفرعون قد قام بدور شخصي في هذه المعركة، رغم أن هذا لا يمكن إثباته بالرغم من أن المناظر تظهره، وكأنه غير قادر على أن يصل إلى العدو بطريقة فعالة بقوسه، كما أن نشاطه لم يكن له نفس التأثير الأدبي على جنوده كما هو الحال في المعركة البرية، ولكن الفنان لم يكن يستطيع أن يرسم جزءاً من

---

[١] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, OP. CIT, PL.٤٦, P.٥٥.
[٢] H.NELSON, OP. CIT, P.٤٦.
[٣] N.K..SANDARS, OP. CIT, P. ١٢٥.

معركة دون أن يجعل الفرعون الصورة الرئيسة في المنظر[١]، ودون أن تنسب النصوص المصرية النصر كل النصر للفرعون، لهذا نرى النص المصاحب لمنظر المعركة البحرية، الذي يظهر فيه الفرعون على الشاطئ مع رماته، وهم يرسلون وابلاً من السهام على العدو المهزوم، ويذكر النص : " **والآن فإن الممالك الأجنبية التي في جزرها كانت أجسادها مرتجفة، وقد نفذت في قنوات مصبات النيل ومنعت خياشيمها من أن تؤدي وظيفتها، وقد كانت رغبتهم أن يتنفسوا النفس فخرج إليهم جلالته كالإعصار محارباً في ميدان المعركة كالعدّاء، وقد دخل الفزع والرعب منه إلى أعضائهم، فانكفؤوا وقهروا في أماكنهم، وخلعت قلوبهم وذابت أرواحهم، وتبعثرت أسلحتهم في البحر، وكان يطعن رمحه فيهم حيث أراد، بينما سقط الهاربون منهم في الماء وجلالته كأسد غاضب يهاجم منازلهم بقرنه، وكان السلب بيده اليمنى والقوة بيده اليسرى، وهو مثل " ست " إنه آمون والده الذي يقهر له كل الأراضي ويحطم له كل بلد تحت قدميه ملك مصر العليا والسفلى، سيد الأرضين وسر ماعت رع آمون، رعمسيس الثالث**"[٢].

وهكذا استطاع رعمسيس الثالث أن يصد هجوم شعوب البحر عند حدوده الشرقية، كما كُتب له النجاح أيضاً في أن يصد هجومهم البحري عند " مدخل الأنهار " في الدلتا، وبذلك حرمهم من الدخول إلى مصر، ومن المرجح أنهم اضطروا إلى التراجع للاستقرار في فلسطين، كما أشاع الاضطراب في أسطولهم البحري عند مصبات النيل، إذ نجد إحدى قطعهم البحرية وهي تحمل الجنود في أقصى حالات الاضطراب والمصريون مقبلون عليهم بقيود حديدية فيسقط إثنان منهم في الماء، بينما يتطلع واحد إلى الشاطئ يلتمس الرحمة من الفرعون، وهناك قارب ثالث يظهر مقلوباً وقد طرح برجاله جميعاً في الماء وهكذا كانت هزيمتهم كاملة براً وبحراً.[٣]

ومن نتائج هذا النصر؛ دحر المهاجمين وإنقاذ مصر من خطر مؤكد لا يقل عن الخطر الذي تعرضت له البلاد عند غزو الهكسوس، وإن لم يزد عنه كما يرى " دريوتون " و " فانديه " اللذان يؤكدان– دون مغالاة– أن رعمسيس الثالث قد أنقذ بلاده من غزو أخطر بكثير من غزو الهكسوس، فلو أن شعوب البحر استطاعت أن تتوغل في مصر، لكان من المحتمل أن البلاد ما كانت تستطيع أن تنهض، وأنها كانت تختفي من التاريخ، كما اختفت دولة الحثيين قبل ذلك ببضع سنين[٤]. وفي الحقيقة إن

---

[١] H.NELSON, OP. CIT, P.٤٧.

[٢] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, OP. CIT, PLS ٣٧-٣٩, P.٤١,٤٢.

[٣] جاردنر، سير آلن، مصر الفراعنة، ص٣١٦.

[٤] دريوتون، فانديه، مصر، ص٤٨٤.

ذلك صحيحاً تماماً؛ ذلك لأن مصر بانتصارها العظيم قد استطاعت أن تنقذ نفسها من غزو مدمر حطم قبل ذلك ممالك عدة وقد قامت الاحتفالات بمصر بمناسبة هذا النصر العظيم.

وتقدم نقوش مدينة هابو رعمسيس الثالث، وهو واقف في مكان مرتفع أمام حصن، وموظفوه يقدمون له أسرى شعوب البحر، والكتّاب يسجلون إحصاء الكومتين من الأيدي المقطوعة بينما هناك منظر آخر يقدم فيه الأسرى إلى اثنين من الموظفين وهم يسمونهم ثم يسجلون في طوائف مختلفة[١].

ويتجه رعمسيس الثالث إلى ربه شاكراً على هذا النصر العظيم الذي منحه إياه، وليقدم له – بصفته الشريك الأول في النصر– نصيبه الكبير من الغنيمة، فنراه يقود ثلاثة صفوف من أسرى شعوب البحر للإله آمون وللإلهة موت، ويُشاهد الإله يمد سيفاً معقوفاً للملك، ثم يخاطبه آمون قائلاً : " **مرحباً بك في سلام لأنك أخذت هؤلاء الذين هاجموك أسرى، ولأنك ذبحت الذين اعتدوا على حدودك، لقد كان سيفي معك لتقهر به البلاد، لقد قطعت رؤوس الآسيويين وطرحت أرضاً لك كل بلد، حتى جعلتهم ينظرون إلى جلالتك في رعب كابني " ست " حين يهيج وتخاطبه " موت " قائلة : إنني أضع ذراعي كحماية حولك بينما حرارتي ضد أعدائك لقد أعطيتك ملايين الأعياد ومئات الألوف من السنين إلى أبد الآبدين** "[٢] .

ثم يضيف نص السنة الثامنة واصفاً سهر رعمسيس الثالث على ضمان حماية مصر وازدهارها إذْ نقرأ: " **آه .... فرحة مصر حتى أعالي السماء، لأني حاكم الأرضين فوق تاج آتوم .... لقد بددت الأحزان التي في قلوبكم وجعلتكم جالسين في ثقة دون توقف .... لقد غطيت مصر، وحميتها بذراعي الشجاعة منذ أن حكمت كملك مصر العليا والسفلى فوق تاج آتوم.....؛ لأن قلبي يثق في إلهي (سيد الآلهة) آمون رع الشجاع، سيد السيف الذي أعرف أن قوته أكبر من قوة الآلهة الأخرى، وأن قدر سنوات مدة الحياة كلها بيده .... أنا قوي وشجاع ومخططاتي نجحت، ولم يفشل أي شيء قمت به، وخلقي ممتاز وقد ورثته من هذا الإله، أب الآلهة .... والدي ! أنا لست غافلاً عن ضريحه، ورغبتي ازدادت لمضاعفة القرابين من الغذاء لما كان موجوداً من قبل** "[٣].

---

[١] W.F.EDGERTON AND J.A.WILSON, OP. CIT, PL.٤٢, P.٤١-٤٢.
[٢] Ibid, PL. ٤٤, P.٤٦,٤٧.
[٣] Ibid, PL. ٤٦, P.٥٦,٥٨.

وهناك نقوشٌ أخرى ذكرت شعوب البحر غير نقش السنة الثامنة، إذْ نجد لوحة السنة الثانية عشرة من حكم رعمسيس الثالث، تذكر انتصار هذا الفرعون على شعوب البحر، والحقيقة أنني لم أعثر على نص هذه اللوحة سوى عند " كلير لا لوات " التي نقلته بدورها من كتاب :

Kitchen.K.A, Ramesside Inscriptions Historical and Biographical, V, ٧٣, Oxford, ١٩٨٢.

ونجد في هذه اللوحة ما يلي : " **اسمعوني، كل البلاد، كل الأحياء، جيل الشباب والأشخاص المحترمين للبلد المحبوب، أنا ابن لشجاع وبذرة (الإله) البطل ذو قوة عظيمة، ملك الجنوب والشمال، لقد هزمت البلاد الأجنبية التي اغتصبت حدودي منذ أن أصبحت ملك على عرش آتوم ولم يبق أي بلد بجانبي كان ينافسني، أنا ثابت كثور أمامهم (ثور) بقرون حادة لقد قهرت الآسيويين الذين داسوا تربة مصر .... ذكرى اسمي خلقت الخوف في بلدانهم .... لقد هزمت الثيكر، وبلاد فلسطين والدنن والوشش والشيكلش كما حطمت تنفس المشواش.... لقد رفعت وجه مصر**"[١].

أما بردية هاريس فتذكر: " **لقد وسعت حدود مصر، وقهرت الذين غزوها من أراضيهم، لقد ذبحت الدنن في جزرهم، الثيكر والبلست أصبحوا رماداً، أما شردان ووشش البحر فقد أصبحوا وكأنه لم يكن لهم وجود، لقد أخذوا أسرى في وقت واحد وحملوا إلى مصر مثل رمل الشاطئ، وقد وضعتهم في حصون الحدود في اسمي والعديد في طبقاتهم مثل مئات الآلاف، لقد فرضت عليهم الضريبة كلهم في الملبس والحبوب في المخازن كل سنة** ".[٢]

وهكذا انتهت غزوات شعوب البحر على مصر بالفشل الذريع، ولم تستطع هذه الشعوب الدخول إلى أراضي وادي النيل الخصبة، غير أن صورة عالم الشرق الأدنى القديم قد تغيرت تماماً، إذ استقر الفريجيون في آسيا الصغرى خلفاً للحثيين، أما الدوريون فقد استقروا في منطقة حوض بحر إيجه، بينما تشكلت بعض الولايات الحثية الجديدة شمال سورية، أما في منطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط التي تعرضت لتدمير عنيف أدى إلى اختفاء مدن عديدة كمدينة أوغاريت، فقد ظهر الفينيقيون الذين أصبح لهم دور حضاري كبير في البحر المتوسط في القرون التالية.

---

[١] CLAIRE LALOUETTE OP. CIT, P.٣١٩.

[٢] J.H.BREASTED, Ancient Records of Egypt, IV, Parag ٤٠٣.

أما شعوب البحر فقد استطاع بعضهم الاستقرار على شاطئ البحر المتوسط، كالفلسطينيين الذين استقروا حول موانئ غزة وعسقلان ويافا، وأسسوا دولة لهم أصبحت لها أهمية في الفترة التالية، رغم أنها ظلت تابعة لمصر. أما الثيكر فقد استقروا إلى الشمال منهم، كما حاول بعضهم التسلل إلى مصر سلمياً للاستقرار خاصة الشردان، والوشش الذين وضعوا في قلاع خاصة لخدمة الفرعون، إذْ يقدمون الحبوب وينسجون الأقمشة. أما المشواش والليبو وربما بعض الآخيين فقد ظلوا في ليبيا مع القبائل المحلية من التحنو والتمحو. أما باقي شعوب البحر ومنهم التيرش والشيكلش، وربما بعض الشردان فقد راحوا يبحثون عن وطن يستقرون فيه، ومن المحتمل أنهم توجهوا بسفنهم إلى أوربا خاصة إيطاليا والجزر المحيطة بها كسردينيا وصقلية، وبذلك حملوا لها حضارة وثقافة عالم الشرق الأدنى القديم[١].

[١] CLAIRE LALOUETTE OP. CIT, P.٣٢٣,٣٢٤.

الفصل الرابع

بعض المظاهر الحضارية لشعوب البحر

أولاً- الملبس.

١- الشردان.

٢- المجموعة الفلسطينية.

٣- مجموعة شيكلش- تيرش.

ثانياً- التسليح وتنظيم الجيش.

ثالثاً- بعض المظاهر الحضارية الأخرى.

في بداية الأمر يجب التأكيد على أن شعوب البحر لم تكن تشكل وحدة عرقية أو وحدة سياسية معينة، إنما هي عبارة عن قبائل متنقلة تبحث عن موطن للاستقرار، فهي قبل هجرتها لم تكن مستقرة في منطقة جغرافية محددة، وكل آراء المؤرخين وعلماء الآثار التي تهدف إلى البحث عن موطنهم الأصلي مبنية أساساً على فرضيات وتكهنات متعددة، منها محاولة توحيدهم ببعض شعوب آسيا الصغرى ومنطقة بحر إيجه اعتماداً على تشابه الأسماء أو بعض المخلفات الأثرية. والحقيقة أن المصدر المهم والوحيد تقريباً لتاريخ هذه الشعوب هو النصوص والنقوش المصرية، ومع ذلك فإن هذه النقوش والنصوص لم تقدم لنا التفاصيل الكاملة حول أصل هذه الشعوب أو موطنها، إنما اكتفت بالإشارة – كما ذكرنا من قبل – إلى أنهم " من بلدان الشمال التي في وسط البحر "، أو " من الجزر التي في وسط البحر "، أو إنهم " من البحر "، أو بالأحرى من " الأخضر العظيم "، أو " من اليم ".

ولكن من حسن الحظ أن النقوش المصرية أظهرت لنا رسومات بعض هذه الشعوب منها "الشردان" و "البلست " و " شيكلش – تيرش " و " الثيكر " و " الدنن ".

ومن المؤسف حقاً أننا لا نجد رسومات لباقي الشعوب " أقواش " و " اللوكا " و " الوشش " خاصة "أقواش " الذين قُبلوا بشكل ما، ومن قبل أغلب الباحثين على أنهم الآخيين، والواقع أن هذا التوحيد يثير مشكلة حضارة شعوب البحر، فمن المعروف أن " الآخيين " كانوا يشكلون العنصر الرئيس في الحضارة المسينية التي سادت منطقة بحر إيجه وبلاد اليونان الأصلية، بل امتدت في كامل الحوض الشرقي للبحر المتوسط، خصوصاً على شواطئه التي تمتد حتى آسيا الصغرى، وقد استمرت هذه الحضارة عدة قرون وبلغت ذروتها بعد سقوط الحضارة المينوية في كريت[١].

ومن الغريب أن يصطدم المصريون مع " الأقواش " مرة واحدة خلال السنة الخامسة من حكم مرنبتاح، إذْ لم يظهروا في عهد رعمسيس الثالث، وهذا الاختفاء يثير شكوكاً حول توحيد "أقواش " مع الآخيين.

وعموماً، فإننا لا نستطيع أن نؤكد أن هناك حضارة خاصة لشعوب البحر، إنما توجد بعض المظاهر الحضارية لهذه الشعوب، التي يمكن استنتاجها من خلال الرسومات والنقوش المصرية، فقد تميزت هذه الشعوب بلباس معين وأسلحة خاصة، ومن الطبيعي أن يكونوا قد صنعوا هذه الألبسة والأسلحة، كما كانوا يملكون سفناً بحرية متميزة تبينها النقوش المصرية بوضوح في المعركة البحرية لرعمسيس الثالث، وقد

[١] A.AYMARD- J.AUBOYER, L'orient et la Grèce antique Quadrige- PUF, Paris, ١٩٨٥, p.٢٢٤,٢٣١.

تميز البلست أو الفلسطينيون الذين استقروا في المنطقة التي أصبحت تحمل اسمهم ببعض المظاهر الحضارية الأخرى.

والحقيقة أن البلست كانوا أكثر شعوب البحر تطوراً من الناحية الحضارية، إذْ تميزوا بصناعة الفخار الذي أصبح يحمل اسمهم " الفخار الفلسطيني "، كما احتكروا صناعة الحديد الذي جلبوه معهم، وكان لهم الفضل في نقل حضارة منطقة الشرق الأدنى القديم من عصر البرونز إلى عصر الحديد[١].

سنتناول في هذا الفصل الأخير بعض المظاهر الحضارية التي امتازت بها شعوب البحر من حيث الملبس والتسليح وصناعة الفخار وغيرها من المظاهر الحضارية الأخرى.

أولاً – الملبس:

تميزت شعوب البحر التي ظهرت على رسومات جدران معبد مدينة هابو لرعمسيس الثالث بارتدائها لباساً مميزاً، وقد قسم " واينرايت " هذه الشعوب التي ظهرت في الرسومات إلى ثلاث مجموعات تختلف من حيث اللباس وخصوصاً غطاء الرأس[٢] وهي:

١ – الشردان:

ارتدى الشردان غطاء رأس متميز عن باقي لباس الرأس لشعوب البحر، ويتمثل هذا الغطاء في الخوذة التي تثبت فيها قرون، وشوكة بارزة تنتهي بقرص أو كرة شكلها دائري، ولديها محميات للخد ربما مصنوعة من الجلد، كما أن القرنين مقوسين بينهما، وبالضبط في منتصف الرأس نجد الشوكة البارزة التي تنتهي بقرص، ويرى " ساندارز " أن هذا القرص أو هذه الكرة ربما علامة من علامات السلطة[٣]. وهذه الخوذة لبسها الشردان الذين كانوا يشكلون الحرس المصري الخاص كما لبسها الحلفاء.

ولكن " الشردان " الذين هاجموا مصر في السنة الثامنة من حكم رعمسيس الثالث (١١٨٦ق.م) ارتدوا خوذات بقرون، لكنها لا تحمل الشوكة البارزة التي تنتهي بقرص، ويظهر ذلك من خلال مناظر المعركة

---

[١] حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ج١، ١٩٨٢ م، ص١١٣.

[٢] G.A.WAINRIGHT, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٧, ١٩٦١, p.٧٤.

[٣] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٦.

البحرية، إذْ كانت سفينتان من خمس سفن لشعوب البحر تحملهم، كما تميزت خوذات هؤلاء المقاتلين بالامتداد إلى الأسفل لحماية الرقبة، وأحياناً برباط يلتف تحت الذقن[١].

وقد حاول المؤرخون وعلماء الآثار إثبات أصل هذه الخوذة، إذ ربطها البعض بمنطقة أوربا وبحر إيجه، ومنهم " جاردنر " الذي يؤكد أن الشردان قد قدموا على ما يبدو دليلاً أثرياً ذا أهمية قصوى على أنهم من القوقاز، حيث عُثر هناك على تماثيل برونزية ونحاسية صغيرة تعود إلى عصر البرونز، تحمل رسومات لخوذات تشبه إلى حد بعيد الخوذات التي لبسها الشردان[٢].

أما " أولبرايت " فيذكر بأن طراز الخوذتين اللتين لبسهما الشردان والمجموعة الفلسطينية قد ظهرتا في نفس الفترة على الآنية التي تسمى " آنية المحارب " من " ميسينيا "[٣] .

لكن " ساندارز "يرى أن هذه الخوذة التي لبسها الشردان لا علاقة لها بمنطقة بحر إيجه، ولفترة طويلة مع أوربا أيضاً، وإنما كانت أهلية من منطقة الشرق الأدنى والأناضول وميزوبوتاميا (بلاد النهرين– العراق القديم)، ففي هذه المناطق كلها كانت قرون الثور توضع على الرأس كتاج أو خوذة، وكانت تمثل علامة الألوهية، وقد رسم ملك أكاد " نرام سن ٢٢٩١– ٢٢٥٥ق.م" في بلاد النهرين، وعلى رأسه ما يشبه الخوذة بها زوج من قرون الثور، وهذه الخوذة الخاصة تشبه إلى حد بعيد الخوذة التي ارتداها القائد الأسير للشردان الذي نحت في نقش معبد مدينة هابو في مصر من أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

والحقيقة أن نوع غطاء الرأس الذي يشبه الخوذة، الذي كان بدون قرون قديماً جداً، إذ وجد بالمعدن في نقوش مدينة " أور " من منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد.

كما ارتدى " الشردان " شأنهم في ذلك شأن باقي شعوب البحر تنورة قصيرة، وهذه التنورة القصيرة مع الخوذة وُجدت على لوحة الإله، الذي من المحتمل أن يكون " بعل " في مدينة أوغاريت، وتعود هذه اللوحة إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ويشبه غطاء الرأس المرسوم على هذه اللوحة الخوذة المبكرة

---

[١] N.K.SANDARS, OP. CIT, p. ١٢٤,١٢٥.
A.H.GARDINER, OP. CIT, P.١٩٦,١٩٧. انظر أيضاً
[٢] Ibid, p.١٩٨,١٩٩.
[٣] W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥٠٨.

التي ارتداها " الشردان " الذين كانوا حلفاء أو مرتزقة في عهد رعمسيس الثاني، وقد كان بها الشوكة البارزة ولكن دون القرص أو الكرة [١].

ومهما يكن فإن هذه الخوذات التي بدون قرص، التي بها قرون عثر عليها في مناطق أخرى، إذ وُجدت على تمثال برونزي لإله في أنكومي اكتشفه " ديكايوس " سنة ١٩٥٢م، كما اكتشفت تماثيل صغيرة أخرى سنة ١٩٦٣م بها هذه الخوذات ذات القرون [٢].

وفي خارج منطقة الشرق الأدنى وبحر إيجه وُجدت هذه الخوذات على تماثيل برونزية في جزيرة سردينيا، كما عثر على صحن فضي في " شيوزي " و " أتروريا " بإيطاليا تظهر خوذات بقرون تشبه تلك الخوذات التي يحملها " الشردان " في النقوش المصرية، ولكن هذه الخوذات التي في سردينيا وإيطاليا تعود إلى فترة متأخرة ربما في القرن التاسع قبل الميلاد [٣].

٢- المجموعة الفلسطينية:

تضم هذه المجموعة كل من البلست والثيكر والدنن الذين ارتدوا نفس غطاء الرأس تقريباً، وقد كان هذا الغطاء عبارة عن قلنسوة أو تاج دائري الشكل ينتصب فيه الريش [٤]، وإن كان بعض العلماء يعتقدون أنها ليست من الريش، إذْ لم يظهر هذا الريش في النقوش المصرية بشكل واضح كما الحال بالنسبة لليبو الذين كانوا يضعون الريش على رؤوسهم [٥].

ويفترض البعض أن هذا التاج أو الغطاء يمكن أن يكون من شرائط جلدية، أو من شعر الحصان أو من قطعة قماش مثنية، وربما تكون طريقة لتصفيف الشعر، ومهما يكن، فإن هذا الغطاء كان مزيناً من

---

[١] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٧.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٦.
[٣] PIERRE ANTONETTI, OP. CIT, P.٥٦.
انظر أيضاً R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨, ٣٦٩.
A.H.GARDINER, OP. CIT, P. ١٩٨.
[٤] مورتكات، أنطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٢٦٥، ٢٦٦.
[٥] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٧.

الأسفل بشرائط مستديرة على الجبين، ويمتد خلف الرقبة ليحميها كما ربط هذا الغطاء بخيط يمر تحت الذقن[١].

أما بالنسبة لغطاء رأس الدنن فهو يشبه غطاء البلست تماماً، كما يظهر في مدينة هابو حيث ذُكروا في النص بالاسم، ونفس الشيء تقريباً مع الثيكر، ولكن مع الاختلافات البسيطة، إذْ كان غطاء رئيس الثيكر يشبه الغطاء الذي يضعه رئيس الطباخين على رأسه، ومن المؤكد أنه ليس من الريش كما لا يوجد لدى غطاء الثيكر الرباط الذي يمر تحت الذقن، إضافة إلى ذلك أنه لا يمتد إلى الأسفل خلف الرقبة[٢].

وعموماً، فإن هذا النوع من غطاء الرأس المشترك بين البلست والثيكر والدنن عُثر عليه في "أنكومي" بقبرص، إذْ نجد نحتاً من العاج يظهر رجلاً يرتدي غطاء الرأس لهذه الشعوب كما تظهر على الآثار المصرية بما في ذلك غطاء الرقبة[٣]، وفي أنكومي أيضاً عُثر على أواني تعود إلى المرحلة المتأخرة من القرن الثالث عشر قبل الميلاد عليها رسم لرجل يرتدي على ما يبدو غطاء الرأس من الطراز الفلسطيني[٤]، وحتى في الفترة المتأخرة كانت عادة لبس غطاء الرأس المحلى بالريش منتشرة في مناطق مختلفة، كما في جزيرة " كوس " حيث وُجد رسم لرجال، وعلى رؤوسهم شيء يشبه الريش.

وفي رواية هيرودوت عن تجمع الجيش الفارسي في القرن الخامس قبل الميلاد، نجد أن "الليسين LYCIANS " وصفوا بأنهم الذين يرتدون " القبعة المحاطة بالريش "، وهؤلاء الليسين يحتمل أنهم انحدروا من اللوكا أو من شعب آخر من شعوب البحر من آسيا الصغرى[٥].

ولم يقتصر لباس هذه الشعوب على غطاء الرأس فقط، بل ارتدوا أيضاً تنورات قصيرة تتدلى منها أحياناً شراشيب، أما على صدورهم فيضعون ضمادات أو شرائط ربما من الكتان بها خطوط أفقية ملونة[٦].

---

[١] N.K.SANDARS, OP. CIT, p.١٣٤.
R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨, ٣٦٩. انظر أيضاً
G.A.WAINRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, p.٧٤.

GEORGES DARESSY, Annales de Service des antiquités de L, Egypte,Vol ١١,١٩١١, p.٥٩,٦٠.

[٢] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٧.

[٣] G.A.WAINRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, p.٧٥.

[٤] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٦.

[٥] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٣٧.

[٦] GEORGES DARESSY, OP. CIT, P.٥٩,٦٠.

٣- مجموعة شيكلش- تيرش:

يرى " واينرايت " أن " شيكلش – تيرش " يشكلان مجموعة واحدة من شعوب البحر، ويتشابهان في أشياء كثيرة منها غطاء الرأس الذي يميزهم عن شعوب البحر الآخرين، ويجعلهم يكونون مجموعة خاصة بهم بين هذا الحشد من غزاة البحر، ويتشكل هذا الغطاء من قلنسوة مثبتة على الرأس بشريط يلف فوق الجبين، وكان غطاء الشيكلش مائل للخلف أكثر من غطاء التيرش[١].

ويرى " ساندارز" أن هذا الغطاء يمكن أن يكون الشعر ذاته، وليس غطاء للرأس، ومهما يكن فقد لبس حلفاء الحثيين في معركة قادش هذا الغطاء، كما لبسه قسم من الحراس المصريين في حرب رعمسيس الثالث الأولى ضد الليبيين في السنة الخامسة (١١٨٩ ق.م)، وكذلك في حملة آمور الثانية[٢].

أما " واينرايت " فيذكر أن غطاء الرأس للشيكلش والتيرش لبسته الشعوب التي واجهها سيتي الأول في معركته ضد " شاسو " في السنة الأولى من حكمه[٣].

ورغم التشابه الكبير بين الشيكلش والتيرش نجد فرقاً بينهما، إذ كانت الحلية (الوسام أو الميدالية MEDALLION) تميز الشيكلش الذين يرتدونها عن التيرش الذين لا يرتدونها. وعموماً، فإن هذه الميدالية ارتداها السوريون، وقد لبسها رجل من عهد حتشبسوت قبل أن يزور بعض أهل (كفتيو) مصر، والحقيقة أن ارتداء الميدالية كان عادة قديمة ترجع إلى عام ٢١٠٠ ق.م، ولكن رغم أنها تظهر غالباً في رسوم السوريين، إلا أنها كانت في نظر المصريين علامة مميزة لـ " شيكلش- تيرش "، ومع ذلك فقد ارتداها غير الشيكلش آخرون من شعوب البحر في ذلك الوقت[٤].

ومهما يكن، فإن عادة ارتداء الميدالية كانت قديمة ومعروفة في آسيا الصغرى وسورية، بل حتى في إيران[٥]، ويذكر " ادوارد وينتي " أن " الشاسو " كانوا يلبسون هذه الميدالية كما يظهر في رسم واحد بمعبد

انظر أيضاً R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨, ٣٦٩.

[١] G.A.WAINRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, p.٨٣,٨٤.

[٢] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١١٢.

[٣] G.A.WAINRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, p.٨٥.

[٤] Ibid, ١٩٦١, p.٨٦,٨٧.

[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٧, ٣٦٨.

صولب بالنوبة[١]، لكن " واينرايت " يؤكد أن لبس واحد من الشاسو للميدالية لا يجعلها صفة مميزة لهم، كما أن لبس هذه الميدالية في سورية لم يكن بسبب تحركات " الشاسو " إلى الشمال كما يفترض "وينتي"، بل بسبب التحركات إلى الجنوب من آسيا الصغرى وما جاورها[٢].

أما باقي لباس " شيكلش– تيرش " فيتمثل في التنورة القصيرة التي لبسها باقي شعوب البحر، التي ظهرت على النقوش المصرية، وتنقسم هذه التنورة إلى أقسام ملونة تنتهي بقطعة أمامية متدلية وهي مزينة بشراشيب[٣].

ثانياً – التسليح وتنظيم الجيش:

ذكرنا فيما سبق بعض الأسلحة التي حملتها شعوب البحر، وهي في الحقيقة أسلحة مختلفة ومتنوعة، وقد ظهرت مرسومة على النقوش المصرية، خاصة نقوش معبد مدينة هابو لرعمسيس الثالث، وأشهر سلاح حملته هذه الشعوب، خاصة " الشردان "، هو السيف الطويل الحاد الذي ينتهي بمقبض مثلث الشكل[٤]، وقد عثر على النموذج الوحيد منه في " بيت داجان " قرب مدينة يافا الفلسطينية سنة ١٩١١م، ويذكر " بارنت " أنه ليس من غزة كما كان يعتقد، وهو موجود حالياً في المتحف البريطاني[٥].

وفي الواقع هناك آراء عدة حول أصل هذا السيف الطويل الذي اشتهر به الشردان، من بينها الرأي الذي يرجع أصله إلى منطقة القوقاز[٦]، ولكن " ساندارز " يؤكد بأن هذا السيف ليس غريباً عن منطقة الشرق الأدنى، وأنه تطور عن خنجر عادي من عصر البرونز الأوسط في الشرق الأدنى، وأن ارتباطه مع تاريخ الشردان كان مجرد صدفة[٧].

أما السلاح الآخر الذي اشتهر به " الشردان " فكان الدرع المستدير الذي حملوه منذ معركة قادش[٨]، كما كانت الحربة هي سلاحهم الرئيس[٩]، وكل أنواع الأسلحة والألبسة بالنسبة للشردان كانت منتشرة في

---

[١] E.F.WENTE, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٢٢, ١٩٦٣, p.١٦٨.
[٢] G.A.WAINRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology ٤٧, ١٩٦١, p.٤٣.
[٣] GEORGES DARESSY, OP. CIT, P.٥٩-٦٠.
[٤] تسركين، يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة: يوسف أبي فاضل،دار جروس برس، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٦.
[٥] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨.
[٦] A.H.GARDINER, OP. CIT, P.١٩٨,١٩٩.
[٧] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٦.
[٨] Ibid, p.١٠٦.
[٩] A.H.GARDINER, OP. CIT, P.١٩٧.

منطقة شمال سورية، وخصوصاً في مدينة أوغاريت، كما عثر على تمثال برونزي صغير في مدينة "أنكومي" بقبرص، يعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وصورة هذا التمثال تطابق تماماً صورة الشردان المحارب، إذْ نجد التنورة القصيرة والخوذة ذات القرون، والدرع المستدير والحربة[١].

أما بالنسبة للفلسطينيين فقد حملوا السيف الحاد ذا الحجم الطبيعي، الذي اتفق عليه الآن أن لديه أصولاً قوقازية، وحملوا أيضاً الدرع المستدير المنتهي بالمقبض مثل " الشردان "[٢]، كما حملوا زوجاً من الحراب والخناجر المثلثة الشكل التي استخدمها الشردان أيضاً[٣].

أما " شيكلش– تيرش " فهم بصفة عامة مسلحون بحربتين، ودرع مستدير مثل باقي شعوب البحر الآخرين كالفلسطينيين والشردان، وقد أعطوا الجيش المصري أسلحة تشبه عصىً مطروحةً أو مرميةً، كما استخدموا السيف أحياناً بجانب الرمح، وفي بعض المناظر حملوا السيف المعقوف كسلاح، وهذا ما يميزهم بوضوح عن الشردان المرتزقة الذين كانوا مسلحين بالحراب والسيوف، ورغم ذلك فإن " شيكلش– تيرش " كانوا يحملون حربتي شعوب البحر، وإن كان الدرع مستديراً عن درع شعوب البحر[٤].

والحقيقة أن السيف الذي حملوه (بمدينة هابو) كان شائعاً بين أقوام شعوب البحر، ولم يكن مقصوراً على مجموعة " شيكلش– تيرش "، بل استعمله الآسيويون في أوقات سابقة عن الأوقات التي استعملته فيها شعوب البحر، كما أن السيف المعقوف حمله الآسيويون[٥].

أما باقي التجهيزات الحربية فنجد العربات الثقيلة التي تجرها ثيرانٌ ذاتُ سنام، وهذه الثيران كما يؤكد " بارنت " و " ساندارز " استخدمت في منطقة آسيا الصغرى وبلاد الرافدين، لكنها لم تستخدم في فلسطين أو في منطقة بحر إيجه رغم وصولها إلى قبرص[٦]. غير أن " ألسندرا نيبي " ترى بأن هذه الثيران كانت

---

[١] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٦.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٢.
[٣] A.H.GARDINER, OP. CIT, P.٢٠١.
[٤] G.A.WAINRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١, p.٨٥.
[٥] E.F.WENTE, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٢٢, ١٩٦٣, p.١٦٩.
[٦] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٢١.
انظر أيضاً R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨, ٣٦٩.

معروفة للمصريين بدليل ظهورها على الآثار المصرية من الأسرة الثامنة عشرة كما يذكر " هولك HELCK "، كما أن النقوش المصرية تُظهر بأن هذه الثيران استخدمت في مصر أيضاً[١].

ومهما كان الأمر، فإن طريقة تنظيم الجيش والقتال بالنسبة لشعوب البحر تشبه إلى حد بعيد طريقة الحثيين في معركة قادش، إذْ نجد ثلاثة أشخاص داخل كل عربة، واحد لقيادة العربة واثنين من المحاربين[٢]، أما بالنسبة للمجموعة التي قدمت عن طريق البحر فقد ركبوا سفناً تتميز بوجود رأس الطير، وعلى وجه التدقيق رأس بطة في مقدمتها ومؤخرتها، ومن أول وهلة تبدو هذه السفن مختلفة تماماً عن السفن المصرية التي كانت في الغالب سفناً نيليةً تقليديةً تتميز بالأشرعة ومتانة تركيبها، كما أنها تحمل عشرة أو إحدى عشرة رجلاً للتجديف على جانبي السفينة، وتحمل أيضاً رماة النبال، أما سفن شعوب البحر فتبدو أقل حجماً من السفن المصرية، ولا تحمل رجال التجديف، أما أشرعتها فكانت بسيطة ومربعة الشكل[٣].

ويتضح من رسومات المعركة البحرية في مدينة هابو أن أشرعة سفن شعوب البحر تبدو كأنها مطوية[٤]، كما أن هذه السفن تختلف بدورها عن السفن الإيجية، لكنها– باستثناء المقدمة والمؤخرة التي تحمل رأس البط– فإنها تشبه سفن التجار السوريين من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، كما توضح رسومات قبور طيبة لـ " قن– آمون " من عهد أمنحوتب الثالث و " نب–آمون " من عهد أمنحوتب الثاني[٥].

وفي واقع الأمر فإن هذه السفن التي تشبه المقدمة فيها المؤخرة لم تكن جديدة في منطقة شرق البحر المتوسط، ولكن شكل رأس الطير على مقدمة السفينة ومؤخرتها من المحتمل أن تكون عادة جديدة رغم أن هناك منظراً لسفينة مشابهة جداً لسفن شعوب البحر عليها رأس الطير، لكن في المقدمة وحدها، وقد رُسم هذا المنظر على إناء فخاري مسيني يعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد عثر عليه في جزيرة " سكيروس "، وفي الفترات اللاحقة بعد عدة قرون كان للفينيقيين مثل هذه السفن التي تحمل رؤوس الحيوانات في مقدمتها ومؤخرتها، كما وجدت عند الآشوريين.

---

[١] ALESSANDRA NIBBI, OP. CIT, P. ٤١,٤٢.
[٢] R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٦٨, ٣٧٢.
[٣] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٢٥.
[٤] H.NELSON, OP. CIT, P.٤٦.
[٥] R.DEVAUX.O.P,OP. CIT, P.٤٩١.

وعُثر أيضاً على أشكال صخرية لسفن في منطقة القوقاز ولكن لا تشبه سفن شعوب البحر، ومن المحتمل أنها تعود إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، أما مكان بناء هذه السفن فلا بد أنه كان في منطقة ما في الشرق قرب الترسانات البحرية، وقد تكون مدينة صور أو بيبلوس أو حتى مدينة أوغاريت، وربما قبرص أيضاً خصوصاً إذا علمنا أن ملك أوغاريت كان لديه في هذه الفترة تقريباً أسطول بحري يتشكل من مائة وخمسين سفينة، كما نعلم من المراسلات الديبلوماسية بأن مصر كانت من فترة لأخرى تنتدب بناء السفن في الترسانات القبرصية[١].

ثالثاً – بعض المظاهر الحضارية الأخرى:

بالإضافة إلى الملابس والأسلحة التي تتميز بها شعوب البحر، هناك بعض المظاهر الحضارية الأخرى التي تميزوا بها خصوصاً الشعوب التي استقرت في منطقة سورية الجنوبية بعد هزيمتها أمام رعمسيس الثالث، ولقد كان الفلسطينيون أشهر هذه الشعوب لما امتازوا به من رقي حضاري، فقد أبدعوا في صناعة الفخار الذي أصبح يحمل اسمهم، كما احتكروا صناعة معدن الحديد الذي جلبوه معهم، أضف إلى ذلك أنهم استطاعوا تشكيل وحدة سياسية مستقلة في المنطقة التي أصبحت تحمل اسمهم فيما بعد، التي تمتد من يافا إلى غزة، وكانت لهم خمسة مدن مشهورة هي: غزة وعسقلان وأشدود وعقرون وجث، والتي احتفظت بأسمائها السامية تحت حكمهم، وكانت غزة وعسقلان وأشدود من الموانئ الواقعة على البحر، بينما كانت عقرون تمتد إلى مسافة عشرين كيلو متراً إلى الداخل، أما جث فتعد أبعد مدنهم الداخلية، وتقع على التلال التي تغطيها الكروم، وكان الكرمل هو الحد الفاصل بين بلادهم الشمالية وبين الفينيقيين.هذا وقد نظمت مدنهم الخمس على شكل ممالك أو دويلات مدن كل منها تحت إدارة " سيد " الذي كان يسمى بلغتهم " سرن SEREN "، لكن كانت جميعها تشكل اتحاداً قوياً إذ كانت السيادة فيه لمدينة أشدود[٢].

ومهما يكن، فإن الحديد لم يكن شائع الاستعمال قبل قدوم شعوب البحر للمنطقة، وإن كان الحثيون قد عرفوا هذا المعدن عند شواطئ البحر الأسود قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، واستخدموه في بداية الأمر في صنع الحلي للزينة. فقد ورد في رسائل العمارنة ذكر للحديد أنه معدن من المعادن الثمينة، ومن جملة الهدايا النفيسة التي بعث بها " توشراتا " ملك ميتاني إلى ملك مصر " أمنحوتب الثالث " خنجر

---

[١] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٢٩-١٣١.
[٢] DANIEL ARNAUD, OP. CIT, P.١٥٥.

مصنوع من الحديد، وخواتم من حديد مطلية بالذهب[١]. كما أن رعمسيس الثالث أرسل خطاباً للملك الحثي " خاتوشيلي " يطلب منه الحديد، وقد عثر على رد " خاتوشيلي "، إذْ نقرأ " **فيما يخص الحديد الذي أرسلت في طلبه فأنا لا أملك الحديد، أما في مخازنه في كيزواتنا فالوقت غير مناسب لتصنيعه .... وحينما يتم تصنيعه فسأرسله لك، أما الآن فلا أستطيع أن أبعث لك سوى صفيحة من الحديد**"[٢].

لقد كانت الأواني الفخارية كانت منتشرة في كل منطقة سورية الجنوبية (فلسطين) حتى المناطق الداخلية البعيدة، رغم أن تحليل طين هذه الأواني يؤكد أنها صُنعت في الأجزاء الساحلية لفلسطين، والظاهر أنها وصلت إلى المناطق الداخلية عن طريق التجارة حيث كانت تنقل من أشدود، وربما من مدن أخرى إلى " تل آتون " وإلى أبعد من ذلك شرقاً، إذْ وجدت بعض الأواني في " بيت شان " و" دير الله " على نهر الأردن[٣].

يبدو أن الفلسطينيين وغيرهم من شعوب البحر قد استقروا بعد هزيمتهم أمام رعمسيس الثالث خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد كفرق عسكرية في حاميات مختلفة في فلسطين تابعة لمصر، والدليل على ذلك تلك التوابيت المزينة بصور نصفية لتماثيل على رأسها غطاء من الريش الذي يشبه غطاء رأس المهاجمين من شعوب البحر، الذين ظهروا على نقوش معبد مدينة هاب، خاصة " المجموعة الفلسطينية". وقد عُثر على هذه التوابيت في مدينة بيت شان الواقعة على نهر الأردن، ويرى" ساندارز " أن هذه التوابيت ربما تعود إلى الحامية العسكرية المصرية التي كانت موجودة في هذه المدينة منذ أيام سيتي الأول، لكنه يضيف أنه بعد سنة ١١٨٦ ق.م، كانت هناك عناصر مختلفة من الشماليين في هذه المدينة[٤]، ولذلك كله يؤكد– ساندارز– بأنه ليس هناك دليل قاطع على وصول " بلست " القرن الثاني عشر إلى " بيت شان "[٥].

أما في " دير الله " فقد عثر على لوحات طينية محروقة قريبة من حيث المظهر للوحات الإيجية، وعليها تسجيلات بخط غير معروف، وهي تعود إلى سنة ١٢٠٠ ق.م، ومع هذه اللوحات وجدت آنية

---

[١] حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان، المرجع السابق، ص١١٢– ١١٣.

[٢] CLAIRE LALOUETTE, OP. CIT, P.١٣٠ ,١٣١.

[٣] Ibid, p.١٦٧.

انظر أيضاً W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥٠٩.

[٤] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٧٢.

انظر أيضاً W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥٠٩.

[٥] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٧٢.

فخارية أو خزفية مكسورة عليها خرطوش الملكة المصرية توسرت زوجة سيتي الثاني آخر فراعنة الأسرة التاسعة عشرة[١] .

ولم تكن الأواني الفخارية الفلسطينية أو الأواني الفخارية لشعوب البحر– حسب ساندارز– سوى هجين مختلط بين التأثيرات الشرقية المحلية والتأثيرات المسينية الخارجية، إذ نجد الأواني ذات الأشكال الحلزونية وعليها رسومات لأشكال الطيور وغيرها من النماذج المزينة، وهذه العناصر مسينية الأصل. ويتفق أغلب علماء الآثار في وقتنا الحاضر على أن مصدر هذه الأواني هي الأواني الفخارية الإيجية أو المسينية، وخصوصاً الأواني التي تعود إلى العصر الحديث الثالث في " أرجوليد " باليونان[٢]. وقد عرف طراز هذه الأواني باسم " الطراز المغلق ".

لكن رغم هذا التشابه بين الأواني الفخارية الفلسطينية والمسينية إلا أن هناك اختلافات بينهما، إذْ كانت الأواني الفخارية الفلسطينية غير مطلية بطلاء براق عكس الأواني المسينية، كما تميزت الأواني الفلسطينية بازدواجية اللون، وعادة ما يكون الأحمر والأسود. لكن في الفترة الأخيرة نجد الصبغة الخضراء، كما استخدمت في هذه الأواني الطين أو التربة الضاربة للبياض ربما لتعويض نقص اللمعان. أما التأثيرات الشرقية المحلية فتتمثل في منظر رأس الطير من الخلف، الذي كان نادراً في منطقة بحر إيجه رغم أنه لم يكن غائباً تماماً[٣].

وقد ظهر في الفترة الأخيرة رأي يؤكد أن الفخار الفلسطيني لم يصل إلى فلسطين من منطقة بحر إيجه، أو من الموطن الأصلي للفلسطينيين، إنما قدم إلى فلسطين عبر قبرص، إذْ عُثر في هذه الجزيرة على فخار مشابه له اكتشفه " فوروماك " في مدينة " سيندا "، وكل من العالمين " شيفر " و" ديكايوس " في أنكومي، وهما مدينتان تقعان في الشمال الشرقي من قبرص قرب "سلاميس"، وقد أكد "فوروماك " أن تاريخ هذه الأواني كان بين ١٢٢٥ و ١١٧٥ق.م[٤]. وقد وجدت هذه الأواني في مناطق أخرى من غير قبرص، فقد وجدت في بحر إيجه، والقليل منه في المواقع الساحلية للأناضول، كما أنها وصلت إلى المشرق.

---

[١] W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥١٠.
R.D.BARNETT, OP. CIT, P.٣٧٥. انظر أيضاً
[٢] N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٦٦- ١٦٧.
[٣] Ibid, p.١٦٧.
[٤] W.F.ALBRIGHT, OP. CIT, P.٥٠٩.

النتائج

في نهاية الأمر يجب أن نذكر بعض النتائج التي يمكن استنتاجها مما سبق وأهمها:

١- إن بداية ظهور شعوب البحر على مسرح الأحداث كان منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، واستمر ربما حتى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد، غير أن ظهورهم الحقيقي كان مع نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

٢- إن الموطن الأصلي لهذه الشعوب يشغل مساحة كبيرة من آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجه حتى منطقة القوقاز.

٣- إن هجرة بعض هذه الشعوب كانت من الشرق إلى الغرب، وليس كما يعتقد البعض أنها كانت من الغرب إلى الشرق، وإن هذه الشعوب كانت أثناء هجرتها تستقر لبعض الوقت في بعض جزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط كقبرص وكريت ومثال ذلك البلست (الفلسطينيون).

٤- إن هذه الشعوب بعد هزيمتها أمام المصريين سواء في عهد مرنبتاح أو رعمسيس الثالث انتشرت في كل حوض البحر المتوسط، فمنهم من اتجه غرباً إلى جزيرة صقيلية وسردينيا وكورسيكا حتى منطقة "إتروريا" بإيطاليا، وهذه الشعوب هي : " الشردان، الشيكلش، تيرش، وبذلك فإن هذه المناطق هي المواطن المتأخرة لهم، وليست المواطن الأصلية، أما الآخرون ومنهم " البلست، الثيكر، وربما " الدانونا "، فقد ارتدوا إلى المناطق الساحلية للحوض الشرقي للبحر المتوسط.

ويجب أن نذكر هنا أن بعض القبائل كانت كثيرة العدد، وتم أسر العديد من أفرادها خلال هذه الحروب، واستخدم هؤلاء الأسرى كمرتزقة في الجيش المصري، ووُضعوا في حاميات ومناطق خاصة، ومن ثم فقد استقروا في مصر، وخير مثال على ذلك طائفة الشردان.

٥- إن بعض هذه الشعوب كانوا يحترفون القرصنة، ثم أصبحوا مرتزقة لدى الحثيين والمصريين، وبعض دويلات الشرق الأدنى، ومنهم: " الشردان، اللوكا، الثيكر". ولا بد من الإشارة إلى أن بعض الشعوب ظهرت في عهد مرنبتاح، ولم تظهر في عهد رعمسيس الثالث، ومنهم " الإقواش، اللوكا "، ومنهم ظهروا في عهد رعمسيس الثالث، فقد وهم " البلست، الثيكر، دانونا، وشوش "، ومنهم من ظهر في عهد مرنبتاح ورعمسيس الثالث معاً، وهم " الشردان، شيكلش، تيرش ".

٦- إن علاقة شعوب البحر مع مصر كانت في غالب الأحيان تتسم بالعداء الشديد، وتميزت باندفاع هذه الشعوب باتجاه مصر بهدف الاستقرار فيها، إذْ حدث ذلك مرتين في عهد مرنبتاح من جهة الغرب، وفي عهد رعمسيس الثالث من جهة الشرق، وعن طريق البر والبحر.

خاتمة

في نهاية هذه الدراسة لا بد أن نؤكد أنه ليس هناك حلول حاسمة وواضحة للقضايا التي طرحت في هذه الدراسة، وإنما هناك افتراضات ووجهات نظر مختلفة، لكن هذا لا يمنع من ذكر بعض النتائج والآراء التي نرجحها ونميل إليها نظراً للأدلة والحجج التي تساندها أكثر من غيرها.

ويتضح من هذه الدراسة أن ظهور شعوب البحر على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى القديم يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وبالضبط في عهد أخناتون، إذْ تذكر رسائل العمارنة بعض الشعوب كاللوكا والشردان والدانونا، ثم استمر ذكر بعض الشعوب في السجلات والنقوش المصرية مع بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فقد شارك الشردان واللوكا في معركة قادش مع الحثيين ضد مصر، لكن هذا الظهور المبكر لشعوب البحر لم يكن سوى مقدمة للظهور الحقيقي الذي كان مع نهاية القرن الثالث عشر ق.م وبداية القرن الثاني عشر ق.م في عهد مرنبتاح ورعمسيس الثالث.

وقد تميز الوضع السياسي والحضاري في منطقة الشرق الأدنى القديم والبحر المتوسط خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهي الفترة السابقة لقدوم هذه الشعوب بوجود ثلاث قوى سياسية وحضارية: هي مصر في الجنوب والشرق، والحثيين من الشمال الشرقي، والمسينيين من الشمال الغربي في منطقة بحر إيجه، رغم أن بداية هذا القرن قد شهدت صداماً مباشراً بين القوتين الكبيرتين– مصر وخاتي – إلا أن الأمور ما لبثت أن تحسنت، وتوصل الطرفان إلى عقد معاهدة السلام التي أدت إلى توازن سياسي عاشت من خلاله المنطقة في أمن وسلام، لكن الأوضاع استاءت بعد ذلك، فقد بدأت المنطقة تشهد اضطرابات وتوترات، وخصوصاً في منطقة آسيا الصغرى، إذْ بدأت السلطة المركزية في حاتوشا بالانهيار والاضمحلال نتيجة الصراعات الداخلية، والخطر الخارجي الذي تمثله الامبراطورية الآشورية التي بدأت في الظهور كقوة جديدة في الشرق الأدنى القديم، أما في مصر ورغم النجاح الذي حققه رعمسيس الثاني إلا أن الوضع قد اختلف في نهاية حكمه، ففي هذه الفترة بدأت مصر تمر بأزمات عصيبة، وأخذت تنحدر نحو التدهور والانحلال، ومن مظاهر ضعف مصر في هذه الفترة اعتمادها من الناحية العسكرية على العناصر الخارجية والمرتزقة مثل الماريانو والشردان، ويبدو أن ضعف القوى الكبرى واختلال التوازن السياسي قد ساعد بعض الحكام المحليين في منطقة فلسطين وسورية على محاولة الاستقلال، كما فتح الطريق أمام القبائل البدوية كالخابيرو والشاسو والاسرائيليين التي كانت المصدر الرئيس لعدم الاستقرار في المنطقة.

وفي منطقة بحر إيجه لم يكن الأمر مختلفاً، بل كانت هذه المنطقة هي المسرح الأول لتلك الاضطرابات والتوترات، نتيجة اندفاع موجات جديدة من الشعوب الهندو- أوربية نحو البلقان وبلاد اليونان وجزر بحر إيجه والشواطئ الجنوبية لآسيا الصغرى، وكانت هذه المناطق بمثابة ميادين لقتال مرير بين أهلها الأصليين وبين المغيرين، وانتهى الأمر بأن الآلاف من الأسر التي كانت تسكن هذه المناطق قد اضطرت إلى الهرب، فركبت سفنها وهامت على وجهها في البحر المتوسط تبحث عن وطن جديد.

وقد أطلق المصريون القدماء على هذه الشعوب تسميات كثيرة منها: " الشماليون الذين في جزرهم "، و " أجانب الشمال الذين قدموا من بلدانهم وجزر الأخضر العظيم "، أو " من بلدان البحر "، وأحياناً يطلقون عليهم " الشعوب التي من البحر "، لكن هذه التسمية فيها كثير من المغالطة، إذ لم تكن كل هذه الشعوب التي قيل عنها أنها " من البحر " شعوباً بحرية بدليل أن قدومها إلى مصر لم يكن عن طريق البحر فقط إنما كان عن طريق البر أيضاً، وفي عربات ثقيلة تجرها الثيران ما يحمل على الاعتقاد بأنها قدمت من الأراضي الداخلية، ويجب أن نؤكد أن النصوص المصرية كانت تطلق على" الشماليون الذين في جزرهم " على بعض هذه الشعوب، وتطلق أحياناً مصطلح " من البحر " على بعضهم الآخر، كما أنهم لم يظهروا دفعة واحدة، إذ نجد أن بعض الشعوب ظهرت في عهد مرنبتاح ولم تظهر في عهد رعمسيس الثالث، ومنهم الإقواش واللوكا، ومنهم من ظهروا في عهد رعمسيس الثالث فقط، وهم: " البلست والثيكر والدانونا ووشوش"، ومنهم من ظهر في عهد مرنبتاح ورعمسيس الثالث معاً، وهم: " الشردان وشيكلش- تيرش" ومهما يكن فقد أجمع علماء المصريات على أن شعوب البحر هي " البلست، الثيكر، الدانونا، شيكلش- تيرش، اللوكا، الإقواش، وشوش، الشردان"، وقد رأينا من خلال الدراسة أن علماء المصريات حاولوا تحديد الموطن الأصلي لهذه الشعوب اعتماداً على النصوص المصرية التي تذكرهم بأنهم من جزر الشمال أو من البحر كما ذكرنا. وقد فسرت هذه التعبيرات على أساس أنها تقصد جزر بحر إيجه أو جزر البحر المتوسط، وبهذا فإن مواطنهم الأصلية يجب أن تكون في هذه المناطق، لكن في الحقيقة إن مواطن هذه الشعوب لا بد أنها تشغل مساحة أكبر، وفي رأينا فإن مواطنهم تمتد من آسيا الصغرى حتى بحر إيجه وأراضي اليونان الداخلية، وليس المناطق الجنوبية لآسيا الصغرى فقط كما يرى " وينرايت "، وبذلك تكون هجرة هذه الشعوب من الشرق إلى الغرب، ليس كما يعتقد بعض العلماء أنها كانت من

الغرب إلى الشرق، ويبدو أنها كانت تستقر لبعض الوقت أثناء هجرتها في بعض الجزر في الحوض الشرقي للبحر المتوسط كجزيرة كريت.

وقد قصدت هذه الشعوب مصر بهدف الاستقرار في أراضي الدلتا الخصبة، سواء الشعوب التي نزلت سواحل شمال إفريقيا وهاجمت مصر في عهد مرنبتاح، أو التي قدمت من الشمال والشرق في السنة الثامنة من عهد رعمسيس الثالث، لكن محاولاتها باءت بالفشل بفضل مرنبتاح ورعمسيس الثالث الذين نجحوا في إنقاذ مصر من هذا الخطر الداهم، الذي لم تنجُ منه الامبراطورية الحثية وسورية وفلسطين، ودون مغالاة فإننا نؤكد أن مصر استطاعت أن تصد أخطر غزو بعد غزو الهكسوس، إذ لو قدر لهذه الشعوب أن تجتاح مصر فربما كان مصيرها كمصير دولة الحثيين.

وبعد هزيمتهم تفرقت شعوب البحر في فلسطين والبحر المتوسط، فاستقر البلست والثيكر وربما الدانونا على طول المناطق الساحلية لفلسطين، بينما توجه الشردان والشيكلش غرباً نحو جزر سردينيا وصقلية وكورسيكا، حتى منطقة أتروريا بإيطاليا، وبذلك تكون هذه المناطق هي المواطن المتأخرة لهم، وليست المواطن الأصلية، من هنا فقد أسهمت هذه الشعوب في نقل نسيم الحضارة الشرقية نحو أوربا، وساعدوا على رسم خريطة جديدة لمنطقة البحر المتوسط.

وعموماً يمكن القول إن شعوب البحر لم تكن سوى قبائل متنقلة ليس لديها رصيد حضاري كبير بالمقارنة مع الشعوب الأخرى التي عاشت في المنطقة، رغم ذلك لديها بعض المظاهر الحضارية كصناعة الفخار وصناعة الأسلحة، ولا نبالغ إذا قلنا إن الفضل يعود إلى هذه الشعوب في نقل هذه المنطقة من عصر البرونز إلى عصر الحديد الذي أسهمت في انتشاره.

وفي الختام يجب أن نكرر مرة أخرى بأن كل ما طُرح في هذه الدراسة هو مجرد افتراضات وآراء قابلة للجدل والمناقشة .

وما توفيقي إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

قائمة الملاحق

١- قائمة الخرائط

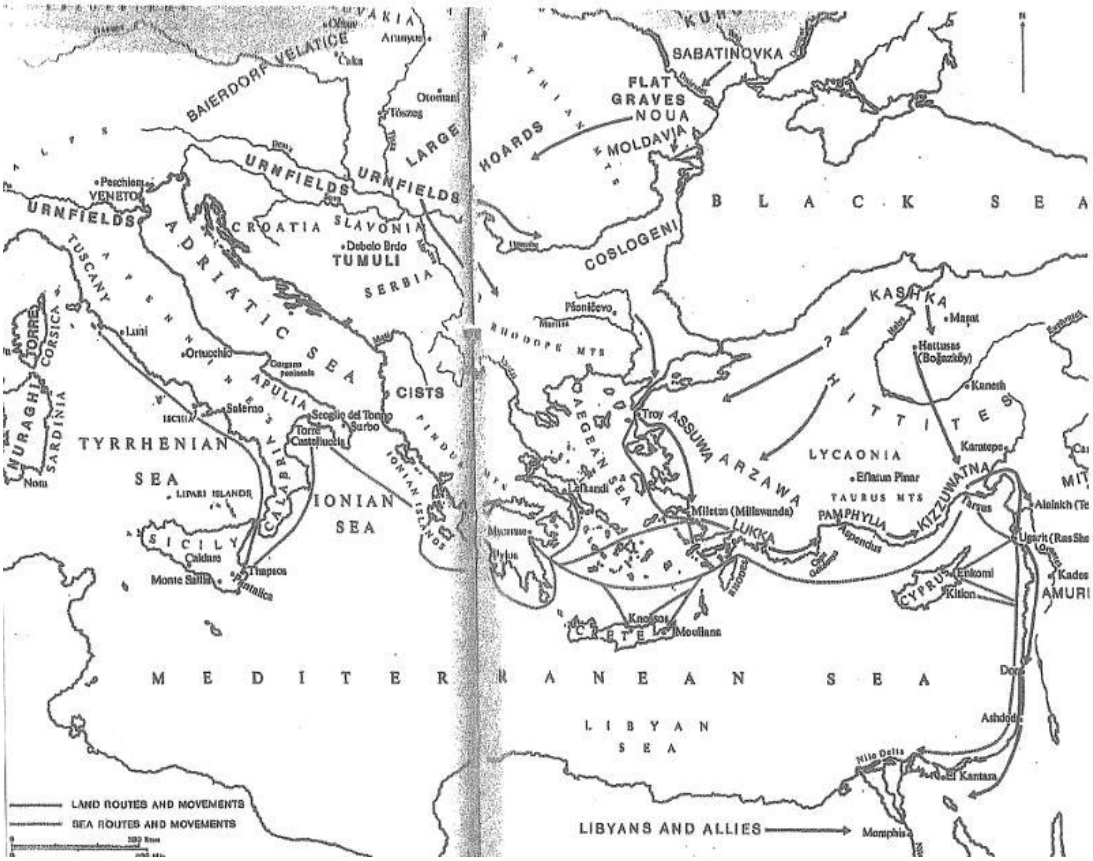

شكل (١) غزوات شعوب البحر للشرق القديم نقلاً عن

N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٥.

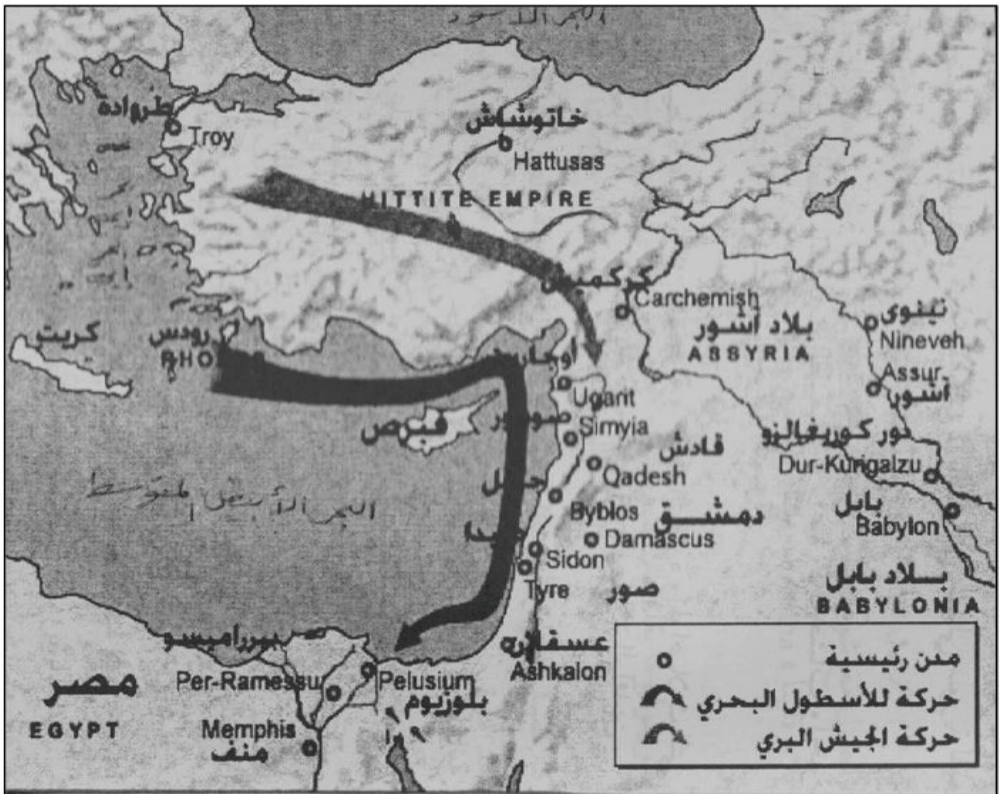

شكل (٢) مسير هجمات شعوب البحر نقلاً عن

توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، شعوب البحر، ص٩٩.

شكل (٣) موقع مدينة كركميش ومملكة موكيش (ألالاخ) وحلب وأوغاريت.

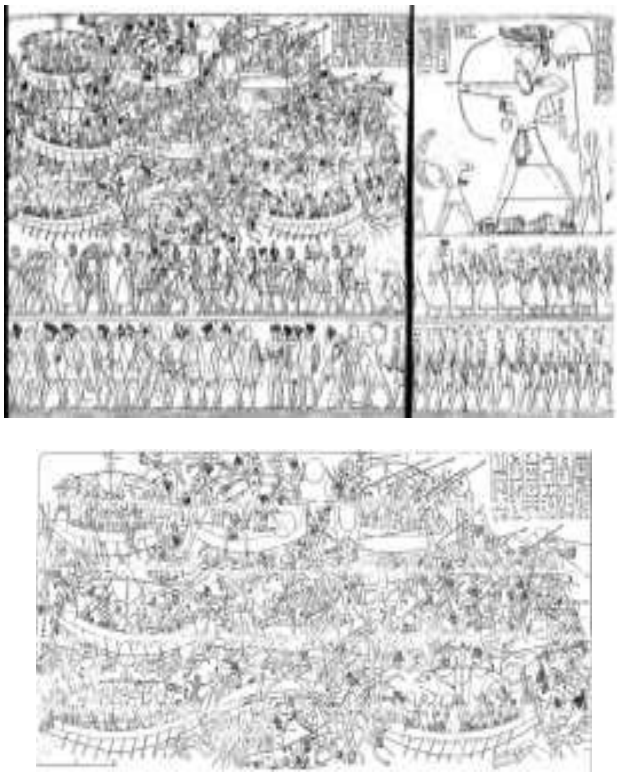

شكل (٤) مناظر معركة العام الثامن البحرية – معبد رعمسيس الثالث بمدينة هابو نقلاً عن

برستد، جيمس هنري، سجلات تاريخية من مصر القديمة، المجلد الرابع، الأسرات من العشرين إلى السادسة والعشرين، ترجمة: عثمان مصطفى عثمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص٥٣.

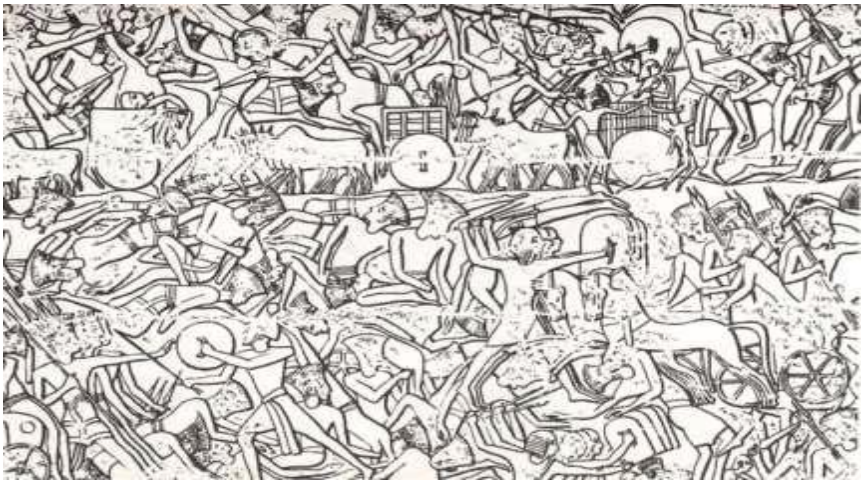

شكل (٥) نقوش معركة العام الثامن البرية بمعبد رعمسيس الثالث بمدينة هابو نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية ومظاهر الخلط في تمثيلهم في النقوش المصرية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ص١٩٧.

شكل (٦) الجدار الخارجي الشمالي لمعبد هابو والذي صورت عليه معارك شعوب البحر نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص١٩٨.

شكل (٧) مشاهد لعد الأيدي أمام رعمسيس الثالث– معبد هابو نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص٢٠٠

شكل (٨) الشردان كما جاؤوا على جدران معبد هابو نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص٢٠٤.

شكل (٩) هيئة الشيكليش كما جاءت على نقوش معبد هابو نقلاً عن

المرجع نفسه، ص٢٠٧.

شكل (١٠) صورة رجل من البلست نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص٢٠٩.

شكل (١١) تمثال الوزير بادي– ايست من الأمام والخلف– بازلت أسود– عصر الانتقال الثالث– متحف هنري والترز– جاء عليه ذكر البلست

https://en.wikipedia.org/wiki/Padiiset%٢٧s_Statue

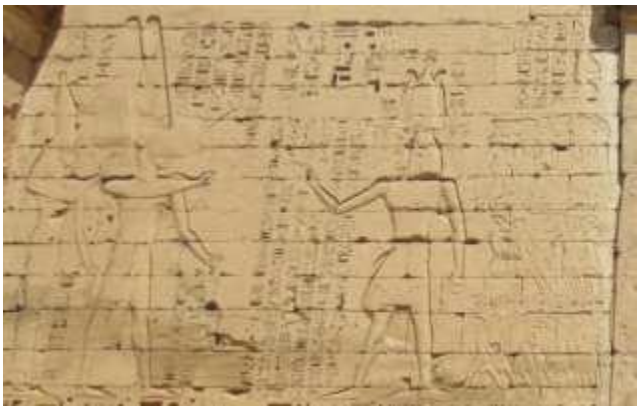

شكل (١٢) الملك رعمسيس الثالث وهو يحتفل بانتصاره على شعوب البحر نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص٢١٣.

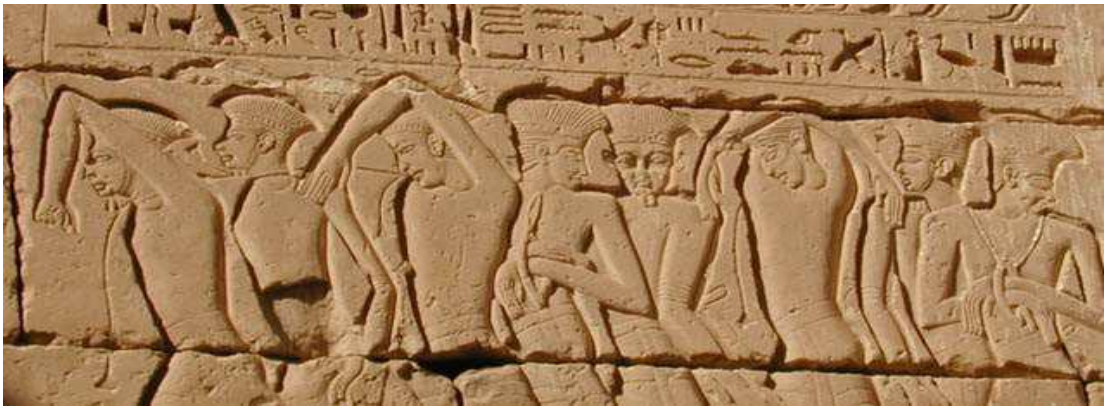

شكل (١٣) يوضح الصف السفلي من الأسرى والذي يمثل البلست– معبد هابو نقلاً عن

المرجع نفسه، ص٢١٤.

شكل (١٤) يوضح الصف الأوسط من الأسرى والذي يمثل الدانونا. نقلاً عن

المرجع نفسه، ص٢١٤.

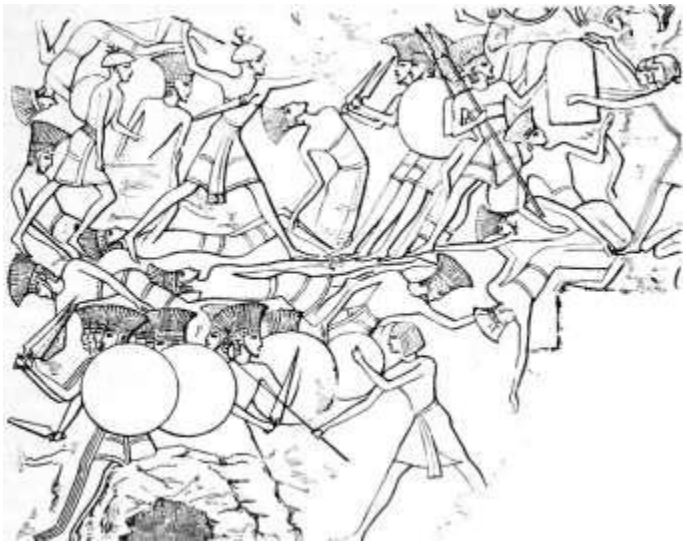

شكل (١٥) مشهد من معركة العام الخامس البرية يوضح الشردان بتاجهم المقرن كمرتزقة في الجيش المصري وهم يحاربون ضد البلست بتاجهم الريشي– معبد هابو. نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص٢١٦.

شكل (١٦) مشهد آخر من معركة العام الخامس البرية يوضح استخدام الشردان والبلست كمرتزقة في الجيش المصري ضد الليبيين – معبد هابو. نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، المرجع نفسه، ص٢١٧.

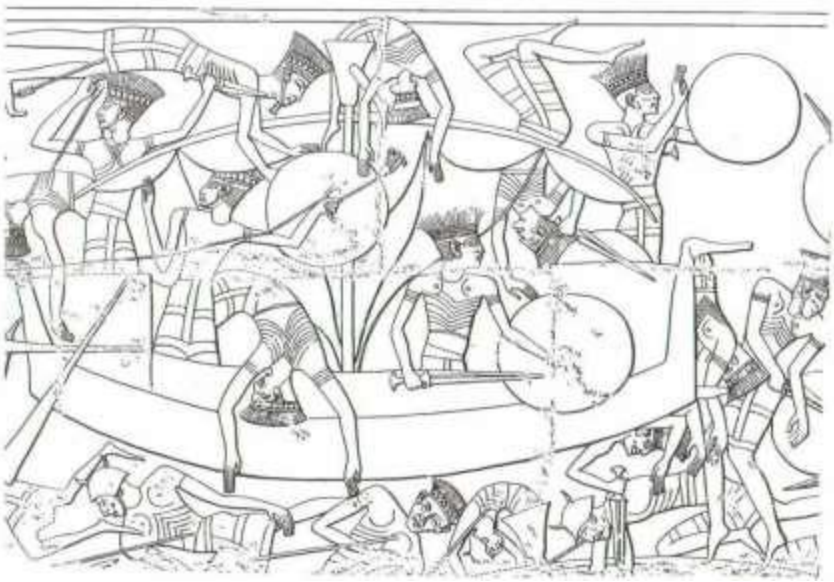

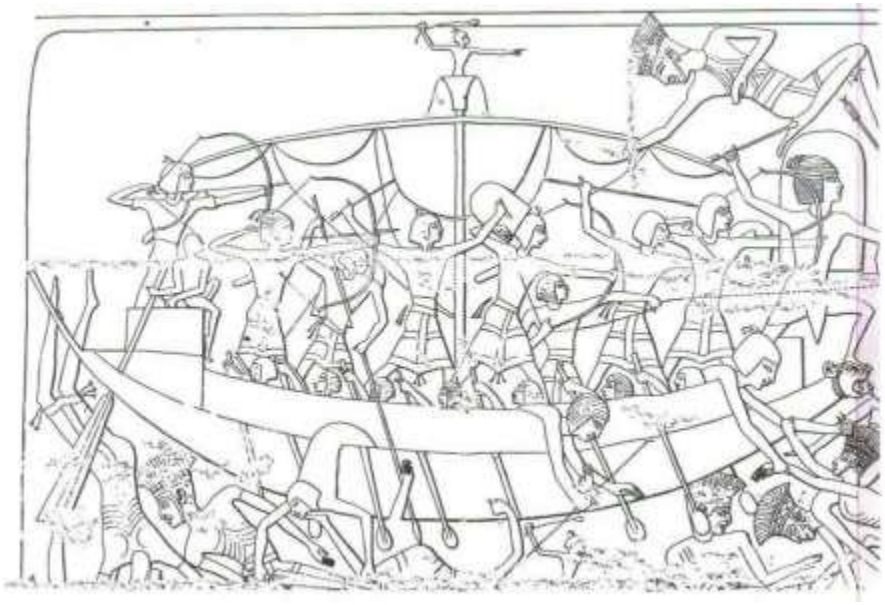

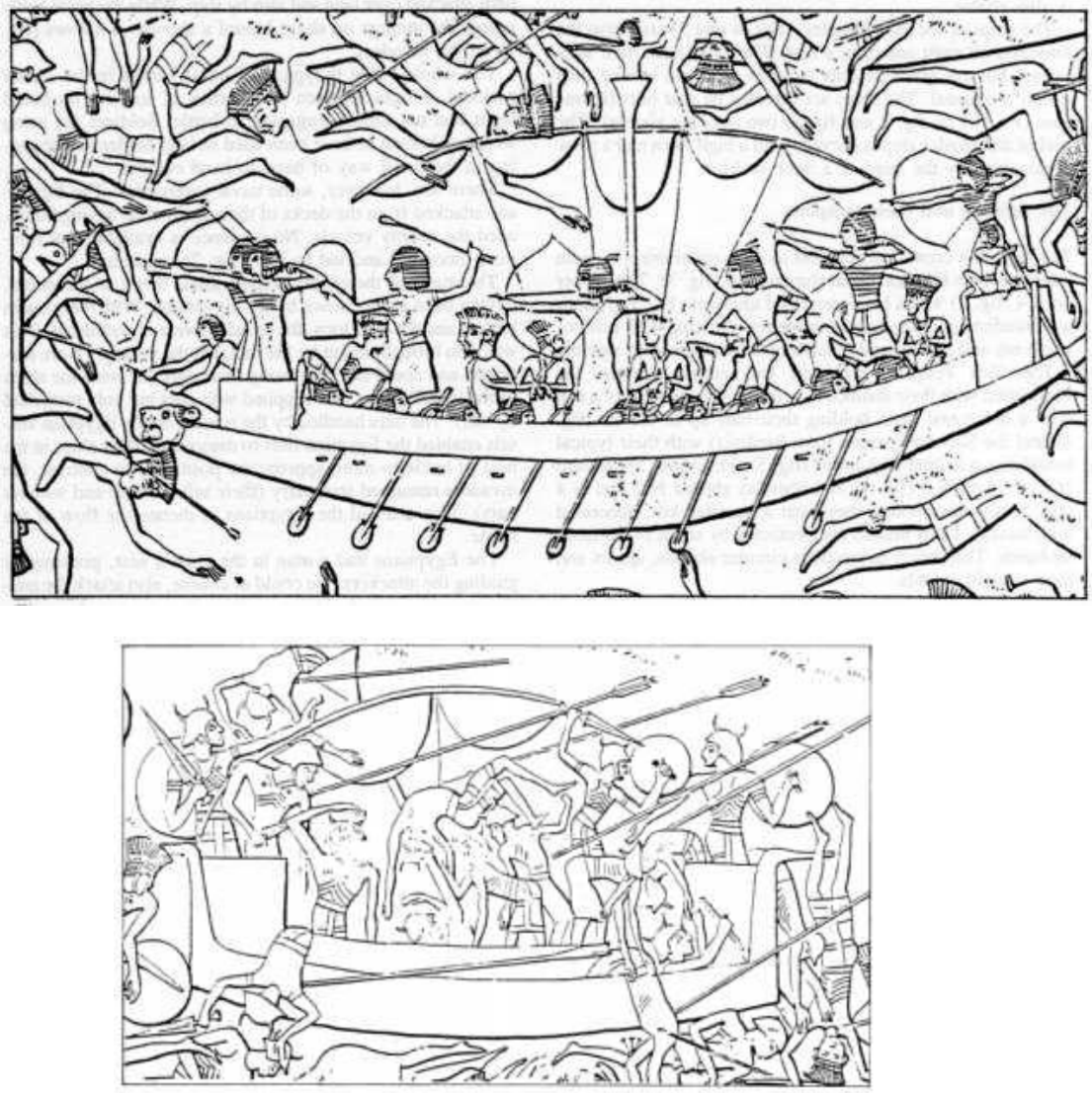

شكل (١٧) مشاهد لشعوب البحر كأعداء لمصر ضمن مناظر معركة العام الثامن البحرية– معبد هابو. نقلاً عن الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص٢٢٠.

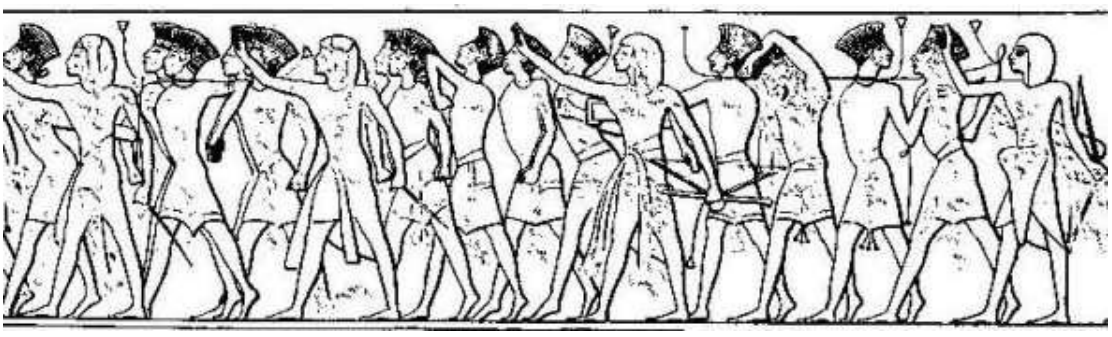

شكل (١٨) أسرى المعركة البحرية من البلست– نقوش هابو. نقلاً عن المرجع نفسه، ص٢٢١.

شكل (١٩) منظر يوضح الأسرى وهم من الشمال لليمين أسير ليبي وأسير من الشيكليش وأسيرين سوريين وأسير من البلست– نقوش هابو

http://www.salimbeti.com/micenei/sea.htm

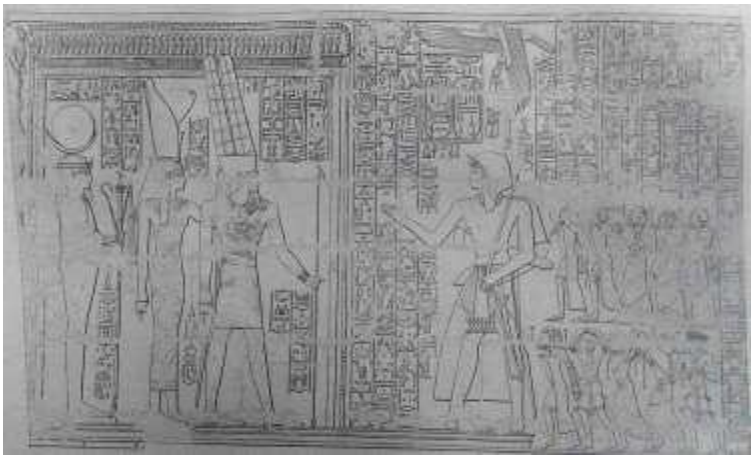

شكل (٢٠) الفرعون رعمسيس الثالث يقدم الأسرى من الليبيين وغيرهم من شعوب البحر (منهم البلست والشيكليش) لثالوث طيبة – الفناء الأول– الجدار الشمالي– معبد هابو. نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص ٢٢٤.

شكل (٢١) اللقب الحوري لرعمسيس الثالث يقبض على أسير. نقلاً عن

الحويلي، سليمان حامد، شعوب البحر في المصادر النصية والأثرية، ص٢٢٥.

شكل (٢٢) رعمسيس الثالث ورجال بلاطه في عرض عسكري- الفناء الأول- الجدار الشمالي- خلف الأعمدة- الصف الأسفل- معبد هابو. نقلاً عن

المرجع نفسه، ص٢٢٦.

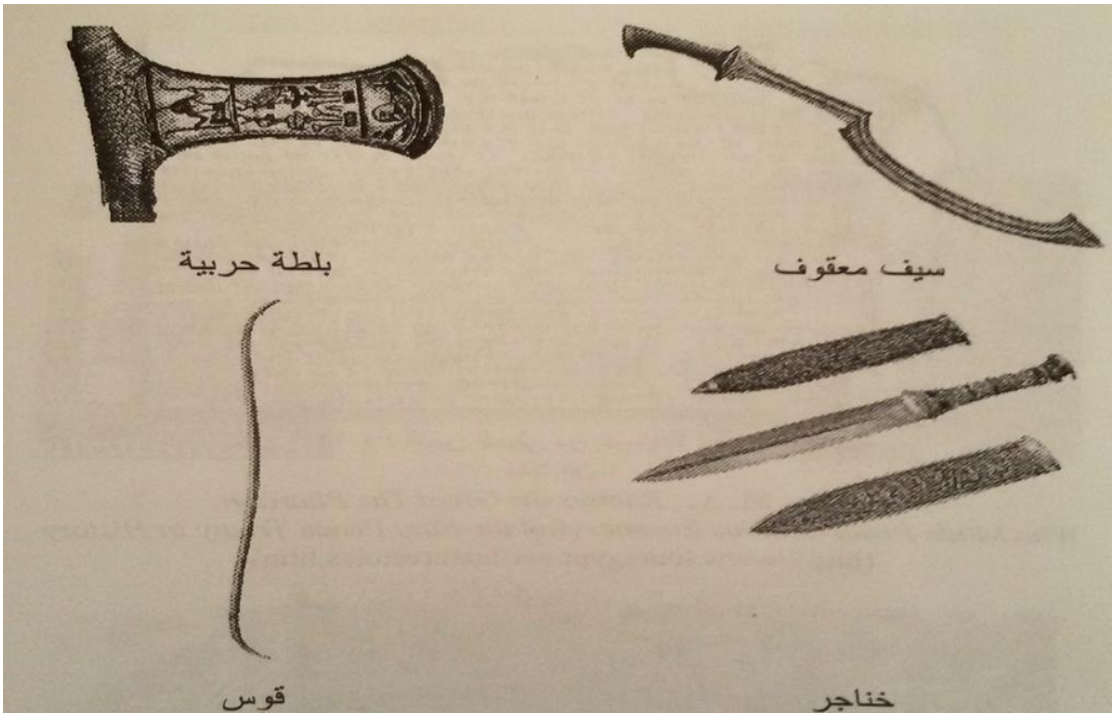

شكل (٢٣) نماذج من أسلحة الدولة الحديثة. نقلاً عن

N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٦.

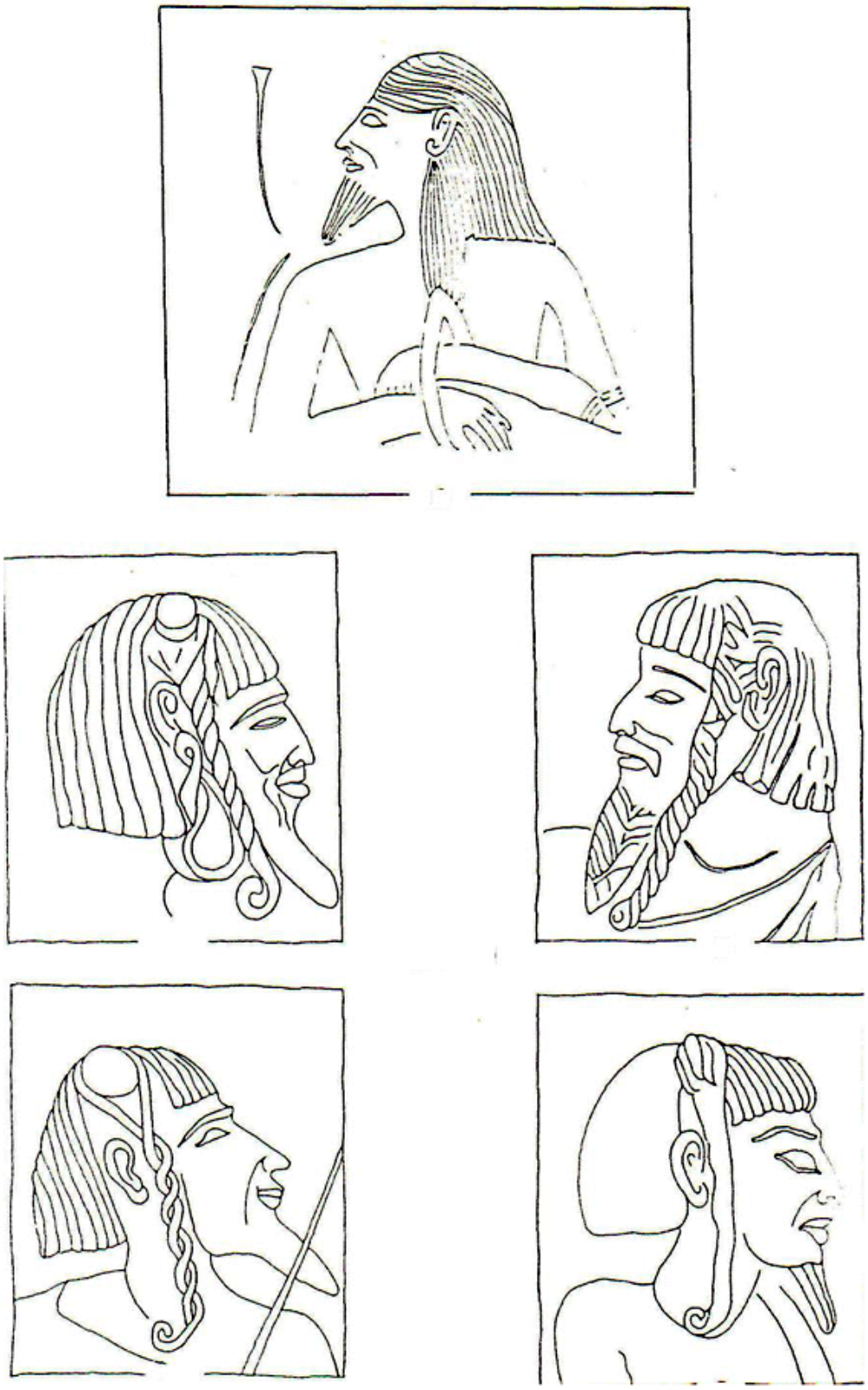

شكل (٢٤) تسريحة شعر الليبيين ومن بينهم مشيشر زعيم المشواش نقلاً عن

ALESSANDRA NIBBI,OP. CIT, P.٨٤.

شكل (٢٥) غطاء رأس البلست نقلاً عن

ALESSANDRA NIBBI,OP. CIT, P.٨٥.

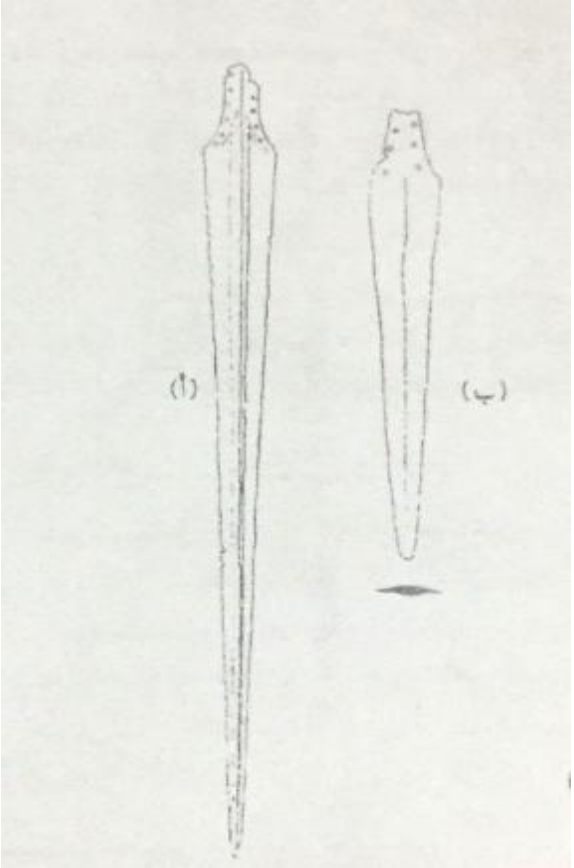

شكل (٢٦) السيف الطويل الذي وجد قرب غزة ويعتقد أنه للشردان نظراً لتشابهه مع السيوف التي حملها الشردان الذين ظهروا في النقوش المصرية نقلاً عن

N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١٠٦.

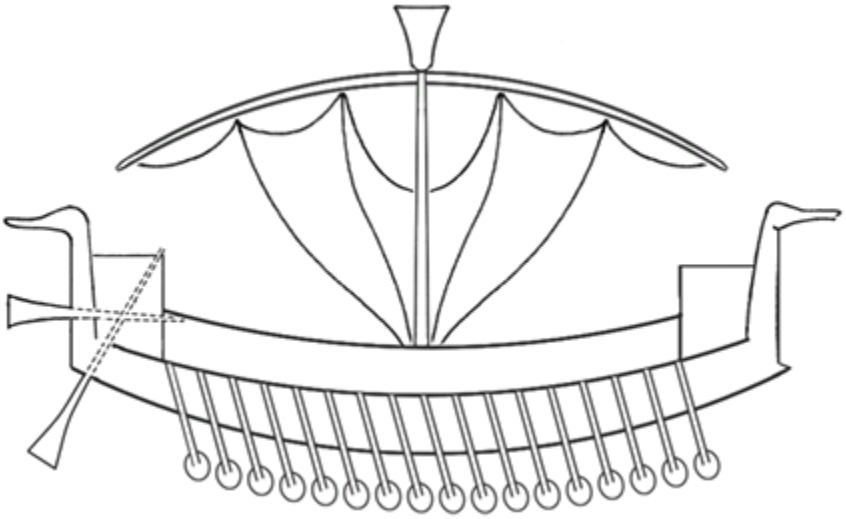

شكل (٢٧) سفن شعوب البحر المزودة بالمجاذيف نقلاً عن

N.K.SANDARS, OP. CIT, P.١١٠.

شكل(٢٨) إحدى سفن شعوب البحر ذات النهاية على شكل رأس الطير نقلاً عن

توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، ص١٨.

شكل (٢٩) مسند للقدمين لأحد ملوك مصر وقد نقشت عليه الأقواس التسعة التي ترمز لأعداء مصر التقليديين وهذه النقوش لسجناء انبطحوا أرضاً وقيدوا معاً بالسلاسل وأيديهم موثقة خلف ظهورهم، وعندما يجلس الملك على العرش يبدو هؤلاء الأعداء تحت قدميه. نقلاً عن

توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، ص١١.

الملك رعمسيس الثاني فوق مركبته الحربية يسحق الحثيين بمعركة قادش. نقلاً عن

N.K.SANDARS, OP. CIT, P.٨٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١- ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق الأدنى القديم " وادي الرافدين، بلاد الحثيين، فارس"، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر،١٩٦٣م

٢- ابراهيم، نجيب ميخائيل، مصر والشرق القديم، الجزء الثالث – سورية، الطبعة الثالثة، الاسكندرية، ١٩٦٧.

٣- أبو بكر، عبد المنعم، كفاحنا ضد الغزاة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٤- أبو عساف، علي، نصوص أوغاريت- دراسات ونصوص قديمة (٣)، وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

٥- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط٢، دار المعلمين العالمية، بغداد، ١٩٥٥م.

٦- البرغوتي، محمود عبد اللطيف، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، طرابلس،١٩٧١م

٧- الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، طبعة العيد المئوي، ١٨٨٣- ١٩٨٣م.

٨- بولس، جواد، لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران وشركاه للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣م.

٩- حسن، سليم، مصر القديمة، ج٥، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

١٠- حسن، سليم، مصر القديمة- عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية،ج٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

١١- حسن، سليم، مصر القديمة، عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية، ج٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠.

١٢- الحكيم، صالح، الحياة الدينية في المجتمع الأوغاريتي في الألف الثاني قبل الميلاد، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ٢٠١٠م.

١٣- الحمد، محمد عبد الحميد، حضارة طريق التوابل، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧م.

١٤- خان، ظفر الإسلام، تاريخ فلسطين القديم ١٢٢٠ ق.م- ١٣٥٩م منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

١٥- الدسوقي، خالد، دراسات في شعوب الشرق القديم "الأموريون- الكنعانيون- الآراميون- العبرانيون- الفلسطينيون "، مكتبة أحمد حسن سعد، القاهرة، ١٩٨٢م.

١٦- زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد " مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ق.م، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٧- سارة، خليل، دراسات في تاريخ الإغريق- مقدمة في التاريخ الحضاري والسياسي، دمشق، ٢٠٠١-٢٠٠٢م.

١٨- سعادة، صفية، أوغاريت، مؤسسة الفكر للأبحاث والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٩- السعدي، حسن محمد محي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم " العراق- إيران- أسيا الصغرى، ج٢، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٥م.

٢٠- سعد الله، محمد علي، في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الاسكندرية، ٢٠٠١م.

٢١- سليمان، توفيق، دراسات في حضارات غرب أسيا القديمة من أقدم العصور حتى عام ١١٩٠ ق.م- الشرق الأدنى القديم " بلاد ما بين النهرين- بلاد الشام"، دار دمشق للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٥م.

٢٢- السواح، فراس، آخر أيام أوغاريت- عوامل طبيعية أم بشرية، مقال في مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٥٠٧، ٢٠٠٥ م.

٢٣- الشواف، قاسم، أخبار أوغاريتية وموسيق من أوغاريت، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٩م.

٢٤- صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، الجزء الأول، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢٥- عبد الحميد، الأرثم رجب، التاريخ السياسي والاقتصادي لبرقة منذ القرن السابع قبل الميلاد حتى بداية العصر الروماني، طرابلس، ١٩٦٩

٢٦- عبد الرحمن، عمار، مملكة آلالاخ- ألق التاريخ على العاصي، وزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ٢٠٠٨م.

٢٧- عبد الرحمن، قصي، أوغاريت، منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٨- مجموعة من المؤرخين العرب، تاريخنا- الكتاب الأول- ليبيا، دار التراث،١٩٧٧م.

٢٩- محمد، جيهان عزت، أخبار مملكة أمورو في النصوص الأكادية، وزارة الثقافة، سورية، المديرية العامة للآثار والمتاحف، مركز الباسل للبحث والتدريب الأثري، دمشق، ٢٠١١م.

٣٠- مهران، محمد بيومي، اسرائيل، الجزء الثاني- التاريخ، الاسكندرية ١٩٧٨م.

٣١- مهران، محمد بيومي، حركات التحرير في مصر القديمة، ج٣، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٧٦م.

٣٢- مهران، محمد بيومي، تاريخ العراق القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م.

٣٣- مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، (٩) المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م.

٣٤- مهران، محمد بيومي، مصر – الكتاب الثاني – التاريخ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٨٨م.

٣٥- مهران، محمد بيومي، مصر والعالم الخارجي في عصر رعمسيس الثالث، الاسكندرية، ١٩٦٩م.

ـ الدوريات

١- اسماعيل، فاروق، الحثيون وحملاتهم على سورية، بحث في مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ٨١-٨٢، ٢٠٠٣م.

٢- – توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، بحث في الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر، هيئة الموسوعة العربية، سورية، ط١، ٢٠٠٥م.

٣- توكلنا، ابراهيم، شعوب البحر، بحث في مجلة دراسات تاريخية، العددان ١٣٣- ١٣٤، جامعة دمشق، ٢٠١٦م.

ثانياً: المراجع المترجمة

١- إرمان، أدولف، ورانكة، هرمان، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة، د.ت.

٢- برستد، جيمس هنري، سجلات تاريخية من مصر القديمة، المجلد الرابع، الأسرات من العشرين إلى السادسة والعشرين، ترجمة: عثمان مصطفى عثمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م

٣- تسركين، يولي بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في إسبانيا، ترجمة: يوسف أبي فاضل، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.

٤- جاردنر، سير ألن، مصر الفراعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل ابراهيم، مراجعة: عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٥- حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ج١، ١٩٨٢م.

٦- حتي، فيليب، لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة: نقولا زيادة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.

٧- دريوتون، إيتين، وفانديه، جاك، مصر، ترجمة: عباس بيومي، القاهرة، ١٩٥٠م.

٨- ردفورد، دونالد ب، مصر وكنعان وإسرائيل في التاريخ القديم، ترجمة: علي خليل، دار الرأي للنشر والتوزيع، سورية، دمشق، د.ت.

٩- شارف، ألكسندر، تاريخ مصر، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٠- عبودي، هنري س، معجم الحضارة السامية، مكتبة جروس برس، طرابلس، لبنان، ١٩٨٨ م.

١١- فركوتيه، جان، قدماء المصريين والإغريق- بحث في العلاقات بين الشعبين من أقدم الأزمنة إلى نهاية الدولة الحديثة، ترجمة: محمد علي كمال الدين، مراجعة: محمد صقر خفاجة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٢- فيرنوس، باسكال، يويوت، جان، موسوعة الفراعنة، ترجمة: محمود ماهر طه، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢م.

١٣- كلينغل، هورست، تاريخ سورية السياسي ٣٠٠٠- ٣٠٠ ق.م، ترجمة: سيف الدين دياب، دار المتنبي، دمشق، ط١، ١٩٩٨م.

١٤- كوتريل، ليونارد، الموسوعة الأثرية العالمية، ترجمة: محمد عبد القادر محمد، زكي اسكندر، ط٢، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٧م.

١٥- لالويت، كلير، نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة، ترجمة: ماهر حويجاتي، مراجعة: طاهر عبد الحكيم، دار الفكر للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٦م.

١٦- مورتكات، أنطوان، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ترجمة: توفيق سليمان، علي أبو عساف، قاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، ١٩٦٧م.

١٧- موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٩٧م.

١٨- وولي، ليوناردو، آلالاخ مملكة منسيّة- دراسات ونصوص قديمة، ترجمة: فهمي الدالاتي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢م.

١٩- ويلسون، جون، الحضارة المصرية، ترجمة: أحمد فخري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

المصادر والمراجع الأجنبية

١- A.GOETZE, The Hittites and Syria (١٣٠٠- ١٢٠٠ B.C), Cambridge Ancient History, II, ١٩٧٥, Chapter ٢٤.

٢- A.H.GARDINER, Ancient Egyptian Onomastica, I , Oxford, ١٩٤٧.

٣- A.LEAHY, The Libyan period Egypt an Essay in Interpretion Libyan Studies ١٦ (١٩٨٥).

٤- ALESSANDRA NIBBI, The Sea peoplos, Oxford, ١٩٧٢.

٥- A.AYMARD- J.AUBOYER, L'orient et la Grèce antique Quadrige- PUF, Paris, ١٩٨٥.

٦- A.MORET, L'Egypte Pharaonique. Dans Gabriel Hanotaux. Histoire de la nation Egyptienne, tome ٢, Paris, ١٩٣٢.

٧- CLAJRE LALOUETTE, L, Empire des Ramses, Fayard, ١٩٨٥.

٨- C.KUENTZ, La Stèle de Mariage de Ramses II, Annales de Service des antiquités de L'Egypte, ٢٥, ١٩٢٥.

٩- DANIAL ARNAUD, Le Proche Orient Ancien de L, Invention de L, ecriture L,hellesation. Collection etudes Super leureg Bordaa Tance, ١٩٧٠.

١٠- E.F.WENTE, Shekelesh Or Shasu ? Journal of Near Eastern Studies, ٢٢, ١٩٦٣.

١١- ERICHSEN, N, Papyris Harris١; Hieroglyphis the Transkription, Brusseles, ١٩٣٣

١٢- FRANK. H. STUBBINGS, The Recession of Mycenaean Civilization, Cambridge Ancient History. II, ١٩٧٥.

١٣- G.A.WAINWRIGHT, Meneptah,s Aid To The Hittites, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٦, ١٩٦٠.

١٤- G.A.WAINWRIGHT, The Meshwesh, Journal of Egyptian Archaeology, Vol ٤٨, ١٩٦٢.

١٥- G.A.WAINWRIGHT, SHEKELESH Or SHASU ? Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٥٠, ١٩٦٤.

١٦- G.A.WAINWRIGHT, Some Sea-Peoples And Others In the Hittites Archives, Journal of Egyptian Archaeology,Vol٢٥, ١٩٣٩.

١٧- G.A.WAINWRIGHT, Keftiu: Crete Or Cilicia? ,The Journal of Hellenic Studies, Vol ٥١, ١٩٣١.

١٨- G.A.WAINWRIGHT, Some Sea Peoples, Journal of Egyptian Archaeology,Vol ٤٧, ١٩٦١.

١٩- GUSTAVE GLOTZ, La Civilisation egeene , La Renaissance du Livre, Paris, ١٩٢٣.

٢٠- GUY ET M.F.RACHET, Dictionnaire de la Civilisation Egypt ienne Librainie le lar, Paris, ١٩٦٨.

٢١- G. MASPERO, Histoire ancienne des Peuples de l, orient, Paris, ١٩١٤.

٢٢- GEORGES DARESSY, Annales de Service des antiquités de L, Egypte, ١١, ١٩١١.

٢٣-H.GAUTHIER, Dictionnaire des Nome geographique, Contenus dans les Textes hieroglyphique. I. Cairo, ١٩٢٥.

٢٤- H.R.HALL, Cambridge Ancient History, II, ١٩٣١.

٢٥- H.R.HALL, Keftiu and the Peoples of the Sea, Annual of the British School at Athens, N ٨, Session, ١٩٠١-١٩٠٢.

٢٦- HAROLD H.NELSON, The Naval Battle Pictured at Medinet HABU, Journal of Near Eastern Studies, ٢, ١٩٤٣.

٢٧-J.CERNY, Egypt From The Death of Ramesses III, Cambridge Ancient History. ١١, Chapter ٣٥.

٢٨-JEAN HATZFELD, Histoire de La Grece Ancienne, Petite Biblio-theque, Payot, Paris.

٢٩- JEAN DESHAYES, Les Civilisat ions de l, orient Ancian, Collection des Grandes Civilisations dirigee par Raymond, Bloch Arihad, Paris, ١٩٦٩.

٣٠- J. VERCOUTIER, Les Haou-Nebout, Bulletin de L'institut Français d'Archéologie Orientale du Caire. ٤٨, ١٩٤٩.

٣١- J.PIERINE, Bistoiro de la Civilisation de l'Egypte ancienne tome ٢,elitions Albin Michel, Paris, ١٩٦٢.

٣٢- J.H.BREASTED, Ancient Records Egypt, III, Chicago, ١٩٣٠.

٣٣- JACQUES PIRENNE, Civilisations Antiques, Editions Albin Michel, Paris, ١٩٥١.

٣٤- JACQUES PIRENNE, Histoire de la Civilisation de l, Egypte Ancienne, Tome ٢,٣ Editions Albin Michel, Paris, ١٩٦٢.

٣٥- J.G.MACQUEEN, Les Hittites Aux Origines de la Turquie, Armand Colin, Paris, ١٩٨٥.

٣٦- K.A.KITCHEN, Some New Light On the Asiatic Wars Of RAMESSES II, Journal of Egyptian Archaeology,٥٠, ١٩٦٤.

٣٧- MOSES.I.FINLEY, Les Premiers Temps de La Grèce: L'âge du bronze et l'époque archaïque, traduit de l'anglais Par François Hartog, François, Paris, ١٩٧٣.

٣٨- M.GEORGES DARESSY, Plaquettes emaillees de Medinet- Habou, Annales de Service des antiquites de L,Egypte. ١١, ١٩١١.

٣٩- Manassa .C, The Great Karnak Inscriptions of Merneptah: Grand Strategy in the ١٣th Century BC, New Haven, ٢٠٠٣.

٤٠- MARGARET.S.DROWER, UGARIT, Cambridge Ancient History, II. Chapter ٢١ (b), ١٩٧٥.

٤١-N.K.SANDARS, The Sea Peoples Warriors Of the Ancient Mediterranean ١٢٥٠-١١٥٠ B.C. Thames and Hudson, London ١٩٧٨.

٤٢- PIERRE ANTONETTI, Histoire De La Corse, Robert Laffont, Paris, ١٩٧٣.

٤٣- PHILIPP VANDENBERG, Ramses II, Traduit de l, allemande Par Jeanne-Marie. Gaillard-Paquet, Pierre Belfond Paris, ١٩٧٩.

٤٤- PAUL MERTENS, Les Peuples de la Mer, Chronique d'Egypte, Tome ٣٥, ١٩٦٠..

٤٥- R.D.BARNETT, The Sea Peoples, Cambridge Ancient History, JJ, Chapter, ٢٨, ١٩٧٥.

٤٦- R. DEVAUX.O. P, La Phenicie et Les Peuples de la Mer, Melanges de L universite Saint-Joseph, Beyrut (Liban), ١٩٦٩.

٤٧- R.O.FAULKNER, Egypt: From the Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III, Cambridge Ancient History II, Chapter ٢٣, ١٩٧٥.

٤٨- S.LANGDON and A. GARDINER, The Treaty of Alliance Between Hattushili King of the Hittites, and Pharaoh Ramsses II of Egypt, Journal of Egyptian Archaeology, ٦, ١٩٢٠.

٤٩- TADEUSZ SMOLENSKI, Les Peuples Septentrfonaux De La Mar Sous Ramses II Et Mirrphtah, ١٩١٥.

٥٠- V.R.D,A.DESBOROUCH, The End of Mycenaean Civilization and The Dork, Cambrdge Ancient History II,Chapter ٣٦,١٩٧٥.

٥١-VRONWY HANKEY, Mycenaean Trade with the South-Eastern Mediterranean, dans Melanges de L,universite Saint-Joseph, Tome ٦٥, ١٩٦٩.

٥٢-W.F.ALBRIGHT, Syria The Philistines and Phoenicia, Cambridge Ancient History II, Chapter ٣٣, ١٩٧٥.

٥٣- W.F.EDGERTON, and J.A.WILSON, Historical Records of Ramses III, Chicago, ١٩٣٥.

Ministry of High Education And Scientific Searching

Damascus University

Faculty Of Art and Humanities

History Department

Sea People and Their Invasions in the east of Mediterranean Sea 1275 – 1180 B.C

A study was Prepared for Attaining Ph.D. at Ancient History

Prepare

Tammam Khalid AL- Hawash

Supervise

Jihad Aboud

Date : 2020